



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله -
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



إفريقيا البروقنصلية خلال فترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية 27 ق.م-68م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ والحضارات القديمة

إشراف الدكتورة :
نورة مواس.

إعداد الطالب :
عبد الحفيظ رباح.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
محمد الهادي حارش	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
نورة مواس	أستاذة محاضرة أ	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
بن موفق بومدين	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
פטومة أشلاف	أستاذة محاضرة أ	مناقشا	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
بشير قفاف	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة ابن خلدون - تيارت -
عبد النور العمري	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة يحي فارس - المدية -

السنة الجامعية 1443-1444هـ/2022-2023م

شكر

أَتَقَدِّمُ بِوَافِرِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ

إِلَى الْأَسْتَاذَةِ الدُّكْتُورَةِ الْمُشْرِفَةِ مَوَاسِ نُورَةَ نَظِيرِ الْمُسَاعَدَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ
وَالْمَادِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَتْهَا لِي، وَتَوَجَّهَاتِهَا وَنَصَائِحِهَا الْقِيَمَةَ.

كَمَا أَشْكُرُ كُلَّ الْأَسَاتِذَةِ الَّذِينَ تَوَاصَلْتُ مَعَهُمْ

وَمَدُّوا إِلَيَّ يَدَ الْعَوْنِ دَاخِلَ الْوَطَنِ وَخَارِجَهُ.

إهداء

إلى أستاذيَّ بقّة بلخير ومحمّد الحبيب بشاري.

رحمة الله عليهما.

إلى والدي الغاليين.. إلى أخي وأخواتي الغوالي.

إلى أمين، آدم وأريج.

إلى زوجتي.

المختصرات:

1- باللغة العربية:

إشراف: إش

تحقيق: تح

ترجمة: تر

جزء: ج

دون تاريخ : د.ت

طبعة: ط

فقرة: ف

كتاب : ك

مجلد: مج

2- باللغة الأجنبية:

A.E : Année Epigraphique.

An. AF : Antiquité Africaine.

CIL : Corpus Inscriptionum Latinarum

C.-R. Acad. Inscr. : Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.

E.F.R : Ecole Française de Rome.

Ens.Ber : encyclopédie Berbère.

JRS : The Journal of Roman Studies

H.A.A.N : Histoire ancienne de l'Afrique du Nord

ILAfr : Inscriptions latines d'Afrique

ILTun : Inscriptions latines de Tunisie

M.A.H : Mélanges Archéologie et d'histoire.

M.A.R : Manuel des Antiquités romaines

MIN : Mémoire Institut National

PIR : Prosopographia Imperii Romani

P.U.f : Publication Université de France.

R.É.A : Revue des Études Anciennes

مقدمة

مقدمة :

بعد المحاولات العديدة التي قام بها الرومان لإنزال جيوشهم في شمال إفريقيا منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد خلال مجريات الحروب البونيقية، قصد إسقاط قرطاجة، الذي لم يتحقق لهم إلا سنة 146 ق.م؛ أصبحت تلك الأرض أول مقاطعة رومانية في شمال إفريقيا تحت اسم مقاطعة إفريقيا الرومانية. لكن بعد الأحداث الكثيرة التي شهدتها النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد من حروب أهلية في روما وانتقال الصراع من الأراضي الإيطالية إلى باقي المقاطعات، أصبحت الأرض الإفريقية مسرحاً مهماً دارت عليه الحرب بين قيصر وأتباعه من جهة وبين بومبي ومناصريه من جهة أخرى، ولم تضع هذه الحرب أوزارها إلا مع سنة 46 ق.م أين ضم قيصر ممتلكات يوبا الأول إلى ممتلكات روما باسم إفريقيا الجديدة (*Africa Nova*) لتتغير معها تسمية إفريقيا الرومانية إلى إفريقيا القديمة (*Africa Vétus*).

بعدما استتب لأوكتافيوس الحكم سنة 27 ق.م؛ تغير النظام الجمهوري إلى نظام إمبراطوري، وتغيرت مع ذلك تسمية إفريقيا القديمة إلى إفريقيا البروقنصلية بعد أن ضُمت إليها مقاطعة إفريقيا الجديدة. ويعتبر هذا التحول نقطة هامة في تاريخ الرومان؛ إذ أدى ذلك إلى ازدياد رغبتهم التوسعية وفق ما يقتضيه النظام الإمبراطوري من توسع، رافقه تغيير في سياسة إدارة المقاطعات، فأصبح بعضها تابعا للإمبراطور وأُلحق البعض الآخر بمجلس الشيوخ، وتبعاً لذلك فقد أُسندت إدارة إفريقيا البروقنصلية إلى مجلس الشيوخ. ومن هنا سنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على هذه المقاطعة السيناتورية في فترة حكم أولى الأسر الإمبراطورية وهي الأسرة اليوليوكلاودية.

ولما كان أول إخضاع لهذا الإقليم الجغرافي من الأرض الإفريقية في عهد النظام الجمهوري حُق لنا أن نتساءل: هل ساهمت أول أسرة إمبراطورية في تثبيت الوجود الروماني ومظاهر الرومنة خلال فترة حكمها (27 ق.م إلى غاية 68م)؟.

للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع نطرح عدة تساؤلات فرعية أهمها :

- ماهي المقومات الطبيعية التي احتواها إقليم مقاطعة البروقنصلية وما طبيعته الجغرافية ؟
 - ماهي الظروف التي سار وفقها تحول النظام السياسي لدى الرومان؟.
 - كيف تم تسيير وإدارة إفريقيا البروقنصلية ؟
 - بماذا تميز الوضع العسكري في إفريقيا البروقنصلية خلال هذه الفترة؟
 - كيف كانت سياسة الرومان الاقتصادية في هذه الفترة ؟
- يكتسي هذا الموضوع أهمية من حيث كونه يتطرق لدراسة مقاطعة إفريقيا البروقنصلية في فترة كان لا يزال فيها النظام الإمبراطوري نظاما فتيا، كذلك فإنه يبرز مختلف الأساليب والآليات المطبقة لجعل هذه المنطقة رومانية والاستفادة منها بكل السبل المتاحة والمتوفرة .
- أما عن الدوافع التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع ، فهي دوافع وميولات ذاتية بالدرجة الأولى، إذ كان الهدف هو محاولة الابتعاد عن الدراسات النمطية التي تضع مجالا زمنيا واسعا لمواضيعها الأمر الذي قد تضيع معه بعض التفاصيل المهمة، لذلك فإن تضيق الإطار الزمني من شأنه أن يبرزها، ثم أن السبب الثاني هو اعتقادي في أهمية المنطقة كونها كانت أول ما استعمره الرومان في الشمال الإفريقي، وزادت أهميتها مع النظام الإمبراطوري.
- وكذلك محاولة معرفة مدى اختلاف النظام الإمبراطوري عن النظام الجمهوري في سياسته الاستعمارية.

وللإجابة عن التساؤلات التي سبق طرحها اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي المناسب في وصف الأحداث، إضافة إلى المنهجين التحليلي والمقارن؛ لمقارنة المعطيات التاريخية ثم تحليلها ومن ثم الخروج باستنتاجات.

تصورنا خطة عمل تتمثل في مدخل جغرافي تُطرق فيه إلى جغرافية إفريقيا البروقنصلية وما تتميز به هذه المنطقة من مقومات طبيعية جعلت الرومان يحرصون على ضمها وتسخيرها تلبية لاحتياجاتهم الاقتصادية المتزايدة ، وقد جاء الفصل الأول بعنوان " الجذور التاريخية لنشأة إفريقيا البروقنصلية " جاء خلاله عرض للمحطات التاريخية التي مر عليها الإقليم الذي أصبح يعرف بالبروقنصلية، وذلك منذ سقوط قرطاجة إلى غاية إنشاء المقاطعة، وقد عالج هذا الفصل أيضا فترة أواخر العصر الجمهوري والأحداث التي عرفها إذ كانت تمهيدا لقيام النظام الإمبراطوري والتخلي عن الحكم الجمهوري دون رجعة، ثم أنه يبرز الدوافع الكامنة وراء هذا التحول السياسي وخلفياته.

أما عن الفصل الثاني فكان بعنوان " التنظيم الإداري لمقاطعة إفريقيا البروقنصلية"، وهو فصل يعرض الآلية التي تم من خلالها إدارة هذه المقاطعة السيناتورية، بالإضافة إلى الهياكل البشرية التي تولت هذه المهام من خلال ذكر أهم الوظائف الإدارية التي أشرفت على تطبيق السياسة الإدارية الرومانية.

جاء الفصل الثالث بعنوان " الحضور العسكري الروماني بالمقاطعة" وهو فصل يبحث في المنظومة العسكرية التي وضعها الرومان في إفريقيا البروقنصلية بغرض تأمينها، وبينما من خلاله دور الجيش في تأمين المقاطعة.

وكان " اقتصاد البروقنصلية على عهد أوغسطس وخلفائه" عنوانا للفصل الرابع، ومن خلاله برزت مختلف الأنشطة الاقتصادية التي اعتنى بها الرومان في المقاطعة، بدءًا بالزراعة التي كانت أهم نشاط بالنسبة لهم حيث نال نصيبا كبيرا من اهتماماتهم، ثم النشاط الصناعي ومختلف الصناعات

التي تم مزاولتها، وأخيرا النشاط التجاري وتسويق مختلف المنتجات الناتجة عن النشاطين السابقين - الزراعي والصناعي - وتصريفها نحو روما.

ساهمت العديد من المصادر في إثراء هذه الدراسة، ويعتبر كتاب (Histoires) للمؤرخ بوليبيوس (Polybius) أول مصدر يُرجع إليه في الأحداث المرتبطة بحروب الدولة الرومانية في العهد الجمهوري خاصة الحروب البونيقية منها، حيث أن أغلب المؤلفات الكلاسيكية نقلت عنه في تدوينها لجريبات تلك الحروب، فاستعنا به في الفصل الأول عندما استعرضنا اتفاقيات السلم بين روما وقرطاجة وكذلك أثناء الحديث عن الحروب البونيقية.

مثلت كتب السير التي وضعها المؤرخ بلوتارخ (Ploutarkhos) لأشهر القادة الفاعلين في تاريخ روما؛ مصدرا مهما. فاستعنا به في إبراز الكثير من الأحداث التي ضمنها كتبه التالية : ماريوس (Vie de Marius)، بومبي (Vie de Pompée)، قيصر (Vie de César)...، ويتميز أسلوب بلوتارخ بالسرد المفصل للأحداث التي نقلها، حيث تتبع في كتابته لتلك السير الكثير من التفاصيل والجزئيات في حياة القادة.

بالإضافة إلى ما كتبه المؤرخ آبيانوس (Appianus) حول تاريخ الرومان في مجمل كتبه، التي اعتمدنا منها على (Guerres civiles)، (Les guerres d'Afrique)، (Ibérique) حينما تطرقنا إلى الحروب الأهلية في الفصل الأول خاصة، وهي مؤلفات جد هامة كان صاحبها ينفرد عن مؤلفات أخرى في الكثير مما كتبه،

كما مكننا مؤلف حرب إفريقية - النسخة المترجمة - المنسوب ليويليوس قيصر من تتبع الأحداث التي دارت في مقاطعة إفريقية وخاصة أهم المعارك التي خاضها قيصر فيها، بالإضافة إلى كتاب (Guerre Civile) لقيصر الذي ساعدنا في معرفة الأحداث المرتبطة بفترة مهمة من تاريخ الجمهورية الرومانية، كذلك كتاب حرب يوغرطة لساليستيوس (Sallustius) الذي فصل فيه في الحرب التي دارت بين الملك يوغرطة والسلطة الرومانية بقيادة القائد ماريوس، هذا الكتاب الأخير

الذي يلاحظ على أسلوب صاحبه المبالغة في سرد الأحداث، فرغم أهميته الكبيرة كون صاحبه قد شغل منصب أول بروقنصل لمقاطعة إفريقيا الجديدة، إلا أن عدم تمحيص مروياته قد يؤثر على صحة الأحداث.

يضاف إلى هذا مصادر أخرى ككتاب (*Abrégé de l'Histoire romaine*) لفلوروس (*Florus*) وكتاب بنفس العنوان لأوتروبيوس (*Eutropius*) و (*Vie des Douze Césars*) لسويتونيوس (*Suetonius*)، استعنا بما بقدر محدود في مختلف جوانب الأطروحة، ذلك أنها تميزت بالاختصاص والتركيز على أهم الأحداث دون إسهاب، فرغم أن هذا الأمر يجعل الاطلاع عليها وقراءتها أمر غير شاق، إلا أنها تجاهلت الكثير من التفاصيل التي من شأنها أن تثري الأبحاث التاريخية.

أما عن المراجع التي اعتمدنا عليها فهي كتب باللغات الأجنبية خاصة الفرنسية منها، وهذا راجع لاهتمام المدرسة التاريخية الفرنسية الاستعمارية بالبحث والتنقيب في تاريخ بلاد المغرب القديم ، ورغم محاولاتهم العديدة التدليس وتمير المغالطات التاريخية إلا أن لتلك المؤلفات فضل في إعداد البحوث الأكاديمية ومسألة تجاهلها أو تجاوزها أمر غير ممكن مع قلة الدراسات المحلية التي نذكر منها كتاب التاريخ المغربي القديم للبروفيسور حارش (م.الهادي)، وروما وزراعة المقاطعات الإفريقية للبروفيسور بشاري (م.الحبيب) رحمه الله، والاقتصاد والمجتمع لعقون (م.العربي)، كلها مراجع أفادتنا في موضوعنا، اعتمدنا عليها في مختلف جوانب الموضوع وكانت بالنسبة لنا كشافا للمراجع المتخصصة.

من أهم المراجع الأجنبية التي ركزنا عليها، مؤلفات الفرنسي ستيفن قزال (*Gsell*) (*Stephane*)، خاصة كتابه *Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord* المكون من ثمانية أجزاء، اعتمدنا منه على عدة أجزاء منها في كل الفصول تقريبا خاصة ماتعلق بالأحداث السياسية أو في المعطيات الجغرافية التي تضمنها مدخل الأطروحة، وهو كتاب قيم أحاط بتاريخ

المغرب القديم من مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، وزاوج في نقل معطياته بين البحث الأثري والبحث التاريخي، لكنه كغيره من المؤرخين الفرنسيين يقدم الفرضيات والتأويلات التي يستشف منها تغييب النماء الحضاري للمنطقة وأنها منطقة مستوردة للحضارات وأنها تأثرت بغيرها أكثر مما أثرت، مثّل كتاب: *La politique municipale de l'empire proconsulaire de Trajan à Septime Sévère romain en Afrique* (Gascoü Jacques) أهم كتاب يمكن الرجوع إليه في دراسة حركة الاستيطان التي قام بها الأباطرة في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، حيث أفادنا جدا في تتبع مراحل الاستيطان وتأسيس المستعمرات الرومانية بالمنطقة محل الدراسة، ورغم أن عنوان الكتاب يوحي لقارئه أن دراسته تبدأ من عهد الإمبراطور تراجانوس (Traianus) إلا أن صاحبه عاد بحركة الإستيطان إلى بداياتها، وذكر أهم المستعمرات والبلديات التي كانت على عهد اليوليوكلاوديين.

فيما يتعلق بالجانبين الإداري والعسكري فقد استعنا بكتاب بتأليف مشترك بين كل من المؤرخين تيودور مومسن (Théodore Mommsen) وواخيم ماركوارت (Joachim Marquardt) تحت عنوان *Manuel des Antiquités Romaines* مكون من عدة أجزاء، خصصا منها الجزء الثامن للإدارة الرومانية والجزء الحادي عشر للتنظيم العسكري وهما الجزآن اللذان اعتمدنا عليهما بنسبة كبيرة في الفصلين المتعلقين بإدارة المقاطعة والحضور العسكري الروماني بها، وهو مؤلف جد قيم مترجم عن اللغة الألمانية، ورغم قيمته العلمية إلا أن بعض المعلومات التي وردت فيه قد نفتها الدراسات الحديثة لاسيما الأثرية منها.

أسهم المؤرخ والجغرافي شارل تيسو (Ch. Tissot) ببحوثه ودراساته عن إفريقيا البروقنصلية ومنطقة تونس في تسهيل عملية البحث، حيث اعتمدنا من مؤلفاته على *Géographie Comparée De La Province Romaine D'afrique* وفي مدخل البحث بوصف جغرافية إفريقيا البروقنصلية كتاب *Fastes de La Province Romaine d'Afrique* خلال التطرق إلى

البروقنصلية حكام المقاطعة، وهما مرجعان هامان، ومع ذلك فإن نفس الملاحظة التي أرفقناها كتاب مومسن تنطبق على مثل هذه المراجع. بالإضافة إلى كتاب بالو (Pallu De Lessert) (A.C) بعنوان *Fastes Des Provinces Africaines* وهو دراسة مشابهة للدراسة السابقة لتيسو وظفناه في الفصل الذي تطرقنا فيه إلى إدارة المقاطعة وتنظيمها وذلك لما تضمنه من معلومات حول آلية تسيير المقاطعات السيناتورية وبما احتواه من قائمة حكام المقاطعة.

يضاف إلى ما سبق العديد من المراجع التي لا يسعنا هذا المقام عرضها كل حسب مجال تخصصه، إلى جانب مجموعة من الأوراق البحثية نذكر منها على سبيل المثال : دراسة بوشاوش (Beschaouch A.) عن إقليم مدينة الكاف " *Le territoire de Sicca Veneria (El-Kef)* " ودراسة بريال (Bréal M.) عن كوروبيس " *Inscription de Curubis* " كذلك دراسة بكار (Baccar M.) حول مدينتي صبراتة ولبدة الكبرى " *Archaeological sites of Sabratha and Leptis Magna* " ودراسة كانيا (Cagnat R.) حول حدود مقاطعة إفريقيا " *Note sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146 avant J.-* C " وغيرها من الدراسات.

لعل أهم الدراسات الأكاديمية المحلية القيمة التي اعتمدنا عليها في الجانب العسكري دراسة الباحث "بقار أ." عن الجيش في مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية ونوميديا وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم أثرى بها الباحث معرفتنا عن جيش البروقنصلية خاصة وأن الباحث استعمل منهجا تحليليا رجح به بعض الفرضيات دون الأخرى بعد سردها جميعا ومقارنتها، ودلنا أيضا من خلال بحثه على أهم المراجع التي تطرقت لهذا الجانب من الموضوع.

من بين الدراسات السابقة التي طرقت هذا الموضوع نجد رسالة ماجستير للباحث (الحداد م. أ) بعنوان " التاريخ السياسي والاقتصادي لولاية أفريقية البروقنصلية 27 ق.م-235م " نوقشت في جامعة الفاتح الليبية سنة 2002، وهي دراسة قيمة سلط الضوء فيها صاحبها على كامل

العهد الإمبراطوري الأعلى، إلا أن طول الفترة الزمنية المدروسة (27ق.م-235م) جعلت الباحث يهمل الكثير من الجوانب ولا يتطرق إليها إلا بعرض سطحي، فقد خصص للأسرة اليوليوكلاودية حوالي ثمانية عشرة صفحة (ص40-ص58) مُركّزا على الجانب السياسي، ومع هذا تبقى قيمتها العلمية النافعة .

أخيرا تبقى هذه الدراسة بحثا يستأنس به الباحثون في تاريخ المنطقة القديم ويفتح المجال أمامهم لإجراء دراسات على تاريخ المغرب القديم ضمن أطر زمنية قصيرة لتسليط الضوء على التفاصيل التي ربما تغيب مع الدراسات العامة، هذا كله والله الموفق والمستعان.

مدخل:

جغرافية إفريقيا البروقنصلية

I - المناخ.

II - التضاريس.

III - المظهر الهيدروغرافي.

IV - الغطاء النباتي .

تمهيد:

مما لا خلاف فيه أن للجغرافيا دور مهم، إذ أنها الحيز الطبيعي الذي يتفاعل معه الإنسان، فيكون متأثراً به بقدر ما يؤثر فيه. وتاريخياً نجد لهذه الفكرة الكثير من النماذج التي تسند لها وتوضحها. وإذا ما بحثنا أكثر في عمق نظرية التأثير الجغرافي؛ وجدنا أن عامل الجذب هو أكثر شيء تتميز به الطبيعة الجغرافية. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الفرق الكبير بين دراسة الإطار الجغرافي للمنطقة - الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً - وبين دراسة جغرافية المنطقة التي تستهدف طبيعتها من حيث كونها طبيعة مجردة ومعزولة عن واقعها السياسي، وقد وضع الفيلسوف كانط (Kant) أهمية الجغرافية بوجهة نظر فلسفية حين قال: "... مادام هناك تاريخ قديم فيجب أن يكون معه جغرافية قديمة توضح أحداث التاريخ." (1)، واعتبر أستاذ الجغرافيا دو لابلاش (De La Blach) العامل الجغرافي أحد المؤثرات المركبة التي يجب أن تكون دائماً نصب أعيننا في دراسة التاريخ (2).

من خصائص المناطق أن تجذب الشعوب كما يمكن لها أن تنفرها، وذلك حسب ماتتوفر عليه البيئة الحاضنة، فمنطقة الميزوبوتاميا استقبلت الكثير من الهجرات البشرية النازحة من شبه الجزيرة العربية لأن ظروف المنطقة الأولى كانت أفضل بما تتوفر عليه من أسباب العيش من المنطقة الثانية. ونستطيع أن نلاحظ نفس الأمر بالنسبة للصحراء الكبرى في شمال إفريقيا، فبعدما كانت أحد المراكز الثقافية في الفترة ما قبل التاريخية، أصبحت في الفترات اللاحقة جغرافية قاسية لا توفر عوامل الاستمرار ولا تغذي الحضارة الإنسانية بما تحتاجه فانقلبت إلى بيئة مُنفرة ساهمت في بداية

(1) - مجموعة مؤلفين، الجغرافية في القرن العشرين (دراسة لتقدمها وأساليبها وأهدافها واتجاهاتها)، تح. جريفت تيلور، ج. 1،

تر. محمد السيد، محمد مرسى، مر. إبراهيم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص 58.

(2) - نفس المرجع، ص 99.

الهجرة البشرية الأفريقية من الجنوب نحو الشمال والشمال الشرقي. مع ملاحظة تغير الطابع الحضاري حسب الحيز الطبيعي الحامل له.

تتمثل أهمية الطبيعة الجغرافية إذن بالدرجة الأولى فيما يمكن أن توفره للإنسان من مقومات يعتمد عليها لبناء حضارته. وقد يصبح البحث عن تلك المقومات أكبر اهتمامات الشعوب، وكثيرا ما سجل لنا التاريخ كيف أن شعوبا حاربت لافتكاك وانتزاع جغرافية لا تملكها، فقط لتوفرها على مقومات تفتقرها في بلادها. فالإغريق مثلا⁽¹⁾ لم تكن بلادهم جغرافيًا إلا جزرا غير مستقرة جيولوجيا تغلب على تضاريسها الجبال وتقل بها السهول التي تضمن الانتاج الزراعي، فصوبت أنظارهم نحو بلاد أخرى لأجل تعويض النقص الذي وجدوه عندهم. فأسسوا مابين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن السادس قبل الميلاد مستعمرات في جنوب إيطاليا من خليج نابولي في الغرب إلى خليج أوتارنتو في الجنوب وعلى الجزء الشمالي من جزيرة صقلية، ثم على معظم الجزيرة بعد انتصار حاكم مدينة سراقوسة على القرطاجيين⁽²⁾، حتى أن الفيلسوف الإغريقي سقراط (Socrate) نقل عنه أفلاطون (Platon) أنه شبههم في ذلك بالضفادع حول البركة⁽³⁾.

لم يكن الإغريق وحدهم من أثرت الجغرافيا في حركتهم، فروما هي الأخرى رغم أن كيانها قام في طبيعة أكثر ملائمة من بلاد الإغريق، إلا أن توسعها فيما بعد لم يكن إلا على جغرافية تسمح بتغذية حضارتها أكثر وليس لأجل التوسع فقط. فبدأنا نلاحظ دخولها في صراعات خارج أراضيها لأسباب قد تظهر أنها سياسية لكنها بخلفيات جغرافية محضة ترتبط بأهداف اقتصادية واستراتيجية.

(1) - استشهدنا في هذا المثال بالإغريق دون غيرهم لعدة اعتبارات أهمها أنهم شعب مجاور للرومان وقد أخذ عنهم هؤلاء عدة تقاليد سياسية واجتماعية وغيرها، أيضا لكون الإغريق من أكثر الشعوب هجرة من بلادهم لأسباب جغرافية.

(2) - رزق الله (إبراهيم)، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط.1، لبنان، 1996، ص21.

(3) - أفلاطون، محاورة فيدون (في خلود النفس)، تر. عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط.3، مصر، 2002،

وفي الضفة الجنوبية للمتوسط؛ توسعت قرطاجة على طول ساحل إفريقيا الشمالي غربا ولم نلاحظ لها توسعات نحو الجنوب حيث الصحراء. فراحت هي الأخرى تبحث عن أراضي خارج بلادها تلائم طبيعتها الحضارية وتلبي أهدافها الزراعية والتجارية التي أدخلتها في حروب مع الإغريق والرومان على حدٍ سواء.

بعد بسط هذا التمهيد يأتي الحديث عن الطبيعة الجغرافية للمنطقة التي أصبحت تعرف منذ سنة 27 ق.م بإفريقيا البروقنصلية، وما تحويه من مقومات طبيعية وماتتوفر عليه من مميزات جعلت الفينيقيين يتخذونها مركز مستوطناتهم وعاصمة دولتهم - قرطاجة - فيما بعد، ثم حرص الرومان على احتلالها واتخاذ مبررات سياسية لأجل ذلك.

وإن كان التقسيم الإداري للإطار الجغرافي محل الدراسة قد تم بعد مايزيد عن مائة عام من الاحتلال الروماني وعلى ظهوره الإداري الرسمي، إلا أن ذلك لا ينسينا أن جزءا كبيرا منه كان محط أول امتداد للرومان بالمنطقة.

I - المناخ:

الحديث عن مناخ المنطقة يقودنا لوصف مناخ شمال إفريقيا بصفة عامة باعتبارها جزءا منها وأحد أقاليمها، ومناخ البلاد التونسية حاليا بصفة خاصة كونها اشتملت على مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، ومعروف عن مناخ شمال إفريقيا أنه مناخ يتميز بالاعتدال والرطوبة، وتراجع معدلاتهما كلما اتجهنا نحو المناطق الداخلية مبتعدين عن الساحل، حيث تبدأ درجات الحرارة بالارتفاع وتنخفض معها معدلات التساقط والرطوبة. غير أن هناك سؤالا يطرح نفسه وهو هل نميز اختلافا بين مناخ المنطقة في الفترة القديمة ومناخها حاليا ؟.

1 - المناخ خلال الفترة القديمة:

أجريت العديد من الدراسات لمحاولة معرفة طبيعة المناخ السائد في شمال إفريقيا في الفترة القديمة، واستندت تلك الدراسات في بناء حججها وفرضياتها على إشارات المؤرخين القدامى إلى جانب النقوش والكتابات الأثرية. ومن بين من اعتمد هذا النمط من الدراسة نجد المؤرخ الفرنسي قزال (Gsell) الذي ذهب إلى القول بعدم وجود تغير في المناخ⁽¹⁾ بعد أن ساق مجموعة من الشواهد والأقوال التي زعم أصحابها أن المناخ الشمال أفريقي لم يكن ماهو عليه اليوم، ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن هذا الطرح يشتمل جانبا إيديولوجيا يسعى أصحابه من خلاله إلى التأكيد على أن ازدهار إفريقيا الرومانية لم يكن سببه توفر الظروف المناخية الملائمة بقدر ما كان جهدا رومانيا خالصا⁽²⁾، ومثال ذلك كلام أحد الباحثين في دراسة له عن المنشآت المائية بتونس حيث يقول : " جعل الرومان هذه البلاد بستانا كبيرا بأشجار فاكهة ممتدة من سوسة إلى

(1) - Gsell (S), H.A.A.N, T.1, Librairie Hachette, Paris, p 81.

(2) – Leveau (Ph), Climat, sociétés et environnement aux marges sahariennes du Maghreb: une approche historiographique, La frontière méridionale du Maghreb. Approches croisées (Antiquité-MoyenÂge)1, Ausonius Scripta Receptoria 13, Bordeaux,2018, p20. ; Shaw (B. D), Water and society in the ancient Maghrib technology, property and development, Antiquités africaines, 20, 1984, p121.

سفاقص" (1) وهو افتراض يراه الباحث شاو (Shaw) مقبولا نسبيا إذا تعلق بالمناطق القاحلة التي نجعل معلومات عنها في الفترة ما قبل الرومانية (2)، وتذهب هنريات كامبس إلى أبعد من ذلك لتقول أن الرومان هم من طور ووسع زراعة الزيتون في عموم إفريقيا (3). فيتضح من هذا الرأي وغيره؛ الخلفية الإيديولوجية للمدرسة التاريخية الأوروبية وحرصها الملح على الإشارة في كل مناسبة إلى الدور الحضاري الذي لعبه الرومان ومن خلفهم في الانعاش الحضاري للمنطقة وأهلها وتجاهل الأدلة التي تنفي ذلك.

ومن جهة أخرى يستند الباحثون الذي يميلون إلى فرضية حدوث تغير مناخي إلى أمرين أساسيين هما قنوات السقاية المائية القديمة واختفاء الفيل الإفريقي (*Elephas africanus*) (4)، حيث تعتبر كثرة أو قلة القنوات المائية مؤشرا على كميات التساقط وعلى جفاف المنطقة الجغرافية أو رطوبتها، بينما اختفاء أنواع حيوانية كالفيل أمر دال على عدم توفر البيئة المناسبة لاستمرار هذا النوع الحي وأنواع أخرى، وبالتالي يمكن اعتبار الأمر كإشارة لتحول مناخي. وتجدر الإشارة إلى تزايد الدراسات المناخية المتعلقة بشمال إفريقيا بعد ظهور علم الجيوأركيولوجيا كعلم قادر على استخراج معطيات علمية من طبقات سطح الأرض بعد دراسة حلقات الأشجار ورواسب التربة والبحيرات وحتى الشعاب المرجانية واستخدامها كدلائل وصفية لطبيعة البيئة والمناخ في الفترة القديمة (5)، ومنه يمكن الوصول إلى حقيقة علمية أدق من تلك التي تقدمها المصادر. وقد ثبت أن

(1) – Gauckler (P), Enquête Sur Les Installations Hydrauliques Romaines En Tunisie, T.1, Imprimerie Rapide (Louis Nicolas Et Cie), Tunis, 1897, p8.

(2) - Shaw (B. D), op cit, p122.

(3) – كامبس (ف. هنريات)، الزيتون والزيت في أفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تر. عقون (م. العربي)، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 13.

(4) – آيت أومغار (سمير)، مناخ شمال أفريقيا خلال الفترة الرومانية: مقاربات جديدة، هيسبريس تامودة، عدد 52، المغرب، 2017، ص ص 57-60.

(5) – Luterbacher (J), and others, A Review of 2000 Years of Paleoclimatic Evidence in the Mediterranean, The Climate of the Mediterranean Region, Elsevier Inc, 2012, p89.

مناخ شمال إفريقيا في الفترة القديمة كان أقل حرارة وأكثر رطوبة مما هو عليه الآن⁽¹⁾، وكذلك كان حال مناخ تونس قديما، حيث أن أراضيها أكثر انفتاحا على البحر المتوسط عكس البلاد المغاربية الأخرى التي تشكل جبال التل فيها حاجزا أمام التيارات البحرية⁽²⁾.

أ - توزع منشآت الري والقنوات المائية:

تدلنا قنوات السقاية ومنشآت الري القديمة على وفرة المياه أو انعدامها، فقد يعتبر وجودها في أماكن جفت منابعها اليوم دليل على تغير المناخ وتقلصه، ونفس الأمر للمدن التي كانت مزدهرة في الفترة القديمة ثم أصبحت اليوم صحراوية أو سهبية.

يتساءل أحد الباحثين عن ظروف إقامة القنوات المائية إذا كانت طبيعية أو كانت في ظل ظروف تميزت بتراجع نسبة المياه والتقل⁽³⁾، خاصة إذا كان إنشاؤها مكلفا ماديا. وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن انشاء العديد من القنوات لجلب المياه من مصادرها القريبة كالينابيع والأنهار والآبار الجبلية قليلة العمق مثلما هو حال القنوات الموجودة بقفصة الحالية كقناة أم العلك البالغ طولها 5203 م، وقناة هنشير المقطع بطول 5632م موصولة بخزانين بسعة 1184,088 م³، كذلك قناة هنشير بن زنوش البالغ طولها حوالي 4564م⁽⁴⁾، بالإضافة إلى قنوات أخرى كقناة ثوقة (Dougga) المشيدة نهاية القرن الثاني الميلادي وقناة قرطاجة المنسوب تأسيسها إلى الإمبراطور هادريانوس مع انعدام السند التاريخي الذي يدعم ذلك⁽⁵⁾، كما تبين أن بعض المدن

(1) - Leveau (Ph), op cit, p31.

(2) -Despois (J), La Tunisie Orientale Sahel et Basse steppe : étude géographique, Publications de l'Institut des hautes études de Tunis. Section des lettres, V.1, Presses Universitaires de France, 2émeéd., Paris, 1955, p10.

(3) - آيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص 57.

(4) - آيت أومغار (سمير)، الماء والاستقرار في شمال أفريقيا خلال الحقبة القديمة، أستور، عدد 11، الدوحة، يناير 2020، ص 113.

(5) -آيت أومغار (سمير)، مناخ شمال أفريقيا...، المرجع السابق، ص 58، 59.

الحالية مثل الجم (*Thysdrus*) لم تكن بحاجة إلى قنوات تربطها بمصادر المياه واكتفت فقط بصهاريج وخزانات مائية عمومية تتلقى مياه الأمطار وتدعمها الأودية⁽¹⁾، وذكر ساليستيوس (*Sallustius*) أن مدينة ثالا (*Thala*) توجد بالقرب من أسوارها عيون ماء كثيرة بينما كان لدى سكان كابسا (*Capsa*) عين ماء واحدة كانت تقع داخل الأسوار و يعتمدون بالإضافة إليها على مياه الأمطار⁽²⁾، وقد يجعلنا هذا نعتقد بنوع من التريث في إطلاق الحكم أن منطقة كالجم قريبة من الساحل الشرقي لتونس لن تختلف في نسبة التساقط عن باقي المناطق الساحلية، وبالتالي يمكن الاعتماد على مياه التساقط في حال التعداد السكاني الضئيل، بغض النظر عن الاختلاف بين المدن في الغنى الهيدروليكي. وعلى كل حال يعطينا مثال مدينة الجم صورة عن مناخ المنطقة في الفترة القديمة، فبلوتارخ يذكر أن الأمطار الغزيرة والرياح القوية حالت دون مهاجمة حاكم ولاية إفريقيا دوميتيوس (*CN.Domitius Ahenobarbus*) لجيش بومبي (*Pompeius*) الذي نزل قرب أوتيكاً حوالي 81 ق.م⁽³⁾، وإن كنا لانعرف بالضبط الشهر الذي وقع فيه هذا الحدث إلا أن هذا يعتبر مثالا آخر يستدل من خلاله على شدة التساقط في الشريط الساحلي.

يمكن التوصل مما سبق إلى نتيجة مفادها أن ازدهار نشاط القنوات المائية القديمة ليس معيارا يمكن الاعتماد عليه في كل الأحوال لتصوير نمط المناخ السائد في الفترة القديمة، إذ أن العنصر البشري في إفريقيا بدأ يميل أكثر إلى نمط الحياة الرومانية بعد تغلغل الرومنة؛ فأصبح تخزين الماء بالنسبة له ضرورة ملحة أكثر من ذي قبل، إذ زاد استعماله في الحياة اليومية مع تزايد الكثافة السكانية والنشاط العمراني وتوسع الزراعة والأنشطة الاقتصادية بما في ذلك تربية الحيوانات، دون أن ننسى الحمامات التي تستدعي التزود اليومي بالمياه، فلم يصبح استعمال الماء مقتصرًا على

(1) –Gauckler (P), op cit, p9.

(2) – ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، 89، 6، تر. محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا.

(3) – Plutarque, Vie de Pompée, 12, trad. Ricard (A.D.), Firmin Didot, T.2, Paris, 1883.

النظافة والزراعة. في حين يرى فيليب لوفو (Leveau (Ph) عكس ذلك، إذ أن تزايد انشاء القنوات المائية حسبته قد يكون مرتبطا بتنامي فترات الجفاف الشتوي⁽¹⁾.

ثم نلاحظ فيليب لوفو ينقض كلامه في مقال آخر وذلك حين تعليقه على نص أورده القديس كيريانوس (Cyprianus) يصف فيه تراجع التساقط في فصل الشتاء بقوله : "...لم يعد الشتاء يمنحنا أمطاراً وفيرة تُخصب البذور؛ الثمار لم تعد تنضج في الصيف، فقد الربيع درجة حرارته المعتدلة... لا تسقط الكثير من الأمطار في الشتاء لإطعام البذور..."⁽²⁾ معتبرا كلام هذا القديس مجرد خطابات دينية تخوف المسيحيين من اقتراب نهاية العالم أكثر من أن تكون حقائق واقعية يستدل بها⁽³⁾. ونجد إشارات إلى الجفاف في نصوص أخرى، منها ما أورده المؤرخ سبارتيانوس (Spartianus) .. "عندما قدم إلى إفريقيا (هادريانوس) كانت قد مضت خمس سنوات على هطول المطر وحينما وصل إليها نزل المطر..."⁽⁴⁾. وتبقى هذه الحادثة مفتقرة إلى الدليل العلمي الذي يثبت أنها فعلا كانت نموذجا يمكن الحديث من خلاله على تغير مناخي بشمال إفريقيا وأنها لم تكن حدثا طارئا ومؤقتا⁽⁵⁾ وخصوصا بإقليم جغرافي دون غيره، إذ يخبرنا أرنوبيوس (Arnobius) نهاية القرن الثالث الميلادي عن الجفاف الذي تعرضت له حقول الجيتوليين وموريطانيا الطنجية في الوقت الذي كان فيه سكان نوميديا يجنون الثمار الوفيرة⁽⁶⁾، وبالتالي يمكن اعتبار الأمر تقلبات مناخية ظرفية. وأضيف رواية أخرى عن ندرة المحاصيل بسبب قلة الأمطار بلا شك، فترتوليانوس (Tertullianus) يشير إلى أنه لم تكن هناك محاصيل زراعية في

(1) – Leveau (Ph), L'environnement de l'Afrique dans l'Antiquité Climat et société un état de la question, IKOSIM, N°5, Algeria, 2006, p71.

(2) – Saint Cyprien, A Demetien, III, Trad. N.S. Guillon, T.1, Versailles, 1837.

(3) – Leveau (Ph), Climat..., op cit, p32.

(4) – Spartianus, L'histoire Auguste, Vie d'Hadrien, XXII, 128, Trad. FL.Legay, T.1, Panckoucke Editeur, Paris, 1844.

(5) – آيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص 59.

(6) – Arnobe l'Ancien, Against the Pagans, I,16, Trans. Hamilton (B), Hugh (C), V.6, Christian Literature Publishing Co., 1886.

فترة حكم هيلاريانوس (Hilarianus) ⁽¹⁾، ولا يمكن أن نتخيل هنا الانعدام الكلي بكل تأكيد، بل هو إشارة إلى الندرة فقط، ولا تختلف هذه الإشارة كثيرا عن إشارة القديس كيريلانوس، فخطابات القديسين تربط تقلبات المناخ بغضب الله ورضاه فنجدها في مجملها محملة بالوعيد والتحذير من جهة، ومن جهة أخرى مثلما وجدنا شواهد دالة على فترات جفاف نجد بالمقابل دلائل على فترات فياضانات وسيول أدت في بعض الأحيان إلى تدمير المنشآت العمرانية ⁽²⁾، مثل الطرق والقناطر والمعابد وحتى اتلاف المحاصيل ونفوق الحيوانات ⁽³⁾ وكل هذا يدخل ضمن التقلبات المناخية.

ب - اختفاء الفيل ودلالته على تغير المناخ :

يعود ظهور الفيل في شمال إفريقيا إلى الفترة ما قبل التاريخية، حيث نجد رسوما لهذا الحيوان وطرق صيده في مغارة تافوغالت والمناطق الممتدة من واد درعة وأكادير حتى منطقة فكيك، وقد أظهر نقش صخري بموقع تامكدولت فيلا عند قدميه فيل صغير، وقد أرجع شارل أندري جوليان تاريخ هذه الرسومات إلى عصر المعادن ⁽⁴⁾، بالإضافة إلى رسومات جنوب الجزائر ⁽⁵⁾ حيث جُسد الفيل الأفريقي على الجداريات الصخرية المنتشرة بجبال الأطلس الصحراوي والصحراء منذ حوالي عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، وهو مايقابل المرحلة الأولى من الفن الصخري المعروفة بمرحلة الجاموس القديم أو الرسم الطبيعي الكبير ⁽⁶⁾.

(1) –Tertullien, A SCAPULA, III, Trad. Eugène-Antoine de Genoude, Paris, 1852.

(2) –Leveau (Ph), Climat., op cit, p32.

(3) - آيت أومغار (سمير)، المدن وسبل مكافحة خطر الفيضانات في شمال أفريقيا خلال المرحلة الرومانية، هسريس تمودا، العدد 54، المجلد 1، 2019، ص ص 66-67.

(4) - منقاشي (محمد)، الكشوف الأثرية والبيئة، المناهل، عدد 46، 1995، ص 394.

(5) – Gsell (S), op cit, p 106.

(6) - صندوق (ستي)، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016، ص 24.

أشار العديد من المؤرخين القدامى والجغرافيين إلى وجود حيوان الفيل في شمال إفريقيا سواءً في الفترة الرومانية أو ما قبلها، من بينهم المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي عدّد بعض الوحوش البرية التي تعيش غرب نهر تریتون (Tréton) فذكر من بينها الفيل "...لأن الجزء الشرقي من ليبيا الذي يسكنه البدو الرعاة يكون منخفضاً ورملياً حتى نهر تریتون، ومنه باتجاه الغرب تكون أرض الفلاحين جبلية وغابية ومليئة بالوحوش ويوجد في هذه الأرض الثعابين الضخمة جداً والأسود والفيلة والدببة..."⁽¹⁾، ويذكر بوليبيوس (Polybius) في خضم حديثه عن الحروب البونيقية أن حنبعل (Hanibal) استعمل الفيلة كسلاح في جيشه⁽²⁾، بالإضافة إلى إشارات تيتوس ليفيوس (Titus Livius) عن الحروب البونيقية أيضاً⁽³⁾، وسالستيس في حرب يوغرطة "وفقاً للأمر الصادر قبل انعقاد المجلس استلم المحاسب المختص ثلاثين من الفيلة..."⁽⁴⁾ ويوليوس قيصر (Iulius Caesar) في حرب أفريقية "...إقامته ثلاث سنوات (لابينوس) في البلاد ضمنت له إخلاص الجنود، حيث كان مدعماً بجيش قوي مكون من الفرسان والمشاة النوميديين الخفاف... وكذا الدعم المقدم من الملك (يوبو الأول): مائة وعشرون فيلاً..."⁽⁵⁾، وبلينيوس الكبير (Plinius) في تاريخه الطبيعي "وعلى نفس البعد من الأميال من نهر سوبوبوس (Sububus) توجد مدينة سالا (Sala) الواقعة على نهر بنفس الاسم، وهي قرية من الصحراء وغير آمنة وتهاجمها قطعان الفيلة..."⁽⁶⁾، فضلاً عن ظهور وسم الفيل في عملة

(1) - هيرودوت، التاريخ، ك.4، ف.191، تر. محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قار يونس، ط.1، ليبيا، 2003.

(2) - Polybe, Histoire Générale, III, 45, Trad. Félix Bouchot, t.1, Charpentier Libraire-Editeur, Paris, 1847.

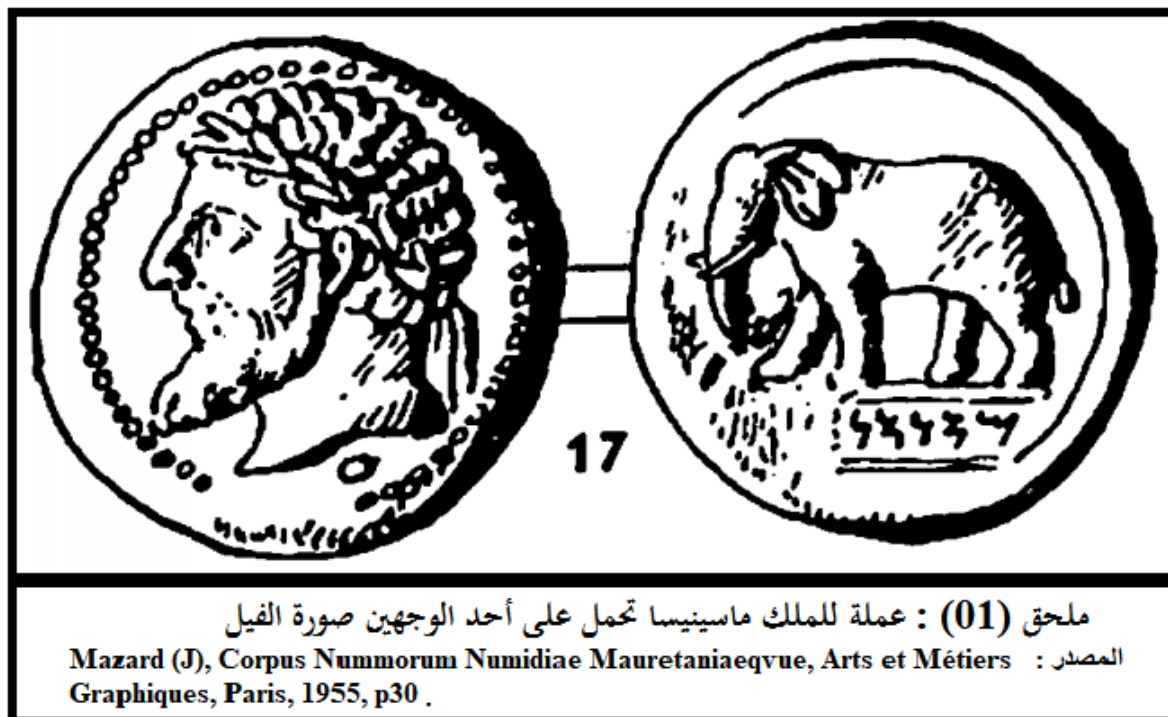
(3) - Tite-Live, Histoire romaine, XXI, 5, Trad. M. E. Pessoneaux, Panckoucke, T.3, Paris, 1909.

(4) - سالوستيوس، الحرب اليوغرطية، 29؛ 6، 32؛ 3.

(5) - يوليوس قيصر، حرب أفريقية، 19، تر. حارش (م. الهادي)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

(6) - بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، 5، 1، 5، تر. الذويب (م. المبروك)، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ط.2، ليبيا، 2019.

الممالك المغاربية⁽¹⁾، فلا شك أن استعمال الفيل في الكثير من الحروب التي خاضها الأفريقيون دليل على توفر هذا الحيوان بالأعداد التي تسمح بذلك ودليل أيضا على توفر البيئة المناسبة التي تضمن تكاثره واستمراره.



غير أنه تواترت الإشارات على اختفاء الفيل منذ القرن الرابع حتى السابع الميلاديين⁽²⁾، بل يرجعه أحد الباحثين إلى القرن الثالث الميلادي، والحدث راجع حسبه إلى توسع الجفاف ما أدى إلى انقراضه⁽³⁾، فالأمر وفق هذه الفرضية سببه التغير المناخي الذي عرفته شمال أفريقيا حيث انخفضت كمية المياه وجفت التربة فترتب عن ذلك قلة الغذاء وبالتالي انقراض الفيلة⁽⁴⁾.

(1) –Mazard (J), Corpus Nummorum Numidiaie Mauretaniaeqvue, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1955, p30,45.

(2) - آيت أومغار (سمير)، مناخ شمال أفريقيا...، المرجع السابق، ص 60.

(3) – Oreste (R), Paul Dirmeyer, Modeling the effects of vegetation on Mediterranean climate during the Roman Classical Period Part I: Climate history and model sensitivity, Global and Planetary Change 25, 2000, p7.

(4) - منقاشي (محمد) ، المرجع السابق، ص 396.

في حين يذهب "قزال" إلى أن اختفاء الفيل من شمال إفريقيا أمر غير مرتبط بتغير مناخي، ويميل إلى أن للإنسان دور في ذلك من خلال نشاط الصيد الواسع والكثيف لهذه الحيوانات قصد استعمالها في ألعاب التسلية واستغلال عاجها⁽¹⁾، ونفس الافتراض اقترحه العربي عقون حيث يقول أن انقراضه لا يعود إلى عوامل طبيعية⁽²⁾ وفي سياق متصل يرى البشير شنيقي أن نزوح الأهالي إلى المناطق الجبلية والغاية بعيدا عن السيطرة الرومانية جعلهم يتسببون في إفناء أنواع من الحيوانات بعد أن زاحموا مناطق عيشها⁽³⁾، ونلاحظ أن عمليات اصطياد الفيل لم تقتصر على الفترة الرومانية فحسب، فقد ذكرت بعض المصادر المصرية القديمة أن الفيل الإفريقي كان جزءا مما جلبه الملوك والفراعنة المصريون من بلاد غرب النيل، إذ حفظ على إحدى مسلات الملكة حتشبسوت (1490-1466 ق.م) بمعبد الكرنك أنها أحضرت من بلاد التحنو سبعمائة ناب فيل⁽⁴⁾، في حين يحدثنا بلوتارخ عن رحلة الصيد التي قام بها القائد بومبي حوالي سنة 81 ق.م والتي اصطاد فيها الكثير من الأسود والفيلة⁽⁵⁾، ويذكر أوغسطس في قائمة إنجازاته العظيمة (The *Res Gestae of Augustus*) أنه قدم إلى الشعب الروماني 3500 حيوان إفريقي تم قتلها في ستة وعشرين حفلا من حفلات الأعياد⁽⁶⁾، كما تم أيضا ذبح ستمائة (600) حيوان ليبي على شرف احتفالات أخرى أقامها أوغسطس⁽⁷⁾، وكذلك قام الإمبراطور كاليغولا (*Caligula*) في مدة ثلاثة

(1) – Gsell (S), op cit, p79.

(2) – عقون (م.العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 21.

(3) – شنيقي (م. البشير)، أثر الضغط الديمغرافي على بيئة السهوب في العهد الروماني (إختفاء الفيل و تفاقم البدادة)، مجلة آثار، مج. 6، عدد 1، 2008، ص 38.

(4) – وفاء أحمد، الفيل في مصر الفرعونية، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، عدد 51، 2002، ص 221-222.

(5) – Plutarque, Vie de Pompée, XII.

(6) – Werner (E), The Age of Augustus, trad, Schneider (D.L.), Blackwell Library of Congress Cataloging, 2nd. ed.2007, pp180-181.

(7) - Dion Cassius, Histoire romaine, 54, 26, trad.E. Gros, Paris, 1850.

أشهر بذبح أزيد من مائة وستين حيوانا في احتفالاته⁽¹⁾. فأمام هذا العدد المهول يمكننا أن نتصور أثر التدخل البشري وعمليات الصيد كسبب في اختفاء الفيل، سيما أن حضوره في الاستعراضات والمصارعات كان ملحوظا مقابل تراجع دوره في الحروب نتيجة للهدوء النسبي في الأوضاع السياسية، ثم إن ورشات روما تزودت بالعاج الإفريقي، وتم تصديره إلى شبه الجزيرة الإيبيرية منذ العصور القديمة⁽²⁾.

لا شك أن ربط انقراض الفيل بالنشاط البشري فرضية منطقية وأقرب واقعية في سياق دلائلها التاريخية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار حيوانات برية أخرى عاشت بالمنطقة كالدبية والأسود حسب صولينوس (Solinus)⁽³⁾، ولم تعد اليوم موجودة رغم أن البيئة الحالية تتوفر على الظروف الطبيعة التي تضمن استمرار هذه الأنواع، وبالتالي بمقدورنا موافقة الباحث آيت أومغار في قوله أن وجود الفيل بشمال إفريقيا دليل على توفر مناخ رطب ووجود بيئة ملائمة لانتشاره بأعداد كبيرة⁽⁴⁾.

لئن كان مناخ شمال إفريقيا اليوم متوسطي معتدل ممطر في المناطق الساحلية وشبه جاف في المناطق الداخلية، فإنه واستنادا على المعطيات السابقة نستطيع القول بأنه كان أكثر اعتدالا وأكثر مطرا مما هو عليه اليوم⁽⁵⁾، ومع هذا لا نستثني بعض الفترات القصيرة التي تميزت بالاضطراب المناخي ما أدى إلى حدوث الجفاف في بعض المناطق. وهو ما دلت عليه بعض المصادر الأدبية، وقد خلص أحد الباحثين في دراسة له لمناخ شمال إفريقيا في الفترة الرومانية أن

(1) - Suétone, Vie des Douze César, Caligula, 14, trad. Nisard (M), Paris, 1855.

(2) - Espérandieu (G), Éléphant, Ens.Ber. (En ligne), 17 | 1996, document E12, mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 06 août 2020. URL: <http://journals.openedition.org/encyclop-edieberbere/2134>.

(3) - Solin, Recueil de faits remarquables, XXVII, XXVIII, trad.Agnant(M.A), Panckoucke, 1847.

(4) - آيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص61.

(5) - بشاري (م. الحبيب)، روما وزراعة المقاطعات الأفريقية بين 146 ق.م و285م، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص14.

المناخ في تلك الفترة تميز برطوبة تفوق معدل الرطوبة الحالي، غير أنه وابتداءً من القرن الخامس الميلادي عرف المناخ تغيراً تسبب في التحلل⁽¹⁾، وهو يوافق ما توصلت إليه باحثة في دراستها للمناخ التونسي في الفترة القديمة حيث أن تونس في الفترة القديمة شهدت طيلة ثلاثة آلاف سنة وحتى الفترتين البونية والرومانية أمطاراً شتوية معتبرة⁽²⁾.

II- التضاريس:

تشرف المنطقة محل الدراسة على البحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية والشرقية، وباعتبارها جزءاً من المغرب القديم، فإنها تتصل جغرافياً بباقي أقاليمه عبر السهول و الهضاب و الجبال الممتدة من الغرب نحو الشرق في شكل فسيفساء جغرافية تحوي اختلافاً من إقليم إلى آخر، كما أنها تشرف جنوباً على الصحراء الكبرى التي تمتد من مرتفعات البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً⁽³⁾، وفيما يلي وصف لهذه التضاريس.

1 - الجبال:

نظراً لامتداد الجبال في شكل سلاسل جبلية فإنه لا يمكن الحديث عن جبال إفريقيا البروقنصلية دون ذكر امتداداتها في الغرب، حيث نميز سلسلتين جبليتين هما الأطلس الشمالي والأطلس الجنوبي، وكلاهما يتميز بالالتواء، فيمتد الأطلس الشمالي من غرب بلاد المغرب إلى شرقها، فتشغل بذلك النطاقات الشمالية التي يمكن تقسيمها إلى نطاق غربي وآخر شرقي، هذا

(1) - آيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص 70.

(2) - Madeleine (R-B.), La Steppisation en Tunisie depuis l'époque punique: Déterminisme humain ou climatique, Histoire et Archéologie de l'Afrique du nord, IIème colloque international (Grenoble 5-9 avril 1983) Bulletin archéologique du C.T.H.S.-H.S.-19 B, 1985, 220-21.in 64. آيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص 64.

(3) - خميس (محمد)، جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 52.

الأخير يمتد حتى رأس الطيب. وتتميز بالتقطع نتيجة التعرض للحركات التكتونية، يميزها كذلك الانحدار الشديد.

أما الأطلس الجنوبي فإنه يمتد في نطاقه الشرقي - تونس حاليا - من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بمسافة 180 كم، وهي معروفة بعدة أسماء منها الدورسال، التل العلوي، الظهر التونسي، وتتخلل هذه الجبال عدة أودية تصب في البحر أو في نطاقات مستنقعية⁽¹⁾. وتتميز مرتفعات هذه السلاسل بالانخفاض مقارنة مع نظيرتها في الغرب، وتشكل نهاياتها أشباه الجزر والرؤوس البحرية والخلجان، فهي توفر بذلك الهندسة الطبيعية المثالية لإقامة الموانئ كميناء بنزرت⁽²⁾.

تفصل الجبال التلّ في الشمال عن الاستبس في الجنوب فتجعل منهما إقليمين متمايزين هما إقليم التل وإقليم الاستبس يضاف إليهما إقليم الساحل وإقليم الصحراء⁽³⁾، ومن أشهر الجبال نجد كتلي مقعد وخمير في الشمال وإلى الجنوب منها كتلة جبال الظهيرية شديدة التعقيد. نجد بها جبل صمصامة بارتفاع 1314م، يطل على مدينة القصرين وهو ذو لون داكن وقمة عريضة شديدة الانحدار، وجبل مغلية بارتفاع 1378م وجبل بيرتبو⁽⁴⁾، وجبل زغوان بارتفاع 1300م⁽⁵⁾ وإلى الشرق نجد الجبال التي تطل على حوض المجردة، ومثلما نجد كتل الجبال المتقاربة نجد أيضا الجبال

(1) - خميس (محمد)، المرجع السابق، ص ص 55-57.

(2) - عبد الغني (أنور)، الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1982، ص 119.

(3) - الجوهري (يسرى)، جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف، مصر، 1984، ص 285.

(4) - فضيخ (ع.العباس) وآخرون، جغرافية الوطن العربي (دراسة لمعوقات تكامله الإقليمي)، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط.1، الأردن، 1999، ص 68.

(5) - Gsell (S), op cit, p20.

المتفرقة التي تظهر على شكل مخروطي مثل جبل بوقرنين المشرف على ضاحية حمام الأنف⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى الدراسات الجغرافية المقارنة التي حاول أصحابها مطابقة التضاريس المذكورة في الروايات الأدبية بأوصافها مع ما هو اليوم، ومن ذلك مطابقة جبل الرصاص جنوب قرطاج بجبل بالوس (Bellus) الذي ذكره ليفيوس، وأيضا مطابقة جبل زغوان مع جبل زيكونسيس (Ziquensis) المذكور عند فيكتور دو فيتا (Victor de Vita)، وربما يكون جبل زغوان هو نفسه الذي صعدته القائد الإغريقي آغاتوكل⁽²⁾ وأمر جنوده بإشعال النار على قمته لما تراءت له سوسة (Hadrumète) وقرطاج (Carthage) حسب مارواه ديودور الصقلي (Diodorus Siculus)⁽³⁾.

الجبل	الارتفاع	السلسلة/ الكتلة	الإقليم	التسمية القديمة
صمصامة (سمامة)	1314م	الظهير التونسي	الوسط الغربي	/
زغوان	1300م	الظهير التونسي	الشمال الشرقي	زيكونسيس
بوقرنين	576م	الظهير التونسي	الشمال الشرقي	/
جبل الرصاص	795	الظهير التونسي	الشمال الشرقي	بالوس
الشعابي	1544	الظهير التونسي	الوسط الغربي	/

جدول (1) : أهم جبال البروقنصلية (إنجاز الطالب)

2- الهضاب و السهول:

(1) - فضيخ (ع.العباس) وآخرون، المرجع السابق، ص 68.

(2) - Tissot (Ch), Géographie comparée de la Province Romaine d'Afrique, T.1, Imprimerie Nationale, Paris, 1884, pp 29-30

(3) - Diodore de Scicile, Bibliothèque Historique, XX, 17, Trad. Ferd Hoefer, T.3, Librairie de L.Hachette et Cie, 2émeed., Paris, 1865.

تمثل السهول حوالي ثلث أراضي البروقنصلية - إقليم واسع من تونس الحالية-، وتتميز السهول بالإستواء مع وجود بعض الكتل المرتفعة، وتتسع في صفاقس وسوسة ورأس الطيب وتونس، كما تتميز السهول الساحلية بالضيق والتقطع بواسطة الحواف الشمالية لجبال التل⁽¹⁾، وتمثل السهول الداخلية مساحات واسعة من الصحراء في الجنوب تمتد شمالا إلى شط الجريد⁽²⁾، ويعتبر سهل مجردة من أهم السهول فهو ينحصر بين الأطلس الشمالي في الشمال ومرتفعات الأطلس الجنوبي في الجنوب، تكون هذا النطاق السهلي بفعل رواسب نهر مجردة⁽³⁾ الذي يخترق سهلين آخرين هما سهل غار الدماء وسهل الدخلة، يمتد الأول لمسافة 20 كم ويكبر عنه السهل الثاني، وهما مفصولين بحاجز كونه النهر، تم تسميتهما حسب قزال بالسهول الكبرى⁽⁴⁾ من قبل بوليبيوس "... وبعد ثلاثين يوما من السير، أقاموا معسكرهم في مكان يسمى السهول الكبرى: واتحدوا مع النوميديين..."⁽⁵⁾، في حين تمتد جنوب سهل مجردة الهضاب الفيضية الخصبة والتي تعد استمرارا للسهول العليا في الجزائر، تكونت بفضل ماحملته المجاري المائية العابرة بها، وتتميز في تكوينها بالتربة الجمعرية (Marne) المختلطة بمادة الفوسفات⁽⁶⁾.

كذلك نميز نطاقات سهلية ساحلية تمتد من الحمامات شمالا إلى طرابلس جنوبا، وهي ذات تكوينات رملية يبلغ ارتفاعها حوالي 250 م عن سطح البحر⁽⁷⁾، من أشهر سهولها الرملية سهل

(1) - فضيخ (ع.العباس) وآخرون ، المرجع السابق، ص54.

(2) - نفسه، ص56.

(3) - خميس (محمد)، المرجع السابق، ص60.

(4) - Gsell (S), op cit, p19.

(5) - Polybe , XIV, 7.

(6) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 11.

(7) - خميس (محمد)، المرجع السابق، ص66.

سوسة الذي عرف بحجم سنابله الكبير⁽¹⁾ وسهول ماطر وبنزرت (*Hippo Diarrhytus*) في الشمال⁽²⁾.

ولا شك أن الفينيقيين عرفوا القيمة النفعية لهذه السهول، فأقاموا أهم مدنها قرطاجة وسط سهل خصيب يتوفر على مناخ معتدل تحيط به المزارع الواسعة من الشمال والشرق والغرب، ومن ثم لم يحل القرن الثالث قبل الميلاد حتى امتلكت قرطاجة قطاعا زراعيا معتبرا يعرف بالشورة (*Chora*)، شمل شمال وشرق تونس اليوم مثل سهول ماطر وبنزرت والرأس الطيب، وسهول الساحل في الجنوب والأراضي المطلة على خليج السرت الصغرى (قابس) حيث انتشرت الواحات، واستولت على السهل الأوسط لمجردة⁽³⁾. ويوضح هذه الثورة الزراعية التي عاشتها قرطاجة وماحولها من مدن ما أورده ديودور على لسان القائد الإغريقي آغاتوكليس الذي لاحظ مظاهر البذخ والترف فقال: "... هذه البلاد التي نعبها تتخللها الحدائق والبساتين المسقية بالعديد من الينابيع والقنوات، الأرض مزروعة بالكروم وأشجار الزيتون وأشجار فاكهة متنوعة... رؤية الصقليين لهذا البلد الغني والجميل، جعلتهم يُعجبون به واعتبروه ثمنا يستحق التضحية لأجل النصر." ⁽⁴⁾.

نستطيع أن نتصور إذن الخلفية التاريخية للحملات الإغريقية والرومانية على شمال أفريقيا، ونتصور معها دور الطبيعة الجغرافية كعامل جذب للعناصر البشرية وإمكانيتها التسبب في الحروب والصراعات، فقد أدرك الرومان خصوبة السهول الأفريقية ومقدرتها على إنعاش اقتصادهم،

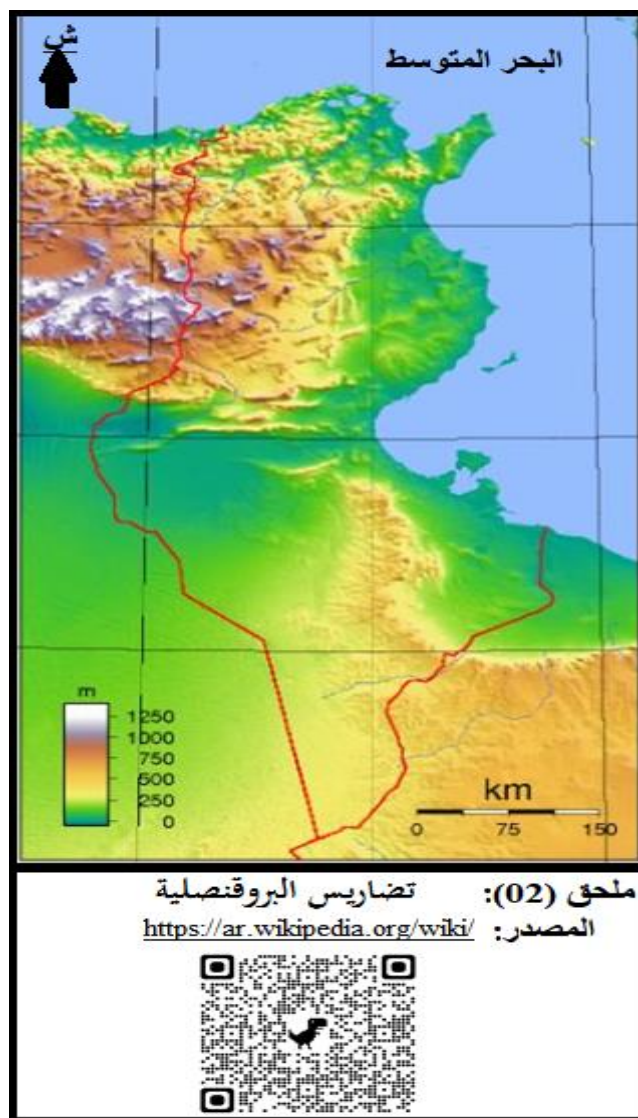
(1) – Gsell (S), op cit, p 21.

(2) – بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 11.

(3) – نفسه، ص ص 21-22.

(4) – Diodore, Bibliothèque Historique, XX, 8.

بعد أن أثّرت مخاوفهم من خطر منافسة الانتاج الزراعي القرطاجي للإنتاج الروماني خاصة وأن الزراعة في روما كانت آنذاك تمر بأزمة حادة⁽¹⁾.



(1) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 95.

III- المظهر الهيدروغرافي:

مثّل الماء العامل الأساسي لقيام الحضارات القديمة، حيث عمد الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ إلى البحث عن مصادر للمياه، ثم لما انتقل من حياة التنقل والترحال إلى حياة الاستقرار؛ كانت الأنهار ومنابع المياه هي السبب في استقراره في منطقة دون أخرى، فتحكمت مصادر الماء بشكل مباشر في مواطن قيام الحضارات الأولى، واستمر الأمر إلى الوقت الحالي. ولم تشذ أفريقيا البروقنصلية عن هذا، إذ نلاحظ إقامة عدة مدن بالقرب من مصادر مائية، ولعل أبرز النماذج على هذا مدينة أوتيكا (Utique) في جوار مصب واد المجردة ومدينة بنزرت (Hippo Diarhytus) بالقرب من بحيرة بنزرت، ومدينة عنابة (Hippo Regius) بالقرب من مصب واد سيوس⁽¹⁾.

رغم أن المجاري المائية عموما في شمال أفريقيا مؤقتة الجريان خاصة الداخلية منها حيث تتميز بكونها غير صالحة للملاحة لقلة عمقها وتذبذب جريانها، إذ يرتفع منسوبها شتاءً وتجف صيفا، أما أودية الصحراء فهي أودية كاذبة تمتلئ مجاريها حين سقوط الأمطار ثم تغور مياهها في الرمال، ومع هذا فهي تبقى مصدرا مهما للماء بالنسبة للإنسان والحيوان والزراعة⁽²⁾، ودون شك تلعب الشبكة الهيدروغرافية وتوزعها دورا أساسيا في مظهر البيئة الجغرافية، وبالنسبة لأفريقيا البروقنصلية فقد ذكرت العديد من الوديان في مؤلفات الكتاب القدامى، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ الإغريقي هيرودوت (Hérodote) في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أشار إلى وجود نهر باسم كينيس (Cynips) حيث قال " ويسكن هؤلاء - الغرامنت - وراء الناسامونيس إلى الداخل، أما على ساحل البحر فيليهم غربا المكاي (Makai) الذين يخلقون شعر رؤوسهم... ويجري نهر

(1) - آيت أومغار (سمير)، الماء والاستقرار...، المرجع السابق، ص 107.

(2) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 15.

كينيس عبر أرضهم ...⁽¹⁾، وينتهي مجرى هذا النهر في البحر المتوسط على مقربة من مدينة نيابوليس (Napolis) وهو معروف اليوم باسم واد الخمان⁽²⁾، بالإضافة لذكره نهرًا باسم تريتون يصب في بحيرة تريتونيس العظمى تضم جزيرة باسم فلا⁽³⁾.

كما أظهرت لوحة بوتينجر وادا باسم يوبوس (Ubus Flumen) على بعد خمسة أميال شرق عنابة (Hippo Rigijs)⁽⁴⁾ وهو نهر سييوس حاليا⁽⁵⁾.

كذلك نجد مجاري مائية أخرى من بينها واد تاسة وواد خلاد وواد سليانة في الشمال، وهي روافد لنهر مجردة، وواديان أخرى في الغرب مثل واد ملاق، أما في الجنوب والشرق تجتمع عدة مجاري مائية في سبخة القلبية بالقرب من القيروان⁽⁶⁾.

ويعتبر واد مجردة من أهم الوديان في المنطقة، ولا شك أن ذلك يرجع إلى المسلك الذي يتخذه في جريانه بالإضافة إلى طوله. وقد ذكر هذا الواد في مؤلفات الكتاب القدامى، فنجد الإشارة إليه باسم مكار (Macar) عند بوليبيوس "... يقطع نهر مكار جميع الطرق التي يمكن من خلالها مغادرة المدينة...⁽⁷⁾ وباغرادا (Bagrada) عند كل من الجغرافي سترابون "... يجري

(1) - هيرودوت، المصدر السابق، ك. 4، ف. 175.

(2) - حمداش (فهيمه)، الحياة الاقتصادية في أفريقيا البروقنصلية من إصلاحات أوغسطس إلى إصلاحات دوقلتيانوس، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2017-2018، ص 23. تجدر الإشارة إلى أن مترجم تاريخ هيرودوت في النسخة التي اعتمدت عليها في هذا البحث ذكر على هامش ذكره لهذا الواد أن المقصود منه هو وادي "كعام" الذي ينبع من تل جنوب شرق لبدّة. ينظر: هيرودوت، المصدر السابق، ص 120، الهامش 2.

(3) - نفسه، ك. 4، ف. 178.

(4) - Table of Peutinger.

(5) - حمداش (فهيمه)، المرجع السابق، ص 23.

(6) - Gsell (S), op cit, p19.

(7) - Polybe, Histoires, I, 75. ; Chelbi (F), Paskoff (R), Trouset (P), La baie d'Utique et son évolution depuis l'Antiquité : une réévaluation géoarchéologique, Antiquités africaines, N°31, 1995, p8.

نهر باغرادا بالقرب من إيتيكا (أوتيكا)...⁽¹⁾ وبلينيوس "... نعرف قصة الثعبان الذي تمت محاصرته من طرف ريجولوس في الحروب البونيقية بالقرب من نهر باغرادا..."⁽²⁾ بالإضافة إلى لوكانوس (Lucanus) "... على ضفة نهر باغرادا الذي تعبر مياهه ببطئ الرمال القاحلة..."⁽³⁾ وينبع هذا الواد من أعالي قسنطينة في الجزائر ويجري لمسافة 228 كم تقريبا إلى مصبه في خليج تونس، فيحمل معه الكثير من الرواسب إليه⁽⁴⁾.

IV- الغطاء النباتي :

يصعب تقديم الوصف الدقيق للغطاء النباتي السائد في الفترة القديمة كون ذلك يعود إلى حقبة زمنية بعيدة من جهة والتغيرات الطارئة على المناخ في العهود اللاحقة من جهة أخرى، فإن قدرنا وجود غابات فإنها ستكون قد اختفت أو على الأقل أصابها التغير العميق بفعل تغير المناخ واتجاهه نحو التقحل أكثر أو نتيجة تدخل العنصر البشري، وقد لاحظ محمد الحبيب بشاري⁽⁵⁾ تضاربا في المصادر الأدبية القديمة بشأن وجود ثروة غابية بعموم بلاد المغرب، فهيرودوت من القرن الخامس قبل الميلاد يذكر أنه إلى الغرب من نهر تريتون حيث مساكن الماكسيس أرض غابية تسكنها الوحوش والأمر هكذا كلما اتجهت نحو الغرب⁽⁶⁾، وإذا كان هيرودوت لم يزر الأرض الليبية قط واكتفى بنقل ما سمعه عنها قد قدم هذا الوصف، فساليستيوس الذي استقر بها يتحدث عن عدم وجود الخشب في شمال أفريقيا الأمر الذي دفع بالأرمن والفرس والميديين المستقرين بها

(1) – Strabon, Geographie, XVII, III, 13, Trad. Amédée Tardieu, T.1, Librairie de L.Hachette et Cie, Paris, 1887.

(2) – Pline l'Ancien, Histoire naturelle, VIII, 14, Trad. E. Littré, M. Nisard, Paris, 1877.

(3) – Lucain, La Pharsale, IV, 580, Trad. Marmontel, GARNIER frères Libraires éditeurs, Paris, 1865.

(4) – خميس (محمد)، المرجع السابق، ص ص 60-61.

(5) – بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 203، الهامش 1.

(6) – هيرودوت، المصدر السابق، 4، 191.

حديثا آنذاك استعمال سفنهم كأكواخ⁽¹⁾، لكنه أشار في فقرة متقدمة أن الجيتول والليبين يتغذون على لحوم الحيوانات المتوحشة⁽²⁾، فهل كانت تلك الحيوانات المتوحشة تعيش في بيئة غير غابية ثم مايلبث أن يذكر في موضعين آخرين من كتابه الغابات التي لجأ إليها يوغرطة وجيشه إحداها بالقرب من قالة (Calama)، كما ذكر وجود الزيتون البري والآس في سلسلة مرتفعات بالقرب من نهر موثول (Muthul) في الإقليم النوميدي⁽³⁾، ومع هذا التضارب والتناقض في روايات هذا المؤرخ يصبح الاستدلال بنصوصه دون تمحيصها ومقابلتها بنصوص أخرى أمرا غير منهجي ولا موضوعي، وقد عقب قزال على عبارة "الأرض جرداء من الأشجار" في كتاب هذا المؤرخ بأنه متأكد أكثر مما يجب⁽⁴⁾.

يضاف إلى هذه الرواية ما أخبر به القديس أوغسطينوس (Augustinus) الذي نشأ بالمنطقة وعرفها جيدا، فيتحدث عن عدم وجود غابات يستظل بها حتى الذباب في نوميديا⁽⁵⁾. فهل تعلق الأمر أيضا بالبروقنصلية التي كانت محل إقامته والمتداخلة حدودها بنوميديا عبر سلسلة من الجبال كما تقدم ؟ من سياق حديثه يظهر عكس ذلك، وإذا ما وضعنا شهادة القديس هذه في السياق الذي وردت فيه نجده يحاول بشدة مناظرة الدوناتيين وتبيان بطلان روايتهم، ودحض افتراءاتهم وإظهار كلامهم بأنه مخالف لكلام الرب، ومقابل ذلك يدل على موقفه ويجهده في إعلائه، فشهادته هذه لم تأت كوصف للمنطقة وإنما جاءت ضمن خطاب ذاتي ينتصر فيه لموقفه ووجهة نظره، أو أنه كان يعني بكلامه المناطق المتداخلة بين نوميديا وجيتوليا⁽⁶⁾، إلى جانب هذا نجد

(1) - سالوستيوس، المصدر السابق، 18، 5.

(2) - نفس المصدر، 17، 6.

(3) - نفس المصدر، 38، 1؛ 54، 3؛ 48، 3.

(4) - Gsell (S), op cit, p149.

(5) - Saint Augustin, Sermons, Le pasteur unique, XLVI, 39, Trad.et direction M. Raulx, t.11, L. Guérin et Cie Editeurs, 1868.

(6) - Gsell (S), op cit, p150.

لوكانوس من القرن الأول الميلادي يتحدث عن وجود الغابات "... آيادينا هي التي حملت الفأس في هذه الغابات المجهولة عندما سافر ترفنا إلى أقاصي العالم للبحث موائد لأعيادنا..."⁽¹⁾، ويصف فيتروفيوس (Vitruvius)⁽²⁾ أيضا أحد أنواع خشب أفريقيا، وقد ذكر الشاعر كوريبيوس (Corippus) في العديد من المرات الغابات الكثيفة؛ "...وصل مسرعا إلى أعالي الجبال ونصب خيامه في موقع ممتاز داخل الغابات...تنتشر قواقم في كل مكان، في الجبال وتحت ظلال أوراق الأشجار في الغابات العالية...لم يعد الطير الكاسر يجرؤ على بناء عشه الجميل على قمم الأشجار أو بين أوراقها..."⁽³⁾، واستدل قزال على وجود الغابات قرب قرطاجة بقيام القنصل كونسورينوس (Censorinus) منتصف القرن الثاني قبل الميلاد بالبحث عن مواد لصنع السلام بعد أن عبر بحيرة تونس⁽⁴⁾، ومع هذا يورد ملاحظة مهمة لا يمكن تجاهلها وهي تتعلق بلفظ سالتوس (Saltus) الذي استعمله المؤرخون القدامى، حيث يرى أنه لا يعني بالضرورة الغابة فقد يشمل أيضا المزرعة⁽⁵⁾. إلا أن هذا في الحقيقة لا يجعل كل النصوص القديمة استعملت هذا اللفظ للدلالة على المزارع دون الغابات من جهة، ومن جهة أخرى أتساءل عن كثافة أشجار تلك المزارع وتشابها مع كثافة الغابات لدرجة التباس الألفاظ عند وصفها !.

أمام هذا التضارب في المصادر الأدبية، تُقدم دراسات علم النبات (Botany) والدراسات المختصة بانتقال حبوب اللقاح وتأريخ النباتات معطيات أكثر دقة، حيث أثبتت دراسة لحبوب اللقاح على خليج قابس وجود أشجار متنوعة في عدة أسرة تنتمي لفترة الهولوسان (Holocen)، من بين تلك الأشجار نعثر على الصنوبر، البلوط، البطم (Pistacia)، السرو

(1) – Lucain, La Pharsale, IX, 400.

(2) – Vitruve, De l'architecture, II, 9, trad. M. Ch.-L. Maufras, T.1,C. L. F. Panckoucke, Paris, 1847.

(3) – Corippe, La Johannide, II, 1-49, Trad. J. ALIX, Revue tunisienne, T. 7, 1900.

(4) - Gsell (S), op cit, 141.

(5) - ibid, p 143.

(Cupressacees)، الزيتون ونباتات أخرى⁽¹⁾، وهذا يتوافق مع ماذهب إليه محمد الهادي حارش حيث يرى أن شمال أفريقيا لا تختلف عن مثيلاتها من أقاليم الحوض الغربي للمتوسط من حيث الطابع النباتي فنجد أشجار البلوط والعرجار والعفصية والعناب والخلنج، بالإضافة إلى الأرز⁽²⁾، ونفس الملاحظة أبدوها قزال حيث لاحظ تشابه نباتات شمال أفريقيا مع نباتات إسبانيا وجنوب فرنسا وصقلية وإيطاليا⁽³⁾، الذي وصفه بلينيوس بأجود أنواع الخشب⁽⁴⁾. وقد ضمّن تيسو دراسة له عن مقاطعة أفريقيا الرومانية ملاحظة مفادها أن الخشب توفر في الفترة الرومانية أكثر من الفترة المعاصرة، إذ بدأ انحصار الثروة النباتية بها ابتداءً من نهاية العهد الإمبراطوري⁽⁵⁾.

أشارت باحثة⁽⁶⁾ في دراستها للتبادل التجاري بين إيطاليا وبلاد المغرب القديم إلى استفادة الرومان من غابات المغرب استفادة كبيرة وخاصة شجر البلوط والأرز وشجر العفصية، كذلك أظهرت إحدى النقائش اللاتينية⁽⁷⁾ بمدينة قرطاجة وكيلا لنقابة تجار الخشب (*Dendrofoli Patrono*)، وهو مايعتبر دليلا على ازدهار هذه التجارة من جهة وتوفر الغابات التي يُحْتَطَب منها من جهة أخرى.

ومن الشواهد التي تم إيرادها، يمكننا القول بتوفر الثروة الغابية ببلاد المغرب القديم عموما، وذلك وفق ما دلت عليه بعض النصوص الأدبية والمادية وما أثبتته الدراسات العلمية، غير أن

(1) – Brun (A), Pollens dans les séries marines du Golfe de Gabès et du plateau des Kerkennah (Tunisie) : signaux climatiques et anthropiques, Quaternaire, vol. 3, n°1, 1992, P 34.

(2) – حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص 15.

(3) - Gsell (S), op cit, p137.

(4) – Plin, Histoire Naturelle, XVI, 76.Trad. E. Littré, M. Nisard, Paris, 1877.

(5) - Tissot (Ch.), op cit, p 278.

(6) – مسعودي (آسيا)، التبادل التجاري بين إيطاليا وبلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول-القرن الثالث)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، الجزائر، 1987-1988، ص ص 27، 28.

(7) – CIL, VIII, 12570.

ذلك لا يمنعنا من القول أن المساحات الغابية انحسرت بالموازاة مع تقدم الصحراء لأسباب بشرية أو مناخية، وهو ما يفسر وصف بعض المصادر لمناطق بأنها غابية⁽¹⁾ وأصبحت اليوم مناطق صحراوية بالكامل⁽²⁾.

إذا كان تغير المناخ واتساع دائرة الجفاف قد لعبا دورا في اختفاء الغابات، فإن للعامل البشري دورا لا يقل عن المناخ في إلحاق الضرر بالثروة الغابية، فقد تحدث بلينيوس في فترته عن استنفاد شجر العفص من طرف الرومان الذين بالغوا في صنع الموائد الفاخرة بخشبه⁽³⁾، فيظهر بذلك الجشع الروماني في التمتع بحياة الرفاهية والترف على حساب ثروات غيرهم، ولم يُستعمل الخشب الإفريقي في صناعة وسائل الرفاهية فقط، فالحاجة لصناعة السفن وعدم وجود بعض المواد الخام كانت هي السبب الرئيس في انقراض معظم الثروة الخشبية، ولم تكن الرغبة في صناعة السفن هي العامل الوحيد وراء اختفاء المظهر النباتي الطبيعي، فقطع الغابات قد ارتبط في كثير من الأحيان باحلال الزراعة محلها أو تقدم نشاط الرعي، كما أن الغابات الدائمة الخضرة والغابات المختلفة في المناطق المنخفضة قد اختفت وحلت محلها أنواع من الأشجار أكثر نفعا مثل شجرة الزيتون والتين⁽⁴⁾ التي لها إيجابيات إقتصادية وغذائية.

بعد هذا الوصف الموجز لطبيعة أفريقيا البروقنصلية تتضح بعض الاستنتاجات التي يمكن ابرازها في النقاط التالية:

- حاولت المدرسة التاريخية الغربية توظيف المعطيات التاريخية بما يخدم توجهاتها، ومن ذلك حرص بعض المؤرخين وإبرازهم للدور الإيجابي الذي أداه الرومان في انعاش المنطقة وازدهارها بعد احتلالهم لها، بعد تأكيدهم على عدم تغير مناخ المنطقة ومطابقته مع الفترة المعاصرة، مستغلين في ذلك

(1) – Shaw (B. D.), op cit, p 125.

(2) – Oreste (R.), Paul (D.), op cit, p167.

(3) – بليني الأكبر، المصدر السابق، ك. 13، 29، 3.

(4) – الجوهري (يسرى)، المرجع السابق، ص35.

بعض الإشارات التي لا يمكن الاعتماد عليها مجردة من التحليل والمقارنة مع معطيات أخرى، وما يثبت وجهة النظر هذه هو العودة إلى معطيات علمية أكثر دقة تقدمها علوم مساعدة للتاريخ كعلم الجيوأركيولوجيا وعلم النبات وعلوم أخرى، تدعم دراساتها نظرية تفحل المناخ واختلافه على ماهو عليه الآن.

- أشارت مختلف المعطيات التاريخية والعلمية إلى غنى المنطقة الطبيعي، وتنوع مظاهر السطح فيها، فوجود السهول الخصبة والوديان الجارية والغطاء النباتي ساهم بشكل فعال في ازدهار المنطقة سواء في الفترة القرطاجية أو الفترة الرومانية فيما بعد، حيث وفرت أفريقيا البروقنصلية بهذه الجغرافية عاملا آخر لازدهار الإمبراطورية الرومانية، وليس من المستبعد أن تكون هي المحفز لأطماعهم التوسعية، إذ كانت ولاية أفريقيا البروقنصلية تعد في نظر الرومان أرض الحبوب ولقبوها بمطمور روما⁽¹⁾.

(1) - حافظ (خديجة)، أغسطس وسياسة في مصر وشمال أفريقيا من 44 ق. م. الى 14 م، رسالة ماجستير، جامعة التحدي، ليبيا، 2007، ص 10.

الفصل الأول:

الجدور التاريخية لنشأة إفريقيا البروقنصلية

I- إحتلال قرطاجة سنة 146 ق.م.

II- أثر التوسع بنوميديا على الولاية الرومانية.

III- تداعيات الصراع بين أوكتافوس وأنطونيوس.

I- إحتلال قرطاجة سنة 146 ق.م:

لا يمكن بأي حال الحديث عن مقاطعة إفريقيا البروقنصلية والتعرض لها بالدراسة التاريخية دونما التطرق إلى الأحداث التي أدت بها إلى الوقوع تحت الاحتلال و إلى الأدوار التاريخية التي مرت بها أثناء الحكم الروماني لها، إذ تفرض الدراسات التاريخية علينا الرجوع إلى حقبة سابقة لكي لا يُحدث القطيعة التاريخية الكرونولوجية بين الأحداث المتسلسلة، ومن هنا كان لا بد من الرجوع بتاريخ المنطقة إلى بداية التواجد الروماني بها.

نعلم من خلال كتابات المؤرخين القدامى الإغريق منهم واللاتين أن الدولة القرطاجية كانت قد دخلت في صراع مع الدولة الرومانية منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وهو صراع حول السيادة السياسية والإقتصادية في المنطقة⁽¹⁾، بعد أن سيطر الرومان على معظم شبه الجزيرة الإيطالية وتقلصت الفجوة بين مناطق نفوذ القوتين⁽²⁾ حدث ذلك الاصطدام العسكري الذي اصطاح عليه بالحروب البونيقية (264ق.م-146ق.م)، حيث مرت تلك الحرب بثلاث مراحل انتهت بسقوط قرطاجة ودخولها تحت النفوذ الروماني والسيادة الأجنبية لأول مرة .

كما أن الحديث عن دخول الأراضي القرطاجية تحت سيطرة الرومان يقودنا إلى التعمق في الأسباب التي أدت إلى نشوب الحروب البونيقية، فالطرفان كانا قبل تاريخ الحرب بينهما بكثير قد أبرما عدة معاهدات سلم، اتضح أنه يجب عدم إهمال الحديث عنها.

(1) - عبد الرزاق (يسرى)، شمال إفريقية دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية، مصر، 1970، ص158.

(2) - وارمنجتون ب.ه، تاريخ إفريقيا العام (حضارات إفريقيا القديمة) العصر القرطاجي، مج.2، اليونسكو، 1985، ص 476.

1- إتفاقيات السلم بين قرطاجة وروما:

كما هو عليه حال القوى العالمية الكبرى اليوم، يعتبر عقد الاتفاقيات وإبرام المعاهدات وسيلة تدخل ضمن التكتيكات العسكرية المدروسة - رغم طابعها التجاري أحيانا- والتي من شأنها أن تجنبها الدخول في صراعات حربية ولو لفترة مؤقتة، وقد أبرم القرطاجيون مع الرومان ثلاث معاهدات حسب ما ذكره بوليبيوس (Polybius) ⁽¹⁾، والتي سيتبين فيما بعد أن عددها يصل الأربع معاهدات وفق نصوص مؤرخين آخرين، مع الإشارة إلى أن إهمال ذكر أغلب تواريخها صعب على الباحثين مسألة ضبطها.

قد كانت أولها مع بداية العهد الجمهوري في روما حينما تولى الحكم فيها قنصلين منتخبين هما (Lucius Junius) و (Marcus Horatius) وفق بوليبيوس ⁽²⁾، الذي ذكر أن تاريخهما كان قبل غزو الملك الفارسي زركسيس (Xerxés) ⁽³⁾ لبلاد الإغريق بثمانين وعشرين سنة حيث تكون حوالي سنة 508 ق.م. بافتراض أن هذا الحدث كان سنة 480 ق.م. ⁽⁴⁾، وهو تاريخ قريب من الذي افترضه قزال (507 ق.م) ⁽⁵⁾، رغم أنه نفسه يقول بعد تحليله لمرويات بوليبيوس أن تاريخ هذه المعاهدة يسبق التاريخ الذي ذكره بكثير ⁽⁶⁾.

ليس من المستبعد أن تكون روما قد لجأت إلى عقد هذه الاتفاقية لتأمين جانب القرطاجيين،

(1) – Polybe, III, 22-25.

(2) - Ibid.

(3) - زركسيس: زركسيس الأول أو خشايرشا (Khshaiarsha) مابين 485-465 ق.م ملك فارس وولي عهد الملك داريوس استأنف حرب والده ضد بلاد الإغريق سنة 480 ق.م وانتصر عليهم في عدة معارك غير أنه هُزم في النهاية واضطر إلى التراجع. Cary (M), and others, the oxford Classical Dictionary, Oxford University Press, UK, 1957, p964.

(4) - مكاوي (فوزي)، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته (من أقدم العصور حتى 322 ق.م)، دار الرشاد الحديثة، ط.1، الدار البيضاء، 1980، ص 141.

(5) - Gsell (S), H.A.A.N, T.3, Librairie Hachette, Paris, 1918, p67.

(6) - Ibid.

ومن ثم الانشغال بصراعاتها مع الشعوب المجاورة لها كالإغريق⁽¹⁾ أو الإتروسك⁽²⁾ لاسيما أننا لا نملك معلومات بخصوص الطرف الذي بادر إلى عقد هذه الاتفاقية، وينبغي الإشارة هنا إلى أن روما قد عقدت معاهدة مع اللاتين بعد حوالي خمسة عشر سنة من معاهدتها مع القرطاجين أي حوالي 493 ق.م⁽³⁾، سمحت لها بإنشاء حلف عسكري روماني-لاتيني، ولتجعلهم - اللاتين - درعا لحمايتها من الشعوب البربرية الأيكيوى (Aequi) والفلولسكي (Volsci) في جبال الأبنين، وهي المعاهدة المعروفة بمعاهدة كاسيوس (Foedus Cassium) نسبة إلى القنصل الذي أبرمت في فترته⁽⁴⁾، وقد أشار المؤرخ ديونيسيوس الهاليكارناسي (Dionýsios Halicarnasse) إلى هذه المعاهدة وذكر أن تاريخها أصبحا عيداً يُحتفل به⁽⁵⁾.

من أهم بنود المعاهدة الرومانية القرطاجية الأولى أن تكون السيادة على سهل اللاتيوم لروما، غير أن سفنها لا ينبغي أن تمارس الملاحة غربي قرطاجة من البحر المتوسط، ولا أن ترسو في جزيرة سردينيا إلا للتصليح أو التموين ولفترات غير طويلة⁽⁶⁾، بالإضافة إلى بعض البنود الأخرى والتي نجدتها مفصلة عند بوليبيوس⁽⁷⁾.

الملاحظ هنا هو أن أهم ما نصت عليه شروط هذه المعاهدة قد تعلق بالمجال الجغرافي وحدود السيادة التي لا ينبغي أن تتجاوزها كلتا القوتين، وهو الأمر الذي يعتبر خرقاً للاتفاقية دون شك.

(1) - Anthony-Marc (S), La République romaine et ses alliances militaires pratiques et représentations de la "societas" de l'époque du "foedus Cassianum" à la fin de la seconde guerre punique, t.1, Thèse Doctorat, Université Panthéon-Sorbonne, Paris, 2003, p42.

(2) - عمران (رجب سلامة)، الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع والاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري (509 ق.م - 31 ق.م)، مكتبة الثقافة، القاهرة، د.ت.، ص 30.

(3) - Salmon (E. T), Rome and the Latins I, Phoenix, n° 3, vol.7, Classical Association of Canada, 1953, p93.

(4) - عمران (رجب سلامة)، المرجع السابق، ص 31.

(5) - Denys d'Halicarnasse, Les Antiquités Romaines, VI, 95, trad. Fr. Bellanger, Paris, 1723.

(6) - سرحان (أبو بكر)، الحروب البونية بين روما وقرطاجة (264 ق.م - 146 ق.م) أسبابها - أحداثها - نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 35، القاهرة، 2013، ص 102.

(7) - Polybe, III, 22.

رغم أن ظاهر المعاهدة تنظيم للتجارة فقط⁽¹⁾. وقد يتبين لنا جليا من هذا أن فكرة التوسع كانت هي الموجه للسياسة الخارجية لكل من روما وقرطاجة، إذ يتحدد عدوك حسب الاتجاه الذي تسير نحوه سفنك، ومثل هذا لا نستغربه في العالم القديم إذا ما وضعنا هذا التصور موازيا للأوضاع الاجتماعية، الاقتصادية والعسكرية التي تتداخل في نقاط كثيرة بالسياسة العامة لأي دولة، هذا إن لم نقل أن الموازنة بينها هو السياسية في حد ذاتها. وهو أمر أراه يحتاج إلى دراسة مستقلة تكون عميقة لإظهار الخلفيات الكامنة والمؤثرة على العلاقات الخارجية وسياسات الدول القديمة.

كما تم الإشارة إليه سابقا؛ فهذه المعاهدات يشوبها بعض الغموض بسبب تناقض الروايات عنها عند كل من بوليبيوس، ديودور الصقلي وليفيوس. ومع صعوبة الترجيح، خاصة مع غياب تواريخ بعضها، فقد وصفها إيرغون (Heurgon) أنها إحدى مسائل الخلاف بالنسبة للباحثين اليوم⁽²⁾، ومهما يكن فإن هذا لا ينفي وجودها البتة، بل يؤكد أن الطرفان عرفا فترة طويلة من السلم قبل أن يدخلا في الحرب والصراع، وهو الغرض من هذا المبحث، أي التأكيد على وجود مرحلة سلم بينهما، ولأجل ذلك نورد توضيحا لتواريخ تلك المعاهدات وتسلسلها الزمني.

ذكر المؤرخ بوليبيوس أقدم النصوص حولها، حيث نجد أولى المعاهدات كما ذكر سابقا يعود إلى نهاية القرن السادس قبل الميلاد، ثم يذكر معاهدة ثانية لكنه يهمل ذكر تاريخها، وأخيرا يجعل ثالث معاهدة وآخرها مع تدخل بيرهوس - حوالي 279 ق.م -⁽³⁾.

أما عن ديودور فإنه يكتفي بذكر معاهدة بتاريخ 348 ق.م على أنها أولاهم⁽⁴⁾، وقد وافقه عليها ليفيوس، هذا الأخير يورد ثلاث معاهدات يجعل لأولها نفس التاريخ الذي ذكره ديودور إلا

(1) - Gsell (S), op cit, p71.

(2) - Heurgon (J), Rome et la Méditerranée occidentale jusqu'aux guerres puniques, Presses Universitaires de France, Paris, 1993, p386.

(3) - Polybe, III, 22, 23, 25.

(4) - Diodore de Scicile, Bibliothèque Historique, XVI, 69, trad.Ferd. Hoefer, Librairie De L. Hachette, T.3,2emeéd, Paris, 1865.

أنه لا يذكر ترتيبها، ثم يذكر أخرى على أنها تجديد للمرة الثالثة بتاريخ 306 ق.م ثم تعقبها معاهدة رابعة بتاريخ 279 ق.م وهي التي وجدناها قبل هذا عند بوليبيوس. وبضم النصوص إلى بعضها نجد أن عدد المعاهدات يصل إلى أربع أولها مع 508 / 507 ق.م وآخرها سنة 279 ق.م. كانت بنودها في كل مرة تخضع للتجديد أو التعديل.

ويمكن مقارنة تواريخ المعاهدات بشكل أوضح في الجدول التالي:

المؤرخ	المعاهدة الأولى	المعاهدة الثانية	المعاهدة الثالثة	المعاهدة الرابعة
بوليبيوس	508 ق.م	بدون تاريخ	279 ق.م	/
ديودور الصقلي	348 ق.م	غير مذكورة	غير مذكورة	غير مذكورة
ليفيوس	348 ق.م (لم يحدد الترتيب)	306 ق.م	279 ق.م	

جدول (2): جدول يوضح معاهدات السلم بين روما وقرطاجة عند المؤرخين القدامى. (إنجاز الطالب)

وأخيرا يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات التي تفسر تأخر المواجهة بين قرطاجة وروما منها:

- فضلت السياسة القرطاجية بناء علاقة تجارية حتى ولو كانت غير رسمية على أن تدخل في صراع حربي - تجاري خاصة إذا ما لم تجد منافسا لها، وهو الأمر الذي يفسر قبولها بعض الشروط التي تظهر بعض الضعف، مثل ذلك البند في المعاهدة الثانية عند بوليبيوس والذي ينص على أن القرطاجيين إذا استولوا على مدينة لاتينية غير خاضعة للسيطرة الرومانية فلهم أخذ المال والأسرى وعليهم تسليم المدينة للرومان⁽¹⁾.

(1) - Polybe, III, 24, 25.

- انشغال الرومان بتوحيد اللاتيوم الذي استغرق حوالي أربعة قرون⁽¹⁾، وصراعهم مع القوى الأهلية كالإتروسكيين، ومحاولة توحيد القطر تحت الزعامة الرومانية، أو بتعبير آخر العمل على نقل روما من روما المدينة إلى روما الدولة، وما يؤكد هذا الافتراض تغير نظام الحكم إلى جمهوري مباشرة بعد إسقاط الحكم الملكي الإتروسكي، والإعلان عن بداية مرحلة جديدة . واستغرقت مرحلة البناء هذه مدة غير وجيزة اصطدمت بنهوض مقدونيا ومساعي الملك فيليب الأول في توحيدها، ثم بداية الزحف الهيليني الذي امتد إلى إمبراطوريات الشرق القديم، فهذا قد فجعل روما تبقى في حالة الحذر الدائم وتترقب ارتداد هذا الخطر نحو الغرب.

- في المقابل نجد القرطاجيين قد انشغلوا أيضا برد الأخطار عن مناطق نفوذهم، فأغريق صقلية كانوا قد تنامت قوتهم إلى درجة قدرتهم على نقل الحرب إلى الأراضي الإفريقية مع حملة آغانوكليس⁽²⁾، والتي نجحوا في ردها، وأرغموه على ترك معسكره والفرار منه ليلا⁽³⁾.

2- الحروب البونيقية (246 ق.م-148 ق.م).

اصطلح تاريخيا بالحروب البونيقية على الحرب التي جرت بين القوة القرطاجية من جهة والقوة الرومانية من جهة أخرى، وقد كانت أسبابها اللامباشرة عديدة ذكرت بعضها آنفا بشكل ضمني، ولن يتم التطرق إلى هذه الحروب بتفاصيلها كاملة ولكن ذلك سيكون بعرض أحداثها بشكل مقتضب دون التعمق كثيرا، وسأسلط الضوء على أهم المخطات فيها لا غير.

أ- الحرب البونيقية الأولى:

اتخذ الممارتيون من مدينة مسينا قاعدة لهم تنطلق منها هجوماتهم نحو المدن الإغريقية الموجودة في صقلية، ونتيجة لذلك قام هيرون (*Hiron*) ملك سرقوسة بمحاصرة مسينا، فاستنجد

(1) - Le bohec (Y), histoire des guerres romaines, Editions Tallandier, Paris, 2017, p91.

(2) - Diodore de Scicile, Bibliothèque Historique, XX, 2.

(3) - Justin, Histoire Universelle, XXII, 8, trad. Jules Pierrot, Panckoucke, 1833.

الممارتيون بالقرطاجيين الذين لبوا طلبهم وتمكنوا من رفع الحصار عن المدينة واتخذوها إحدى مقراتهم. وليس من المستبعد أن يكون القرطاجيون قد كانوا في انتظار فرصة مثل هذه تضمن لهم الاستقرار بمسينا والاقتراب من القدم الإيطالي أكثر وما يوفره هذا الموقع الاستراتيجي من امتيازات تجارية دون الحاجة إلى التدخل العسكري المباشر ضد مسينا، وقد اعتبر الممارتيون الوجود القرطاجي بأرضهم بمثابة الهيمنة، ولأجل هذا سارعوا إلى التخلص منها بإرسال سفارة إلى روما سنة 264 ق.م فكان ذلك السبب المباشر في اندلاع الحرب البونيقية الأولى⁽¹⁾، التي انهزم فيها القرطاجيون رغم الخسائر التي ألحقوها هم أيضا بالرومان⁽²⁾.

نظرا لأن الرومان لم يمتلكوا أسطولا بحريا يضاوي قوة الأسطول القرطاجي الذي تزعم حوض البحر المتوسط لعدة قرون؛ فقد كانت الاستجابة لسفارة الممارتين تعني مواجهة مباشرة مع القرطاجيين، ولذلك احتاجت روما أن تدرس الطلب بتعمق بعرض المسألة أمام مجلس الشيوخ كما جرت العادة، لكن هذه المرة لم يخلص مجلس السينا إلى اتخاذ قرار، وانقسمت أصوات أعضائه بين التأييد والرفض وبالتالي لم يقض بحكم نهائي، الأمر الذي استدعى عرض المسألة على الجمعية الميمنية، بموجب قانون (*Lex Publilia*) الذي سنه الدكتاتور بوبلييوس (*Publilius*) سنة 339 ق.م والذي يخول للسيناتو عرض المسائل عليها⁽³⁾، وهي التي تصوت عادة لقبول معاهدة أو إعلان حرب⁽⁴⁾ حيث تم التصويت بقوة على قرار التدخل الذي تم اعتباره واجبا وطنيا مع إظهار المكاسب التي من الممكن أن تجنيها روما منه.

(1) - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 57.

(2) - سرحان (أبو بكر)، المرجع السابق، ص 106.

(3) - نصحي (إبراهيم)، تاريخ الرومان، ج 1، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ط.2، ليبيا، 1978، ص 167.

(4) - Goldsworthy (A), Fall of Carthage The Punic wars 265-146 B.C., Cassell Military Paperbacks, London, 2003, p39.

قد نعرف تصور الرومان لصعوبات الدخول في حرب مباشرة مع قرطاجة التي كانت سيدة للبحر الغربي للبحر المتوسط آنذاك، إذا علمنا أن مواجهة مع الملك الإغريقي بيرهوس مع كتيبة من الجنود المحترفين وأفياله الحربية تسببت في هزيمتين ثقيلتين على الجيوش الرومانية⁽¹⁾.

مما استفادته روما في حربها ضدها بيرهوس أنها عاينت قوة القرطاجيين عن كثب، إذ نصت آخر المعاهدات بينهما أن يكون القرطاجيون حلفاء ضد بيرهوس العدو المشترك فيقدمون المساعدة بالسفن كلما اقتضى ذلك⁽²⁾. وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن المؤرخ جوستينوس (Justinus)⁽³⁾ يورد أن سفارة قرطاجية مكونة من 120 سفينة بقيادة ماغون وفدت أمام مجلس الشيوخ الروماني تعرض المساعدة العسكرية وذلك بنية محاولة إطالة عمر الحرب أكثر في إيطاليا ! وقد شكر لها المجلس ذلك غير أنه رفض ما عُرض عليه من مساعدة قرطاجية، ويضيف جوستينوس بأن القرطاجيين بعد رفض مساعدتهم قد عرضوها مرة أخرى لكن هذه المرة على الملك بيرهوس.

يمكن اعتبار أن بعض ما رواه هذا المؤرخ مقبول وواقعي إلى حد ما، لكن اعتقاده أن القرطاجيين لم يقدموا المساعدة للرومان إلا لأجل إطالة فترة الحرب في إيطاليا إعتقاد لا يبدو منسجما مع ما أورده، إذ أنه ببساطة لو كان ذلك هدفهم فإنهم كانوا ليعرضوا المساعدة على من تسبب في الحرب ونقلها إلى إيطاليا من باب أولى، إذ دعم بيرهوس سيجعله دون شك يتوغل في إيطاليا وهذا يبدو أقرب إلى الواقعية.

(1) - Ibid, p38.

(2) - Gsell (S), op cit, p73.

(3) - Justin, XVIII, 2.

ما يُستغرب أيضا أن قزال يؤكد إبرام حلف في هذه الحادثة رغم أنه يستند في روايتها على كل من جوستينوس والمؤرخ فاليريوس ماكسيموس (Valerius Maximus) ⁽¹⁾، وكلاهما يذكر أن مجلس الشيوخ رفض هذه المساعدة !.

الواقع أن قرطاجة هي الأخرى قد عاينت الجانب العسكري للرومان، وقدرتهم على توسيع أطماعهم إذا تم القضاء على الملك بيرهوس، وبدا للطرفين بوضوح أن صقلية صارت مجالا استراتيجيا أكثر من ذي قبل، إذ هو نقطة ارتكاز في المتوسط تمكن السائد عليه من المراقبة الجيدة لعدوه، ومن هنا سارعت قرطاجة إلى إقامة حامية عسكرية بمسينا حوالي 265 أو 264 ق.م ⁽²⁾.

بالعودة إلى أحداث الحرب البونيقية الأولى، فقد أرسلت روما جيشا يقدر عدده بأربعين ألف محارب إلى صقلية، ما جعل هيرون حاكم سرقوسة يرسل مبعوثيه إلى الرومان ليبرم تحالفا ⁽³⁾ وقد وقع هذا التحالف في الوقت الذي اقترب فيه أسطول قرطاجي من سرقوسة قصد تقديم الدعم لهيرون ومساندته ! ، وقد أصبح هذا الأخير يلتزم بتقديم المساعدات للجيش الروماني من طعام ومؤونة وسفن طويلة مدة الحرب ⁽⁴⁾، وقد كان انضمام هيرون إلى جانب الرومان أمرا مهما في هذه الحرب ماجعل الشعب الروماني يتلقى هذا الخبر بفرحة كبيرة، وما لا ينبغي أن نغفله كملاحظة هنا هو ثناء المؤرخ بوليبيوس على هيرون في هذا السياق واصفا إياه بالملك ذي الشعبية ⁽⁵⁾، وإن كان ظاهر كلامه يبدو عاديا إلا أننا نستطيع تلمس بعض من الذاتية في مثل هذا النص من نصوصه، إذ تحول عدو الرومان إلى ملك يوصف بالعطوف بعد أن توقف عداؤه لروما وأصبح ممدا لها

(1) - Valère-Maxime, Des faits et des paroles mémorables, III,7, trad. M.Nisard, Classiques Garnier, Paris, 1935.

(2) - Gsell (S), op cit, p74.

(3) - حارث (م. الهادي)، المرجع السابق، ص57.

(4) - Gsell (S), op cit, pp76-77.

(5) - Polybe, Histoires, I, 16, trad. F. Bouchot, Charpentier Libraire- Editeur, T.1, Paris, 1847.

بالمؤونة والمساعدات، ولا شك أن هذه اللاموضوعية ملموسة كثيرا عند الكتاب الكلاسيكيين حينما يؤرخون لأحداث ترتبط بتاريخهم.

سيطر الرومان بعدها على كثير من المدن، فوقعت تحت أيديهم مدينة سرقوسة (Syracuse) و ساجست (Segesta) وهاليكوس (Halicyes) ⁽¹⁾، واستولوا على اكريجنت (Agrigentum) سنة 261 ق.م ⁽²⁾. وبعد مضي سنتين من خسارة القرطاجيين في معركة مسينا وخذلان هيرون لهم جهزوا جيشين أحدهما بقيادة القائد حنون الذي جمعه في ليليبي (Lilybaeum) ⁽³⁾ فتكون من ستين فيلا و ستة آلاف فارس وخمسين ألفا من المشاة ⁽⁴⁾ والثاني بقيادة القائد حنبعل الذي اتجه نحو أكريجنت أين تمت محاصرته من طرف الرومان لكنه استطاع أن يحقق انتصارا عليهم رغم قلة مؤونته، فيما اضطر القائد حنون إلى الانسحاب، ونتيجة لذلك فقد عاقبته السلطة القرطاجية وحاكمته على فشله ⁽⁵⁾، بعد أن خسر حوالي ثلاثة آلاف من المشاة ومائتي فارس وتم أسر أربعة آلاف من جيشه ⁽⁶⁾.

وأمام الهجمات المتكررة التي قادها الأسطول القرطاجي على سواحل المدن التابعة للرومان، لم يجد هؤلاء بدا من مجاراتهم بأسطول بحري أيضا لرد تلك الهجمات وإبعاد الخطر عن مدنهم، فأنشأ الرومان ولأول مرة أسطولا بحريا معتمدين في ذلك على نموذج لسفينة قرطاجية خماسية ⁽⁷⁾ أضافوا لها تقنية الغراب (Corvus) ⁽⁸⁾.

(1) - Gsell (S), loc cit.

(2) - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 57.

(3) - Gsell (S), op cit, p77.

(4) - Goldsworthy (A), op cit, p79.

(5) - Gsell (S), loc cit.

(6) - Goldsworthy (A), op cit, p80.

(7) - Polybe, I, 20.

(8) - عقون (م. العربي)، فصول من الحرب البونية الأولى 264-241 ق.م، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 3، الجزائر، 2009، ص 107.

أضاف الأسطول الروماني الشيء الكثير، إذ غير موازين القوى وأعطى روما دفعا كبيرا للاستمرار في الحرب، فقد ساهم هذا الأسطول في كسب معركة ميليس (Mylae) سنة 260 ق.م⁽¹⁾.

بعد معركة ميليس بادر الرومان إلى الهجوم على عدة مدن وأوقعوها تحت سيطرتهم مثل أليريا (Aléria) سنة 259 ق.م في جزيرة كورسيكا (Corse) وسواحل سردينية (sardes)⁽²⁾ وأتبعه انتصار آخر في إكنوموس (Ecnomus) سنة 256 ق.م، وواصلوا توسعاتهم حتى نزلوا بالأراضي الإفريقية بقيادة ريغولوس (Regulus) لكن قرطاجة وبعد أن سارعت إلى التفاوض رأت أن شروطه قاسية فدافعت عن أراضيها واستطاع القرطاجيون رد هجوم الرومان سنة 255 ق.م⁽³⁾.

بعد رد الهجوم الروماني على الأراضي الإفريقية جرت عدة معارك بين الطرفين أهمها كان في أجريكنت وباليرم (Palerme)⁽⁴⁾ ثم معركة ايجاتس (Aegates) في مارس 241 ق.م والتي أعقبها قبول شروط معاهدة الاستسلام التي وضعتها روما كالتراجع والتخلي عن صقلية والجزر الواقعة بين إيطاليا وقرطاجة فضلا عن الأموال التي تلزم قرطاجة بدفعها مقسطة على عشر سنوات⁽⁵⁾.

ب- الحرب البونيقية الثانية:

فرضت معاهدة الاستسلام وشروط روما واقعا جديدا على القرطاجيين، فقد تقلصت سيطرتهم على الحوض الغربي للمتوسط وتراجعت سلطتهم عليه، فأصبح مجال حركة سفنهم يقتصر على الجهة الغربية (إسبانيا)، فضلا عما واجهته من مشاكل داخلية متمثلة في حرب المرتزقة في

(1) - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 58.

(2) - Gsell (S), op cit, p78.

(3) - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 58-59.

(4) - Gsell (S), op cit, p99.

(5) - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 61.

قرطاجة ثم في سردينيا التي استنجدت بروما فأعادت فرض معاهدة جديدة على قرطاجة تخلت بموجبها على سردينيا وكورسيكا⁽¹⁾.

لتعويض مناطق النفوذ التي فقدوها غربي البحر المتوسط؛ بدأت حروب القرطاجيين وتوسعاتهم في الأراضي الإسبانية⁽²⁾، وذلك باخضاع القبائل القاطنة فيها، فتولى هذا الأمر صديرعل الذي أنشأ مدينة قرطاجنة (Carthagène)، ثم لقي حتفه سنة 221 ق.م فخلفه حنبعل على قيادة الجيوش، وتواصلت على يده الحملات في الأراضي الإسبانية⁽³⁾. غير أن استيلاء حنبعل على مدينة ساغونت (Saguntum) جعل الحرب الرومانية القرطاجية تتجدد مرة أخرى وتدخل مرحلتها الثانية. وقد امتدت هذه المرة لتشمل ثلاث جبهات متفرقة هي إسبانيا وإيطاليا وأفريقيا. وقد اعتبر بوليبيوس حصار القرطاجيين لمدينة ساغونت واخلالهم بشرط عدم التوسع وراء نهر الإيبرو سببان غير مقنعان لتتجدد الحرب بسببهما فهما مجرد ذريعة، فيما تتمثل الأسباب الحقيقية حسبه في السخط والكراهية المتوارثان لدى القادة القرطاجيين تجاه الرومان بدءاً من هاميلكار ومن بعده، ثم الأثر الذي خلفه فقدان صقلية وسردينيا لدى القرطاجيين والغرامة التي فرضت عليهم وأخيراً توسعاتهم في إسبانيا جعلتهم لايفكرون في التراجع⁽⁴⁾.

طلبت مدينة ساغونت المحاصرة مساعدة من روما، فأرسلت بدورها بعثة إلى حنبعل تحذره، غير أنه استنكر عليهم تدخلهم في هذه المسألة وواصل حصاره للمدينة حتى استولى عليها سنة 219 ق.م، وكانت روما قد أرسلت سفارة من مجلس الشيوخ إلى قرطاجة سنة 218 ق.م، تطالبها بتسليم حنبعل، غير أن هذا الطلب تم رفضه وأعلنت قرطاجة مساندتها لقائدها في إسبانيا⁽⁵⁾،

(1) - نفسه، ص 61.

(2) - الجدير بالذكر أن روما هي الأخرى قد كانت لها حروب على جهتها الغربية مع القبائل الغالية . Polybe, II,6. وهو مايين نيتها في التوسع غرباً، نحو بلاد الغال وإسبانيا.

(3) - Gsell (S), op cit, p133.

(4) - Polybe, III,3,4.

(5) - سرحان (أبو بكر)، المرجع السابق، ص 108.

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض الفرضيات التي طرحها عدة باحثين حول تفسير تأخر سفارة الرومان إلى قرطاجنة إلى شهر مارس من سنة 218 ق.م مع أن سقوط مدينة ساغونت كان في خريف 219 ق.م، الأمر الذي جعلهم يعتقدون أن السبب الرئيس لإعلان الحرب لم يكن سقوط المدينة بل عبور حنبعل لنهر الإيرو في ربيع 218 ق.م أو رحيله وجيوشه عن مدينة قرطاجنة متجها نحو النهر، ولم يكن ذكر استيلائه على ساغونت في سفارة الرومان لدى قرطاجنة سوى شكوى إضافية⁽¹⁾.

كان حنبعل ينوي الوصول إلى الأراضي الإيطالية برا، ورغم خطورة الموقف المتمثل في عدم قدرة البحرية القرطاجية على إيصال الدعم نظرا لضعف الأسطول هذا من جانب، ومن جانب آخر متى ما اجتنب البحر سيطول طريقه نحو إيطاليا وبالتالي سيستغرق الأمر فترة أطول وتناقضا في التعزيزات العسكرية لجيشه⁽²⁾، ورغم ذلك عبر حنبعل النهر في جيش قوامه حوالي تسعون ألفا من المشاة يضاف إليها إثنتى عشر ألف فارس وفقا لرواية بوليبيوس خسر الكثير منها أثناء عبوره جبال البيرينيه واستطاع اخضاع قبائل المنطقة إلى جبال البرانس، ثم ترك بها حامية من إحدى عشر ألف جندي⁽³⁾ لاحظ ترددهم في مغادرة وطنهم، ودخل بلاد الغال بخمسين ألفا من المشاة وتسعة آلاف من الفرسان عبر طريق داخلي متجنباً حلفاء الرومان على السواحل، فلم يجد الكثير من الصعوبات في طريقه من قبل أهالي المنطقة⁽⁴⁾.

توقعت روما أن يعبر القائد القرطاجي وجنوده النهر لكن ليس بهذه السرعة، فعجلت بإرسال جيش على رأسه القائد تيبيريوس سمبرونيوس لونغوس إلى إفريقيا وجيش آخر إلى إسبانيا

(1) – Astin (A.E.), Saguntum and the Origins of the Second Punic War, Latomus, T. 26, Fasc. 3, Societe d'Etudes Latines de Bruxelles, 1967, p578.

(2) - Humm (M), La République romaine et son empire De 509 av. à 31 av. J.-C. p163-164, Éditeur Armand Colin, 2018, p162.

(3) – Polybe, III, 35,1.

(4) – Wukitsch (T), Carthage and Roman North Africa, ALRI History 303, Spring Semester, 2011, p87.

يقوده بوبليوس كورنيليوس سكيبو⁽¹⁾ ليمنع حنبعل من التحرك لنجدة قرطاجة أو مواصلة تقدمه اتجاه إيطاليا⁽²⁾.

غير أن القائد الروماني سكيبو لم يستطع فعل الكثير أمام حنبعل وجيوشه، حيث فشل في وقف زحفهم بعد أن وصل متأخرا إلى نهر الرون (Rhône) الذي كان قد اجتازته الجيوش القرطاجية قبل ثلاثة أيام فعاد مسرعا بسفنه إلى إيطاليا ليستبق حنبعل بينما ترك أخاه ليقود الجيوش مكانه⁽³⁾ غير أنه مني بهزيمة في معركة تيسين (Tessin) وجرح فيها ما جعله يتراجع⁽⁴⁾. فسيطر حنبعل على بلاد الغال وقضى فصل الشتاء هناك، وبحلول فصل الربيع توغل في شبه الجزيرة الإيطالية أين كان ينتظره جيشان هناك؛ الأول في أريمينوم (Ariminum) قاده سرفيليوس (Servilius) على ضفاف الأدرياتيك والثاني في أريتيوم (Arretium) بقيادة فلامينوس بهدف سد الطريقين المؤديين إلى روما أمامه، غير أنه تمكن من مخادعة فلامينوس بعد أن طوقه عند بحيرة ترازيمان (Trasiméne) وألحق به الهزيمة سنة 217 ق.م⁽⁵⁾.

بعد تلك الهزيمة عينت روما القائد كوينتوس فاييوس ماكسيموس (Quintus Fabius Maximus) بتسمية ديكتاتور إلى جانب قائد الفرسان ماركوس مينيكوس روفوس (Marcus Minicius Rufus) حيث أسندت لهما مهمة الدفاع وتحصين مدينة روما⁽⁶⁾، غير أن حنبعل لم يمتلك الآلات الحربية اللازمة التي تمكنه من حصارها فلم يتوجه لها مباشرة وتوغل أكثر نحو الجنوب ليكتسب المزيد من الدعم حيث انضم إلى جيشه الأبولينيون و البروتيون واللوقانيون وغيرهم، وكانت روما قد عينت قنصلين آخرين لمواجهة الجيوش القرطاجية في مدينة كانة (Cannae) في

(1) – Polybe, III, 40,1

(2) – حارث (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 63.

(3) – Polybe, III, 49,1.

(4) – Gsell (S), op cit, p153.

(5) – حارث (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 64.

(6) – Tite-Live, XXII, 8,6-7.

الثاني من شهر أغسطس سنة 216 ق.م لكن حنبعل استطاع إلحاق الهزيمة بالجيش الروماني مرة أخرى وبخسائر مكلفة بلغت حوالي خمسة وأربعين ألف جندي روماني⁽¹⁾ بما فيهم القنصل القائد لوكيوس أميليوس بولوس (*Lucius Aemilius Paullus*) في حين تمكن القنصل الثاني من الهرب والنجاة رفقة خمسة عشر ألف جندي، وقد اعتبرت روما هزيمتها تلك عارا فأرسلت الجنود المهزومين فيها إلى صقلية ومنعتهم العودة إلى إيطاليا حتى يحققوا النصر، ومن جانب آخر فقد رفض مجلس الشيوخ اقتداء الجنود الذين أسره حنبعل لكي لا يعزوا امداداته المادية⁽²⁾ ويساهموا في تقوية جيوشه حتى وإن كان ذلك على حساب إطلاق سراح جنودهم.

بالعودة إلى وقائع الحرب في إسبانيا فقد كان القائد صديرعل يتقدم متجها نحو إيطاليا غير أنه واجه جيشا رومانيا أمامه بقيادة الأخوين سكيبيو بوبليوس وكينيوس⁽³⁾ فاضطر إلى التراجع، ورغم خسارة مدينة ساغنتة إلا أن القواد الثلاثة القرطاجيين صدر بل وماغون وصديرعل بن جيسكون الذي كان قد وصل كدعم، استطاعوا إلحاق بعض الهزائم بالجيش الروماني وقتل الأخوين سكيبيو سنة 211 ق.م⁽⁴⁾.

لم تدعن روما لتلك الهزيمة التي لحقت بجيوشها في إسبانيا ومقتل اثنين من قوادها ولم ترض التخلي عن مواجهة القرطاجيين في إسبانيا كي تتجنب محاولة ثانية لاخترق الأراضي الإيطالية برا عبر إسبانيا بعد أن نجح حنبعل في ذلك قبل سنوات قليلة وكان لا يزال متمركزا بجيوشه في عمقها، فعملت جاهدة للحلول دون وصول الإمداد له عبر إسبانيا.

(2) - يذكر المؤرخ بوليبيوس أن سبعين ألف جندي (70.000) روماني لقوا حتفهم في المعركة في حين تمكن ثلاثة آلاف وثلاثمائة جندي (3300) من النجاة بالإضافة إلى سبعين (70) آخرين فروا رفقة القنصل فارو (Terentius Varro), III, 117.. (Polybe)

(3) - Humm (M), op cit, pp163-164.

(3) - Gsell (S), op cit, p163.

(4) - Melliti (Kh.), Carthage Histoire d'une métropole méditerranéenne, Perrin, Paris, 2016, pp375-376.

لأجل ذلك أرسلت روما القائد بوبليوس كورنيليوس سكيبو الإفريقي إلى إسبانيا سنة 210 ق.م، فاستولى على قرطاجنة سنة 209 ق.م وفي سنة 208 ق.م تمكن صديرعل من الإفلات بعد هزيمته أمام القائد الروماني فاجتاز جبال البرانس ووصل إلى بلاد الغال أين قضى فصل الشتاء هناك، ثم واصل اجتيازه جبال الألب في فصل الربيع محاولة منه تقديم الدعم لأخيه غير أنه لقي مصرعه في تلك المحاولة بعد هزيمته في معركة ميتور (*Métaure*) ما بين شهري يونيو ويوليو من سنة 207 ق.م⁽¹⁾. وفي سنة 206 ق.م انتصر سكيبو على الجيوش القرطاجية في إسبانيا في آخر معركة فيصلية في إلبا (*Ilipa*)⁽²⁾، ظل القائد ماقون يتنقل بين الجزر الإيبيرية أملا في تجنيد الأهالي وكسب المزيد من الدعم فلم يتمكن من ذلك وكانت مدينة قادس (*Gadès*) قد سلمت نفسها للرومان ولم يبق للقرطاجيين شيء في إسبانيا⁽³⁾.

كانت الحرب على أراضي صقلية مستمرة، فقد عقد حنبعل تحالفا مع هيرونيموس (*Hieronimus*) غير أنه قُتل فخلفه القائدان هيبوكرات (*Hippocrate*) وإيبيسيد (*Epicyle*) اللذان واصلوا الحرب بعده، فتمكنوا من السيطرة على سرقوسة غير أن القائد الروماني ماركيلوس (*Marcellus*) حاصر المدينة، ورغم الدعم القرطاجي إلا أنها سقطت في يد الرومان صيف 212 ق.م بعد خيانة أدخلت الرومان وراء أسوار سرقوسة⁽⁴⁾، وفي سنة 210 ق.م وقعت كامل صقلية تحت سيطرة الرومان بعد أن وقعت كابوا قبل ذلك سنة 211 ق.م رغم محاولة حنبعل التقدم نحو روما لتشتيت الجيوش الرومانية وفك الضغط عن كابوا⁽⁵⁾.

بعد أن فقد القرطاجيون مجال سيطرتهم على إسبانيا وصقلية ومع بقاء حنبعل معزولا في إيطاليا دون وصول إمدادات إليه مقابل تناقص إمكاناته المادية، لم يبق مجال مفتوح للحرب بين

(1) - حارث (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 68.

(2) - Polybe, XI, 20-24.

(3) - Gsell (S), op cit, pp 168-169.

(4) - Melliti (Kh.), op cit , pp 378-382.

(5) - حارث (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 68.

القوتين غير الأراضي القرطاجية وهو الأمر الذي كان سكيبيو يخطط له، وينبغي التذكير أن قرار غزو الأراضي الإفريقية كان مع إعلان الحرب على قرطاجة سنة 118 ق.م ولم يمنع روما تنفيذه سوى عبور حنبعل إلى الأراضي الإيطالية، فأخر بخطوته تلك القرار قرابة أربعة عشر سنة .

من خلال تحديد روما لقرار الغزو هذا يدعونا الأمر للتساؤل عن عدم توجيه روما لجيوشها إلى حنبعل المعزول في إيطاليا وفضلت نقل الحرب إلى إفريقيا؟! ، رغم أن جيوش حنبعل كانت هي الخطر الوحيد تقريباً والأقرب إلى مركز حكمها - روما -، نستطيع أن نخمن الجواب بعد ملاحظة استدعاء قرطاجة لقائدها في إيطاليا، فروما كانت تدرك جيداً أن الدفاع عن سقوط قرطاجة بالنسبة للقرطاجيين أهم بكثير من إسقاط روما نفسها.

ترشح سكيبيو لمنصب القنصلية وناله، وفي سنة 204 ق.م قاد الجيوش الرومانية إلى إفريقيا ونزل بالقرب من أوتيكا (Utique) وعاد حنبعل بدوره إلى إفريقيا⁽¹⁾، نزل بلمطة صيف 203 ق.م وتوجه نحو حضر موت حيث أعد للمعركة الفاصلة في زاما (Zama) التي كانت في 19 أكتوبر 202 ق.م، غير أن الهزيمة لحقت به وفقد أكثر من عشرين ألف (20000) جندي وأسر عدد مئثال منهم، فاضطرت قرطاجة قبول شروط معاهدة زاما 201 ق.م التي أنهت سيادتها على حوض البحر المتوسط⁽²⁾.

ج- الحرب البونيقية الثالثة:

استقرت الأوضاع لحوالي اثنان وخمسون سنة، حتى أعيد اندلاعها من جديد سنة 149 ق.م، حيث أن روما كانت اشترطت على قرطاجة ضمن معاهدة زامة أن لا تعلن الحرب داخل أراضيها أو خارجها إلا بعد أخذ الإذن من روما، ورغم أن قرطاجة كانت قد قبلت المعاهدة كاملة

(1) – Huvelin (P.), Une Guerre D'usure Dans L'antiquité La Deuxième Guerre Punique, Revue des Deux Mondes, Vol.35, N°.4, 1916, p903.

(2) – حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص ص 69-70.

بشروطها إلا أنها وجدت نفسها مرغمة على خرق أحد بنودها بعد أن استغله الملك النوميدي ماسينيسا (Massinissa) إلى جانب استغلاله للبند الذي يخول له استرجاع ممتلكاته وممتلكات أسلافه - من الأراضي - فشرع في التوسع على حساب الأراضي القرطاجية⁽¹⁾، فالمؤرخ ليفيوس يخبرنا أن ماسينيسا استرجع سبعين (70) مدينة وحصنا "... خلال سنتين وقعت في يد ماسينيسا سبعين مدينة وحصنا بالقوة والسلاح في إقليم قرطاج".⁽²⁾، بينما يتحدث آبيانوس عن حوالي خمسين مدينة يضاف إليها أربعين مدينة داخل التراب القرطاجي⁽³⁾، كما أن اللجنة التي أرسلها مجلس الشيوخ لمعاينة الوضع بعد تقديم قرطاجة شكوى قد أعادت إلى ماسينيسا إقليم المدن الثلاث (Empories) صبراتة وطرابلس ولبدة، ويُعتقد أن من بين تلك المدن التي انتزعتها ماسينيسا بوغارة (Githis) وقابس (Tacape) وهنشير المرقب (Macomades) وهنشير تينة (Thaenae) ورأس ديماس (Thapsus) ولمطة (Leptis Minus) والمنستير (Ruspina) وسوسة (Hadrumentum)⁽⁴⁾.

يُظهر قزال عدم اقتناعه من كون قرار روما إعلان الحرب مجدداً على قرطاجة كان بسبب خرقها لبنود المعاهدة بل كان يقلقها حسب توسع ماسينيسا الواسع، حيث أصبحت مملكته تمتد من السرت الكبير شرقاً إلى نهر الملوية غرباً⁽⁵⁾، فربما ساعده ذلك على تسيد المنطقة فيما بعد، كما كان الأمر بالنسبة للدولة القرطاجية، ونفس الملاحظة قدمها فرونسوا دوكريه (F. Decret) إلى جانب تفسيرات أخرى حول مبررات الحرب أهمها بالنسبة له هو موانئ قرطاجة التي كانت مركزاً

(1) - نفسه، ص 70.

(2) - Tite Live, XLII, 23, 2.

(3) - Appien, des Guerres des Romains en Libye, XXXI, XXXII, Trad. Odet-Philippe, sieur Des Mares, Antoine De Sommáville, Paris, 1659.

(4) - شارن (شافية)، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)، ج.1، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000-2001، ص40، هامش 1.

(5) - Gsell (S), H.A.A.N, T.4, Librairie Hachette, Paris, 1920, p483.

لنشاط تجاري يلغي أو ينافس التجارة البحرية الإيطالية⁽¹⁾. ولا ينبغي إهمال الجانب الزراعي إذ أن قرطاجة بعد الحرب وجهت اهتمامها إلى الأراضي الداخلية وعملت على إحيائها فنشطت الزراعة واستعادت التجارة حيويتها حتى أنها عرضت على روما سنة 191 ق.م دفع الأقساط الأربعين المتبقية من الغرامة المالية المفروضة عليها دفعة واحدة وأن تقدم لها المساعدة في حربها ضد أنتيوخوس⁽²⁾.

لم يصدر مجلس الشيوخ الروماني قرار الحرب إلا بعد جلسات نقاش كثيرة بين المعارضين للقرار والمؤيدين له وعلى رأسهم كاتو (Cato) الذي كان يطالب بإلحاح بتدمير قرطاجة حتى أنه أحضر منها تينا كان لا يزال بحال جيدة وعرضه على المجلس معلقا " أن البلد الذي ينتج هذه الثمار لا يبعد سوى ثلاثة أيام ملاحه عن روما"⁽³⁾، أرسلت روما مطلع ربيع 149 ق.م جيشا تعدادة حوالي ثمانين ألفا من المشاة (80000) وحوالي أربعة آلاف فارس (4000) بقيادة القنصلين ماركوس مانيليوس (Marcus Manilius) ولوكيوس ماركيوس كونسورينوس (Lucius Marcius Censorinus) تولى الأول قيادة الجيوش البرية في حين قاد الثاني الأسطول البحري⁽⁴⁾.

أرسلت قرطاجة سفراء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل اندلاع الحرب، فوافق الرومان أن تبقى قرطاجة آمنة بشرط أن ترسل ثلاثمائة (300) شاب من أبناء شيوخ مجلسها تبقئهم روما كرهائن لديها، وافق مجلس الشيوخ القرطاجي وأرسلوا أبناءهم الذين تم اقتيادهم إلى روما عبر صقلية⁽⁵⁾ غير أن الرومان أضافوا شرطا آخر وهو أن على القرطاجيين تسليم أسلحتهم وكل عتادهم

(1) - دوكريه (فرونسوا)، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والنشر، سوريا، 1994، ص 190.

(2) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص ص 95-96.

(3) - Plutarque, Les Vies Des Hommes Illustres, Vie de Caton l'Ancien, trad. B. Latzarus, Garnier, Paris, 1950, 26-27.

(4) - Gsell (S), op cit, T.3, p343.

(5) - Polybe, XXXVI, 4,5.

العسكري وتم بالفعل تسليمها⁽¹⁾، غير أن شرطا آخر أضيف إلى الشروط السابقة وهو أن يتم إخلاء مدينة قرطاجة وهو الشرط الذي فضل أبناؤها القتال على أن يسلموا مدينتهم، فتم حصارها، ورغم صمودها إلا أن القنصل سكيو إيميليانوس استطاع إسقاطها وجرى تدميرها وإحراقها بالكامل⁽²⁾.

بسقوط قرطاجة سنة 146 ق.م تحت الاحتلال الروماني لأول مرة؛ تم ضمها إلى المقاطعات الرومانية باسم ولاية إفريقيا الرومانية، فتدخل بلاد المغرب القديم مرحلة جديدة في تاريخها، إذ أن احتلال قرطاجة لم يكن سوى تمهيدا لاحتلال كامل المنطقة الممتدة من مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ولاشك أن الحروب البونيقية لم تكن إلا سببا عجل بتنفيذ المخطط الروماني، ولو لم يتوفر لروما سبب كهذا لكانت لتحتل المنطقة لسبب آخر، وسيتضح أنها بدأت تتوسع خارج قرطاجة لتمد احتلالها على الأراضي النوميديّة.

II - أثر التوسع الروماني بنوميديا على الولاية الرومانية.

عمل سكيو على رسم حدود ولاية إفريقيا فأنشأ خندقا (*Fossa Regia*) على الجهة الغربية كاستراتيجية دفاعية⁽³⁾، باتفاق مع الملوك النوميدي⁽⁴⁾. حيث يبدأ من الوادي الكبير (*Tusca*) الذي يصب في البحر بالقرب من تبرقة (*Thabraca*) ويمتد حتى مدينة ثيناي (*Thenae*) 12 كيلومتر جنوب مدينة سفاقص (*Sfax*)⁽⁵⁾ في مسار من الشمال الغربي نحو الجنوب الغربي بمحاذاة المدن النوميديّة باجة (*Vaga*) وتبرسق (*Thubursicubure*) ودوقة

(1) – Ibid, 6.

(2) – Florus, Histoire romaine, II, 15, trad. M. Nisard, Paris, 1865.

(3) – Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Imprimerie Nationale, Paris, 1913, intro. p. x.

(4) - بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، 3، 25، تر. محمد المبروك الدويب، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ط.2، ليبيا، 2019.

(5) - Cagnat (R.), Note sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146 avant J.-C., C.-R. Acad. Inscr., 38^e année, N. 1, 1894, p44.

(Thugga) ثم يميل أكثر نحو الشرق حتى يبلغ جبل فكيرين في الجنوب الغربي من جبل زغوان (Zeghouane)⁽¹⁾، في شكل هلال مفتوح أكثر في نهايته يحصر إقليما مساحته خمسة وعشرين ألف كم² (25.000)⁽²⁾، وقد أثبتت دراسة حديثة⁽³⁾ بالاعتماد على المعالم الأثرية من تتبع مسار الخندق بشكل أكثر دقة، فبيّن المعلم الحدودي للخندق المكتشف في هنشير تامبرا (Thabbara) أن الخندق يمر بالقرب من المدينة شرقا لا غربا كما كان يعتقد وينحسر أكثر نحو الشرق التونسي حيث المعلم الحدودي سيدي أحمد غريب ليحاذي جبلي الحدادية والعوامرية ثم يتعرج إلى الغرب قليلا نحو المعلم الحدودي بواد عوار ليكمل مساره نحو الجنوب مارا مابين جبل الكيفان وجبل السوسي. أما الإقليم الجنوبي من الولاية فلم يصله النفوذ الروماني على الأقل في هذه الفترة، غير أنه يستثنى من إقليم الولاية المدن التي وقفت إلى جانب الرومان في حربهم ضد قرطاجة فتم اعتبارها مدنا حرة، وحظيت عدة امتيازات كالحفاظ على عاداتها وتقاليدها وقوانينها الداخلية، بالإضافة إلى بعض الحقوق كمحاكمة المواطنين الأصليين والرومان القاطنين بها، وإدارة الشؤون المالية بما فيها سك العملة الخاصة، كذلك الاعفاء من الضريبة العقارية وضريبة الجزية وعدم وجود الحاميات العسكرية الرومانية على أراضيها⁽⁴⁾. وتلك المدن هي⁽⁵⁾ أوتيكا (Utica) وسوسة

(1) - مسرحي (جمال)، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي للجزائر "ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجاً"، رسالة ماجستير في تاريخ حضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009، ص 48.

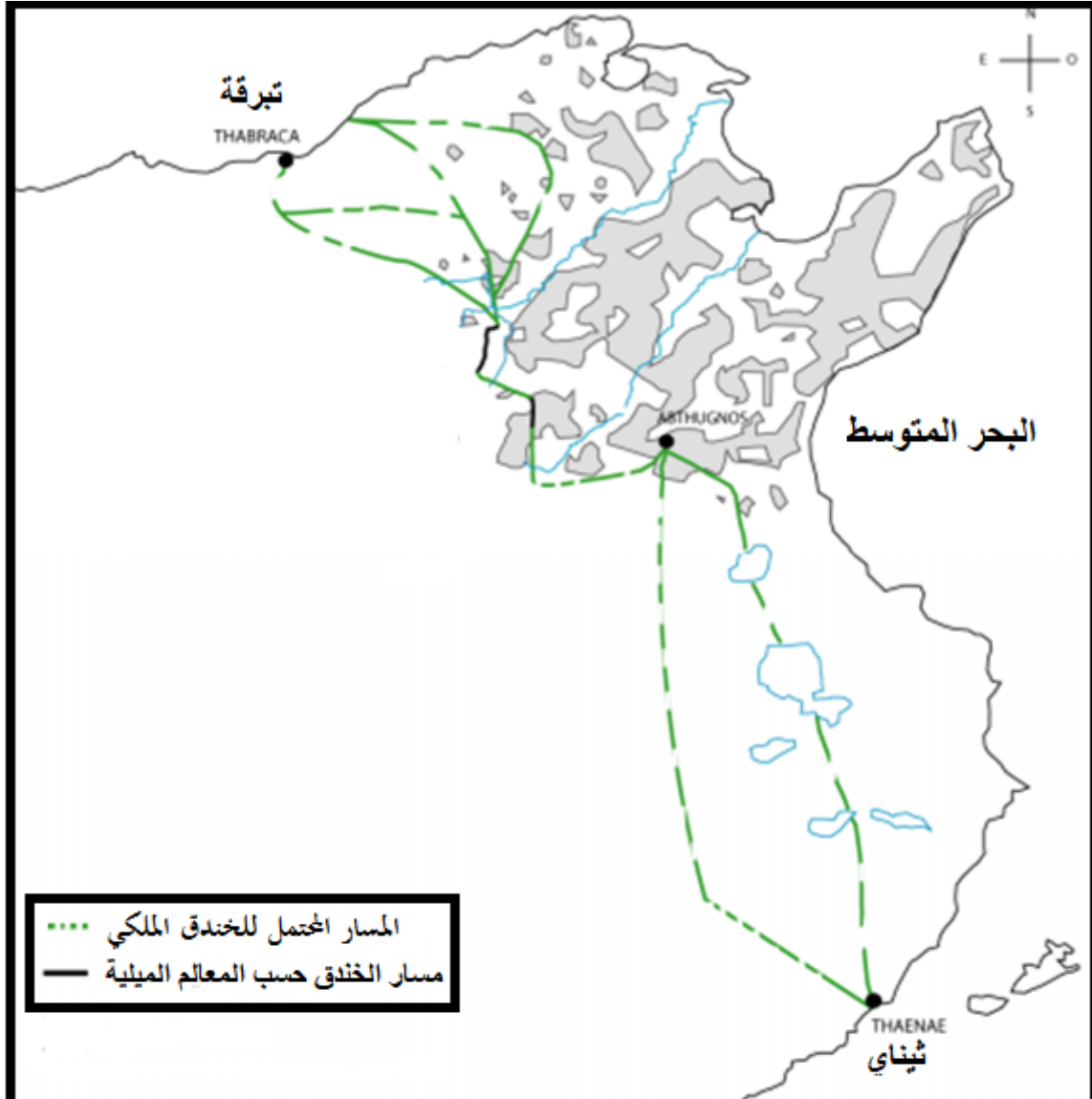
(2) - شنيقي (م. البشير)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط.2، الجزائر، ص55.

(3) - Abid (H.), Le tracé de la Fossa Regia dans la vallée de l'oued Siliana (Précisions et réflexions), Actes du Xe colloque international sur L'histoire et L'archéologie de L'Afrique du Nord préhistorique antique et médiévale (Caen 25-28 Mai 2009), Presses Universitaire de Caen, 2014, p417.

(4) - شارن (شافية)، رحمان (ب)، بشاري (م.ح.)، الاحتلال الإستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص 167.

(5) - Johnson (A.C.), and others, Ancient Roman Statutes, University of Texas Press, Usa 1961, n. 51, p55.

(Hadrumentum) وثابسوس (Thapsus) و لمطة (Leptis Minus) و أوسله (Uzalis) وأشولا (Achulla) و ثيوداليس (Theudalis).



ملحق (04): المسار المحتمل للخندق الملكي.

المصدر (تصرف وتعريب الطالب):

Béatrice (P), Recherches sur l'Africa vetus, de la destruction de Carthage aux interventions césaro-augustéennes, v2, Thèse Doctorat, L'Université de Toulouse, France, 2011, p700.

لإحكام السيطرة على المقاطعة الإفريقية وربطها بالسلطة الرومانية عُين على رأس المقاطعة الشخصيات المقربة من محيط القناصل أو القضاة في رتبة مساعدتي القناصل⁽¹⁾ وأطلق على حاكمها لقب بريتور استمر تعيينه لمدة سنة إلى غاية بداية فترة حكم سولا (Sulla) سنة 81 ق.م - 80 ق.م أين أصبح حاكم المقاطعة الإفريقية يلقب البروقنصل (Proconsul) يتولى المهام العليا بصلاحيات متعددة منها حفظ الأمن وإدارة الشؤون المالية، وكان أغلب مساعديه من أبناء أصحاب الثراء والمكانة السياسية والنبلاء⁽²⁾.

استقر حاكم المقاطعة في أوتيكا⁽³⁾، حيث ذكر سترابون (Strabon) أن أوتيكا أصبحت هي مركز المدن⁽⁴⁾، في حين تم اعتبار قرطاجة مدينة ملعونة⁽⁵⁾ وساد وصفها بذلك إلى غاية إعادة تأسيس مستعمرة قرطاجة فيما بعد.

بقيت الحدود مستقرة على ماهي عليه ولم يظهر الرومان أي رغبة في مد تلك الحدود والتوسع على حساب الجارة الشرقية مملكة نوميديا، الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى التخمين في عدم وجود رغبة حقيقية لدى الرومان في احتلال أراضي جديدة⁽⁶⁾، إلا أنه ما من دليل يجعلنا نعتقد وجهة نظر هؤلاء خاصة وأن روما لم تستقر لها الأوضاع تماما فقد واجهت ثورة العبيد في صقلية سنة 136 ق.م ولم تنته إلا في سنة 131 ق.م⁽⁷⁾، كما كانت منشغلة أيضا بحروبها في

(1) - مسرحي (جمال)، المرجع السابق، ص ص 48-49.

(2) - Decret (F), Fantar (M), L'Afrique Du Nord dans L'Antiquité Des Origines au Ve Siècle, Payot, Paris, 1981, p 142-143.

(3) - Pasa (B), La place de l'Africa dans le bassin méditerranéen au lendemain de la troisième guerre punique, province romaine et traditions africaines, Pallas, No. 79, Presses Universitaires du Midi, 2009, p271,270.

(4) - Strabon, Géographie, XVII-3,13, Trad.Amédée Tardieu, Hachette, T.3, Paris, 1909.

(5) - Gsell (S), H.A.A.N, Librairie Hachette, Paris, 1928, T.8, p173.

(6) - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 181، هامش 3.

(1) - السعدني (م. إبراهيم)، حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول الميلادي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1998، ص 97.

إسبانيا حتى أن الملك ميكيسا (Micipsa) قدم لهم الدعم في ذلك⁽¹⁾، بالإضافة إلى إخضاع القبائل الجرمانية⁽²⁾، ثم أن الرومان لم يجدوا المبرر اللازم لاقتحام أراضي النوميديين الذين كانوا حلفاء لهم. لكنهم من جانب آخر عملوا على ربط سياستهم التوسعية بالأحداث العسكرية والسياسية، فاستغل الزعماء السياسيون الرومان المتصارعون طموح الملوك والأمراء الأفارقة وسعيهم لكسب مساعدة أصحاب السلطة في روما لتقوية نفوذهم وتحصيل الثروة لتوريطهم في صراعات لاتعنيهم لا من قريب ولا من بعيد، وقد استجاب الملوك والأمراء الأفارقة لهذه السياسة الرومانية متجاهلين غاية روما من تأييد ملك أو أمير ضد آخر⁽³⁾.

نجح الرومان في تجسيد مشروعهم الاحتلالي الذي أخذ طابع التدرج المرحلي، إذ كلما اندلعت صراعات في الأراضي الإفريقية استفادت في نهايتها بتوسيع مجال نفوذها على حساب تقلص نفوذ الممالك المحلية، وهذا ما جعل حدود ولاية إفريقيا الرومانية تتسع في كل مرة. وسأحاول هنا تتبع تلك الأحداث وإبراز تأثيرها على ولاية إفريقيا.

1- ولاية إفريقيا :

لم تحتفظ ولاية إفريقيا باسمها نتيجة الأحداث التي عرفت المنطقة والنزاع الذي قام بها، فلم يدم استقرار الأراضي الإفريقية طويلا إذ اندلعت الحرب بين ملكين نوميديين وتنازعا الحكم، وقد عُرِفَت تلك الحرب تاريخيا بحرب يوغرطة (111 ق.م - 105 ق.م)، إذ أن الملك ماسينيسا قد خلف ثلاثة أبناء ميكيسا (Micipsa) ومستنبعل (Mastanabal) وغولوسا (Gulusa)، هذان

(2) - Appien, Ibérique, 67.

(3) - السعدني (م. إبراهيم)، المرجع السابق، ص 96.

(3) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 102.

الأخيران توفيا وحكم ميكيسا الذي كان له من الأبناء أذربعل (Adherbal) وهيمبسال (Hiempsal) ورثا إلى جانبهما يوغرطة (Jugurtha) ابن عمهما مستنبعل⁽¹⁾.

أ- حرب يوغرطة وأثرها (111 ق.م - 105 ق.م) :

اعتاد ملوك هذه الأسرة النوميديّة النزاع فيما بينهم حول السلطة مثلما حصل مع الجد ماسينيسا وابن عمه من قبل، لذا حرص ميكيسا أن يتجنب حصول الاقتتال على السلطة بين ورثته فعمد هو الآخر على غرار أبيه من قبل⁽²⁾ بتقسيم حكم المملكة بين الورثة الثلاثة⁽³⁾ موصيا ولديه باحترام يوغرطة الأكبر سنا⁽⁴⁾، غير أن واقع الحال بعده كان على عكس ما كان يرجوه، وهو أمر متوقع غير مستغرب كون التنزع على الحكم والسلطة أمر قد لا أبالغ إن وصفته بالفطري في الإنسان، فالأحداث التاريخية مليئة بالحروب والنزاعات بين أفراد الأسرة الواحدة حول الزعامة والقيادة وتولي شؤون الحكم.

لما قضى ميكيسا اجتمع الأبناء الثلاثة ليقرروا أمر المملكة النوميديّة فاقترح يوغرطة أن تلغى القوانين التي سنّها ميكيسا سنواته الخمس الأخيرة بسبب أنه كان قد اتخذها بعد أن هرم وشاخ، غير أنه لم يجر وفاق بينهم فقرروا اقتسام المملكة لكن يوغرطة قتل هيمبسال⁽⁵⁾ ويبدو أن غياب الوصاية الرومانية عن مراسم التقسيم جعلت كل واحد من الملوك يفكر في الإطاحة بالآخر، إذ لم يكن هناك ما يجبرهم على الالتزام بصون وحدة المملكة إلا وصية ميكيسا التي لم تحترم.

(1) – Salluste, Guerre de Jugurtha, V, trad. Fr. Richard, Garnier, Paris, 1933.

(2) – Gsell (S), op cit, T.3, p364.

(3) - ترى الباحثة فتيحة فرحاني اعتمادا على شارل بيكار أن تقسيم السلطة بين ثلاثة ملوك تقليد نوميدي قديم عملت به عدة مدن نوميديّة على غرار مكثّر وألثيبوروس وكيرتا. فرحاني (فتيحة) ، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني - 213 ق.م - 46 ق.م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007، ص 143.

(4) – Salluste, Guerre de Jugurtha, X.

(5) – Ibid, XI, XII.

بعد الإطاحة بأخيه أرسل أذربعل سفارة إلى روما تشكو فعل يوغرطة، كما أنه في نفس الوقت أعد جيشا واجه به يوغرطة الذي كان قد شرع في ضم المدن النوميديّة، إلا أن أذربعل هُزم في أول معركة ولجأ إلى ولاية إفريقيا⁽¹⁾. وربما تكون هذه الحادثة قد ولدت شعور الخطر لدى الرومان على مقاطعتهم، حيث تبين لهم أن ولاية إفريقيا لم تعد حدودها الشرقية آمنة مثل السابق، وأنه وجب دفع الخطر عنها، فليس من المستبعد إن تغلب يوغرطة وازدادت قوته أن يحاصر الولاية الرومانية أو أن يهدد استقرارها. ومن هنا سارعت روما إلى إيفاد لجنة تشرف على إعادة تقسيم نوميديا بين المتخاصمين، فأقرت أن يأخذ يوغرطة القسم الغربي من نوميديا والممتد حتى حدود مورتانيا غربا، في حين يحتفظ أذربعل بالقسم الشرقي من نوميديا والمتاخم للمقاطعة الرومانية شرقا وهو الجزء الأقل مساحة⁽²⁾.

يرى محمد الحبيب بشاري⁽³⁾ أن هذا التقسيم لم يكن اعتباطيا أو عفويا، فمنح روما أذربعل الإقليم المتاخم لمقاطعتها فيه سلامة وحماية لها، إذ أن هذا الملك مسالم مقارنة بآبن عمه يوغرطة الذي رأت فيه روما تهديدا لمصالحها في إفريقيا خاصة وأن توسعاته أبانت أنه يحمل مشروعا لإقامة مملكة واسعة متحررة من كل القيود الرومانية.

لم تغادر لجنة التقسيم الرومانية أراضي نوميديا حتى أعلن يوغرطة الحرب على أذربعل، وحاصره في مدينة كيرتا (Cirta) وقتله رفقة تجمار إيطاليين بعد أن نصحوه بتسليم نفسه⁽⁴⁾، فبمقتل أذربعل أصبح بإمكان روما الآن رؤية الخطر المتاخم لولايتها بوضوح، وأن الملك النوميدي طموحه يتجاوز الشغف بالحكم ويتعداه إلى طموح أوسع يتمثل في توسيع المملكة، وكما أن بوسعه التمرد ورفض القوانين الرومانية فإنه يستطيع أيضا تهديد ولاية إفريقيا الرومانية تهديدا

(1) – Salluste, Guerre de Jugurtha, XIII.

(2) - Ibid, XVI.

(3) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 105.

(4) - Salluste, Loc cit, XX, XXVI.

مباشرة، ولا شك أن ذلك كان طموح يوغرطة بالفعل، فاقتراحه على أخويه إلغاء قوانين ميكييسا وقدرته على كسب أعضاء من مجلس الشيوخ الروماني⁽¹⁾ يُظهر توقدا في فكره السياسي وأنه يختلف عن أبناء عمه إلى جانب مشاركاته في حروب إسبانيا إلى جانب سكيبيو الإفريقي التي أكسبته خبرة فنية وتجربة عسكرية واطلاعا على النظم العسكرية الرومانية وطرق تسيير الجيوش وتنظيمها.

فبعد وصول الخبر إلى روما أعلنت الحرب على يوغرطة لقتله أبناء الملك ميكييسا وأصدقاء الشعب الروماني⁽²⁾، وبعد عدة سنوات من الحرب والمعارك ضد الملك النوميدي استطاع الرومان أسره بعد أن دبّروا له مؤامرة مع الملك الموريطاني بوخوس الأول (Bucchus)⁽³⁾ الذي كافأته روما بمد مملكته على حساب الأراضي النوميديّة إلى غاية بجاية⁽⁴⁾ (Saldae) أو إلى غاية واد الشلف حاليا⁽⁵⁾ على اختلاف بين المؤرخين.

رغم أنه لم يكن هناك تأثير مباشر لهذه الحرب على المقاطعة الرومانية إلا أن لها تأثيرا غير مباشر، تمثل في تأمين حدودها بعد التهديد الذي قام به يوغرطة، وذلك بتسليم جزء ضئيل من أراضي نوميديا الواسعة المتاخمة للولاية الرومانية إلى غودا (Gauda) وهو أخ يوغرطة الذي وصفه المؤرخون⁽⁶⁾ بضعف الشخصية وقلة المواهب، فكان هذا أضمن لحدودها وأسلم، ولقد كان متيسرا

(1) - يذكر سالوست أن بعضا من أعضاء مجلس الشيوخ كانوا يتلقون هدايا من يوغرطة، واعتبرها شراءً لضمائهم من طرف الملك النوميدي. Salluste, Ibid, XX. وقد كرر سالوست مسألة الرشاوي التي كان يتلقاها أعضاء المجلس كثيرا، وقد ذكر مؤرخ لاتيني آخر أن يوغرطة رشى أيضا القائد بيستيا (Bestia). Eutrope, Abrégé de l'Histoire romaine, . IV, 11 ما يؤكد أن ظاهرة الرشوة كانت منتشرة داخل السلطة الرومانية..

(2) - أظن المؤرخ يقصد هنا بـ "أصدقاء الشعب الروماني" التجار الإيطاليين. Eutrope, IV, 11.

(3) - Salluste, Guerre de Jugurtha, CXIII. ; Diodore de Sicile, La Bibliothèque historique, XXXVI, 1. T. 3, trad. Ferd. Hoefer, Hachette, Paris, 1865.

(4) - Mommsen (Th), Histoire romaine, T.5, trad. C.A. Alexandre, Librairie A. Franck, Paris, 1866, p117.

(5) - Gsell (S), H.A.A.N, T.7, Librairie Hachette, Paris, 1928, p264.

(6) - Salluste, Loc cit, LXV.

لروما أن تعلن نوميديا المهزومة بعد حرب يوغرطة إقليما رومانيا وتنصب ولاية لها فيه - أو تلحقها بولاية إفريقيا - لكن سياسة الاحتلال التدريجي التي أملت لها ظروف روما الداخلية اقتضت عدم استثمار النصر العسكري الذي أحرزه الجيش الروماني ضد يوغرطة⁽¹⁾. مكتفية فقط بمنح أراضي بمساحة مائة فدان من أراضي ولاية إفريقيا لجنود ماريوس الذين حاربوا ضد يوغرطة⁽²⁾، ومن جهة أخرى فقد مثل منح ماريوس أراضي للمحاربين الجيتول - الذين شاركوا ضمن الجيش الروماني - خارج الخندق الملكي موقف السلطة الرومانية من الأراضي الواقعة غرب مقاطعتها واعتبارها ملك للشعب الروماني، وإلا لما قسمت الأراضي فيها، وأن ذلك كان وفق حق الإمتلاك بعد الإستيلاء، إذ أصبح لها الحق السياسي في التصرف في الأرض الواقعة ما وراء الولاية الرومانية⁽³⁾.

ب- أثر الحرب الأهلية بين قناصل روما :

لقد تأثرت ولاية إفريقيا بالحرب الأهلية التي نشبت بعد فترة من انتهاء حرب يوغرطة بين القنصلين ماريوس الحامل للقب نوميديكوس بعد انتصاره على يوغرطة⁽⁴⁾ وسولا الذي ارتفعت مكانته وأصبح يحظى بالاحترام من طبقة النبلاء مقارنة بماريوس الذي تراجعت مكانته بعد كل ما قدمه من انتصارات لروما. وقد كانت الحرب الأهلية توشك أن تندلع غير أن خطرا خارجيا أجّلها، فتم اختيار سولا لقيادة الحرب ضد مثريداتيس (Mithridate)⁽⁵⁾، وقد كان مثريداتيس الخامس على علاقة طيبة بروما فتمكن من بسط نفوذه على جيرانه من القرى الصغيرة، إلا أن ابنه مثريداتيس السادس كان طموحه أكبر من أبيه فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالي للبحر

(1) - شنيقي (م. البشير)، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 72.

(2)- Aurélius Victor, Les hommes illustres de la ville de Rome, 73,1, Trad. M. N. A. Dubois, Bibliothèque latine-française, Paris, 1846.

(3) - فرحاتي (فتيحة)، المرجع السابق، ص 168.

(4) - رزق الله (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 215.

(5) - Plutarque, Vie de Marius, 32,35, trad. Ricard (A.D.), Firmin Didot, T.1, Paris, 1868.

الأسود وبذلك أصبح يسيطر على مملكة قوية في الشرق بعد تدهور سوريا، وقد انتهز انشغال روما في الحرب الأهلية بينها وبين حلفائها من الإيطاليين فهاجم آسيا سنة 88 ق.م وقام بمذبحة قتل فيها الآلاف من الرومان والإيطاليين في آسيا وصدورت أملاكهم، فخسرت روما بذلك آسيا ومن هنا كان من الضروري أن تتخلص من خطر مثريداتيس⁽¹⁾، الذي زاد من قوته تحالف كثير من المدن الإغريقية في آسيا الصغرى معه ومناشدته من قبل الشعب الأثيني نفسه سنة 88 ق.م أن يخلصهم من حكومة الأقلية الموالية لروما، غير أن سولا استطاع أن يحاصره ويلحق به الهزيمة ما أجبره على عرض الصلح الذي تم سنة 85 ق.م وفقا للشروط الرومانية⁽²⁾.

كان سولا قبل أن يتوجه لهذه الحرب قد أخضع معارضيه بعد أن دخل روما واستباح سياجها المقدس بجنوده⁽³⁾، لكن ماريوس استطاع الهرب⁽⁴⁾ وتبعه ابنه إلى الولاية الرومانية في إفريقيا التي كان يحكمها سيكستيليوس (Sextilius)⁽⁵⁾، والتي كانت تضم مستعمرات لقدامى المحاربين كان قد أمر ماريوس بانسائها، غير أنهما لم يبقيا طويلا فيها إذ غادراها في السنة الموالية بعد أن وصل لوظيفة القنصلية لوكيوس كورنيليوس كينا (Lucius Cornilius Cinna) سنة 87 ق.م المعروف بميوله لماريوس، فجمعا جيشا من الإيطاليين والعبيد المعتقين وزحفا على روما وأخضعها بالقوة وتوليا القنصلية المشتركة لسنة 86 ق.م⁽⁶⁾. ففر ممثلوا التيار الأرستقراطي إلى ولاية إفريقيا خوفا من ماريوس ومن أبرزهم متلوس بيوس (Caecilius Metellus Pius) لكنهم سرعان ماتم

(1) - الشيخ (حسين)، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (الرومان)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005، ص ص 52-53.

(2) - السعدني (م. إبراهيم)، المرجع السابق، ص 94.

(3) - حسين (م. عواد)، الثورة الرومانية (المرحلة الثانية) ماريوس وسلا 120 ق.م-78 ق.م، مجلة كلية الآداب والتربية، عدد 15، الكويت، 1979، ص 191.

(4) - Plutarque, Vie de Marius, 36, 37.

(5) - Ibid, 40.

(6) - حسين (م. عواد)، المرجع السابق، ص 192.

طردهم من طرف فابيوس هادريانوس (*C. Fabius Hadrianus*) حاكم مقاطعة إفريقيا الذي ساند ماريوس⁽¹⁾.

لم يكد سولا يُنه الحرب ضد مثريداتيس ويرجع منتصرا إلى روما سنة 83 ق.م حتى بلغه خبر اعتباره عدوا للدولة الرومانية، وأن قصوره في الريف الروماني والعاصمة قد صودرت وتم اعدام أصدقائه وتجريده من سلطته وعزله عن القيادة⁽²⁾، وقد كان رد سولا على ذلك أن زحف على روما سريعا بجيش استولى به على العاصمة وسن قانونا اعتبر به ماريوس وسولبيكيوس أعداء للدولة الرومانية (*Hostes*) وتجريدهم من حقوق المواطنة ومصادرة أملاكهم⁽³⁾.

تحولت ولاية إفريقيا مرة أخرى ملاذا لأنصار ماريوس وكينا وعلى رأسهم دوميتيوس أهنوبريوس (*CN.Domitius Ahenobarbus*) الذي استطاع أن يتحالف مع الملك النوميدي هيرباص (*Hiarbas*)⁽⁴⁾، فأصبحت الولاية الرومانية في إفريقيا بذلك مجالا جغرافيا عسكريا لحرب روما الأهلية، إذ جمع جاريو الذي أُنتخب قنصلا لسنة 82 ق.م أسطولا من ولاية إفريقيا أراد به رد الهجوم عن صقلية لكنه أعدم من طرف القائد بومبي الموالي لسولا⁽⁵⁾ الذي تولى بعدها مهمة إخضاع ولاية إفريقيا فتوجه إليها بجيش بري وأسطول بحري قوامه مائة وعشرين سفينة حربية وثمانين سفينة تحمل المؤن فهزم جيش دوميتيوس وسيطر على الولاية بأكملها في ظرف أربعين يوما⁽⁶⁾.

(1) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 109.

(2) - نصحي (إبراهيم)، تاريخ الرومان (133 ق.م-44 ق.م)، ج.2، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1973، ص 301.

(3) - نفسه، ص 289.

(4) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص ص 109-110.

(5) - حسين (م. عواد)، المرجع السابق، ص 194.

(6) - Plutarque, Vie de Pompée, 11-12.

لعبت ولاية إفريقيا دورا هاما في الصراعات التي عرفتها روما فكانت مجالا استراتيجيا لها، وقد عرف قنصل روما أهمية هذا المجال الجغرافي في دعم سلطتهم وتعزيزها، لذلك نلاحظ أن الحكام المعينين لتسيير المقاطعة كان يتم اختيارهم في الغالب من القادة والساسة المواليين للاستعانة بدعمهم كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك، كما كان الحال بالنسبة للحاكمين فاييوس هادريانوس و دوميتيوس المساندين لماريوس .

أدرك ماريوس أكثر من غيره أهمية ولاية إفريقيا فعمل على توطيد محاربه القدامى فيها كما سبق الإشارة إليه وأنشأ لذلك العديد من المستعمرات لهم أهمها مستعمرتي مستعمرتي ثيبارس (Thibaris) وثوبورنيكوم (Thuburnicum) الماريانيتين.

ترتب عن هذه الحرب من الناحية الإدارية على المقاطعة تغير رتبة حاكمها كما سبق الإشارة إليه من البريتور إلى البروقنصل بداية فترة حكم سولا سنة 81 ق.م - 80 ق.م أين أصبحت المقاطعة الإفريقية تسند إلى حاكم برتبة بروقنصل ويتولى المهام العليا بصلاحيات متعددة منها حفظ الأمن وإدارة الشؤون المالية⁽¹⁾ .

2- ولاية إفريقيا القديمة:

انتهى صراع القناصل في روما وهدأت الاضطرابات في المقاطعات الرومانية، غير أن ذلك لم يكن إلا هدوءا مؤقتا لم يدم طويلا، فقد كانت الحرب الأهلية بين القناصل وأنصارهم تمهيدا لثورات وصراعات أخرى مستمرة لا يمضي زمن طويل على انتهائها حتى تندلع من جديد، ومع أن لكل ثورة قوادها إلا أن أصلها كان في غالب الأحيان ناشئ عن العداء المتبادل بين اتجاهين سياسيين في روما، اتجاه يمثل عامة الشعب وآماله متجسدا في الاتجاه الديمقراطي (حزب العامة) واتجاه المحافظين الذي يمثله حزب الأرستقراطيين. وبين الرؤى المتضادة للتيارين كانت تسيير السياسة الرومانية العامة تتجاذبها قرارات الحزبين ومشاريعهما الداخلية والخارجية. فقد أصبحت

(1) – Decret (F), Fantar (M), op cit, p p142-143.

نوميديا الجارة الشرقية لولاية إفريقيا في نظر الإتجاه الديمقراطي جزءا مكملًا لولاية روما الإفريقية، بينما كان يرى اتجاه المحافظين أن سياسة الاحتلال واجراءات ضم الأراضي لا تجلب لروما سوى المتاعب⁽¹⁾، وهكذا فقد ارتبطت ولاية إفريقيا من الناحية الجيوسياسية إرتباطا وثيقا بنوميديا، فإن كان هناك مشروع يهدف إلى توسيع امتدادها الجغرافي فهو مرهون برؤية الاتجاه الحاكم وموقفه من الأراضي النوميديّة أي هل يعتبرها مملكة صديقة للشعب الروماني أو يعتبرها أراضي مملوكة من طرف الشعب الروماني (*Ager Publicus*).

هكذا، أصبحت الأراضي الإفريقية مجالا للصراعات الرومانية مرة أخرى، هذه المرة بين القائدين يوليوس قيصر وبومبي اللذان وجدا لهما أنصارا في بلاد المغرب فجعلها منها مجالا للحرب التي انعكست تأثيراتها بشكل مباشر على ولاية إفريقيا الرومانية.

أ- الحرب الأهلية بين قيصر وبومبي (49 ق.م-46 ق.م):

كان الصراع يوشك أن يتحول إلى حرب بين كل من بومبي وقيصر مع مطلع سنة 49 ق.م، ذلك أن القائدين كان تحت قيادته عدد هائل من الجيوش التي لم يتم تسريحها، وبما أن بومبي كان يستند على دعم مجلس الشيوخ له؛ فإن هذا الأخير اجتمع شهر يناير ليصوت على قرار يقضي بتجريد قيصر من بروقنصليته⁽²⁾ وانهاء حكمه لبلاد الغال بعد انقضاء عشر سنوات عن توليه هذا المنصب، وأنه سيعتبر عدوا للدولة الرومانية في حالة امتناعه عن الانصياع لهذا القانون.

في الوقت الذي كان قيصر يوشك أن يعتبر عدوا للدولة الرومانية كان بومبي قد انتخب قنصلا منفردا لروما كأول حدث سياسي في الجمهورية الرومانية منذ قيامها، وكان توليه للوظيفة بإيعاز من كاتو متحججا لمجلس الشيوخ بأن بومبي إن لم تقدم له الدكتاتورية فسيضطر لأخذها

(1) - شنيقي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 73.

(2) - حسين (م. عواد)، الثورة الرومانية (المرحلة الثالثة) الصراع بين قيصر وبومبي حتى الحرب الأهلية (78-50 ق.م)، عالم الفكر، عدد3، مج.12، 1981، ص 144.

قسرا، ويضاف إلى هذا أن ولايتي إفريقيا وإسبانيا كانتا تحت حكمه معا، حيث انتدب مساعدين له لتسيير شؤونهما وفضل هو البقاء في روما⁽¹⁾.

رفض قيصر التخلي عن منصبه كبروقنصل حاكم لبلاد الغال وظل يرسل الرسائل للمجلس مطالبا إياه بتمديد فترته التي أوشكت أن تنتهي، غير أن معارضيه وقفوا عقبة أمام قبول طلبه⁽²⁾، كما اقترح في إحدى رسائله الأخيرة⁽³⁾ أنه مستعد للتخلي عن منصبه على أن يفعل بومبي نفس الشيء، ويُستشف من رسائل شيشرون⁽⁴⁾ قلق بومبي وتخوفه من وصول قيصر إلى منصب القنصلية وأن ذلك لا يجلب إلا المزيد من الإضطراب للدولة وأنه مستعد لحماية روما.

قرر قيصر عبور نهر الروبيكون (*Rubicon*) وزحف بجيشه نحو إيطاليا، ومع أنه لم يتواجه مع بومبي الذي فضل الانسحاب إلا أنه تمكن من فرض سلطته على البلاد وأخضع معارضيه⁽⁵⁾. وانتخب دكتاتورا من طرف مجلس الشيوخ غير أنه تخلى عن الوظيفة بعد أيام قليلة ليحتفظ فقط بقنصليته مشاركة مع القنصل سيرفيليوس إيسايريكوس (*Servilius Isauricus*)، وسن عدة قوانين وسمح بعودة المنفيين إلى إيطاليا وأعاد الحقوق لأبناء الرجال الذين انتزعها منهم سولا، بالإضافة إلى إصلاحات أخرى⁽⁶⁾، من تسوية مسألة الديون وآلية سدادها والعفو عن أئلك الذين حكم عليهم بومبي بتهمة التآمر⁽⁷⁾.

قبل الحديث عن أحداث الحرب الأهلية الثانية وجب الوقوف على أسبابها، فالظاهر أن قيصر هو من أعلنها بعد عبوره نهر الريبيكون، غير أن هناك رؤية أخرى تفرض النظر بزاوية أكثر موضوعية، إذ لا شك أن قيصر لم يزحف على روما بجيوشه إلا بعد أن استنفذ جميع الحلول

(1) – Plutarque, Vie de César, 28,7-8, Trad. D. Ricard, Paris, 1830.

(2) – Plutarque, loc cit, 29.

(3) – Appien, Guerres civiles, II, 32, trad. Combes-Dounous, Paris, 1808.

(4) – Cicéron, Lettres à Atticus, VII, 8, trad. M. Nisard, Paris, 1841.

(5) – Plutarque, Vie de César, 32-35.

(6) – Ibid, 37.

(7) – César, Guerre civile, III, 1, trad. M. Nisard, Didot, Paris, 1865.

السلمية، كما أظهرت رسائله التي أصر كثيرا من خلالها على الجنوح إلى السلم وإيجاد حل دستوري يرضي جميع الأطراف، حتى أنه بعد عبوره النهر طلب مقابلة بومبي وتغليب مصلحة الدولة على مصلحة الأشخاص وأن تخلي كليهما عن جيوشه ووظيفته هو الحل الأمثل⁽¹⁾، وما طلبه من مجلس الشيوخ قبول ترشحه غيايا للقنصلية الثانية بعد قرابة العشر سنوات من توليه القنصلية الأولى، ما ذاك إلا طلب كان يراه قيصر أكثر شرعية من تولية بومبي القنصلية منفردا كسابقة سياسية، وقد سبق وأن تم تولية ماريوس القنصلية وهو غائب في إفريقيا وقد خرق بومبي الدستور أيضا ببروقنصليته على مقاطعتين سيرهما عبر وكلاء مساعدين له مع بقائه في روما، فيفهم بذلك من وجهة نظر قيصر أن زحفه على روما بجيوشه تعد على القانون الروماني غير الموجود أصلا.

لم يكن استيلاء قيصر على روما إعلانا بنهاية الحرب الأهلية التي اندلعت لتوها بقدر ما كان تحضيرا للتصعيد فيها، فقد شرع في مطاردة بومبي الذي وجد تأييدا من بعض الولايات الرومانية، واشتبكا في معركة كاد يقتل قيصر فيها حيث تعرض للهزيمة وفر جنده⁽²⁾. أثار هذا الانتصار شهية المؤيدين لبومبي وحرصوه على القتال بعد أن أظهر جنوحا للسلم كان كاتو قد نصحه به، غير أن عبارات الانتصار ولقب أغامنون الذي أطلقه عليه أنصاره غيرا من رأيه في الوقت الذي كان فيه قيصر يللم شتات جيوشه⁽³⁾. لم تمض فترة طويلة حتى اشتبك القائدان مجددا في معركة فارسال (Pharsale) لكن الهزيمة هذه المرة كانت من نصيب بومبي الذي غادر أرض المعركة وطلب من جنوده الدفاع عن معسكرهم إلا أنهم سرعان ماتفرقوا ولجؤوا إلى الجبال فأسر قيصر أغلبهم ثم عفى عنهم، وفضل بومبي الانسحاب نحو مصر⁽⁴⁾ وتبعه قيصر إليها أين

(1) – Ibid, I, 9.

(2) – Plutarque, Vie de César, 39.

(3) – Ibid, 41.

(4) – César, Guerre civile, III, 94, 98, 103.

وجده مقتولا في الاسكندرية⁽¹⁾، حيث كان مساعدو الملك بطليموس قد غدروا به مخافة توريطهم في الحرب مع قيصر إذا أبقوه عندهم⁽²⁾.

في خضم تلك الصراعات كانت الولايات الرومانية قد انقسمت إلى ولايات مؤيدة لقيصر وأخرى لبومبي، وكانت ولاية إفريقيا تقف حليفة إلى جانب هذا الأخير، ونظرا لما تحتويه من ثروات ومقومات اقتصادية فإن دعمها يساعد كثيرا في تزويد الجيوش بالمؤونة والغذاء المتمثل بالدرجة الأولى في القمح، بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي القريب من صقلية، وبالتالي فإن السيطرة عليها وموانئها يمكن قيصر من حسم الحرب ويحصر بومبي في الشرق بعد السيطرة على إسبانيا. ومن هنا كانت أولى حملات قيصر على المقاطعة مع سنة 49 ق.م⁽³⁾، وتجدر الإشارة إلى أن قيصر⁽⁴⁾ يذكر أن حاكم مقاطعة إفريقيا أتيوس فاروس (*Attius Varus*) كان قد فر من أوسيموم (*Auximum*) إلى مقاطعة إفريقيا التي وجدها دون حاكم، وبفضل معرفته السابقة بالمقاطعة إذ كان حاكما سابقا لها فقد تولى السيطرة عليها من جديد⁽⁵⁾، والواقع أن ذلك لم يكن فراغا سياسيا في المقاطعة، حيث يستشف مما أورده شيشرون في مرافعته للدفاع عن ليجاروس⁽⁶⁾ أن حاكم مقاطعة إفريقيا كونسيدوس (*Considius*) غادر المقاطعة إلى روما بعد اقتراب موعد نهاية حكمه وعين مساعدة له هو ليجاروس (*Ligarius*) ليشغل الفترة الانتقالية القصيرة ريثما يتم تعيين حاكم جديد للمقاطعة، غير أن فاروس وصل قبل الحاكم الجديد وتولى الحكم بدلا عنه بعدما لقي ترحيبا من السكان بحكم معرفتهم السابقة به كما سبق وأشرنا، وبعد أن أجرى مجلس

(1) – Suétone, Vie des Césars, Jules César, XXXV, 1, trad. M. Nisard, 1855.

(2) – Plutarque, Vie de Pompée, 79, trad. D. Ricard, Paris, 1883.

(3) – نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 628.

(4) – César, Guerre civile, I, 31.

(5) – يشير بلوتارخ إلى أن بومبي هو من ولى فاروس حكم مقاطعة إفريقيا.

Plutarque, Vie de Caton d'Utique, 56, trad. D. Ricard, Paris, 1883

(6) – Cicéron, Pro Ligario, I, trad. M. Nisard, Paris, 1840.

الشيوخ قرعة حكام المقاطعات وقعت إفريقيا من نصيب توبيرون (L. Tubéron)⁽¹⁾ الذي منعه فاروس من النزول في ميناء أوتيكا⁽²⁾، ويبدو أن مرض ابنه الذي كان برفقته أدى إلى تأخر رحلته⁽³⁾. وبعودة كونسيديوس حكم مع فاروس مناصفة ربما باقتراح من مجلس الشيوخ لوجود نقيشة تحمل اسميهما⁽⁴⁾.

طلب قيصر من كوريون (Corion) قيادة حملة نحو إفريقيا، فنزل بالقرب من أوتيكا واشتبك مع قوات فاروس وألحق بهم الهزيمة، إلا أن الموازين تغيرت بعد أن وصل دعم الملك يوبا الأول (Juba) بالخصوص فرقة الفرسان النوميدي، فاستطاع القائد سابورا (Saburra) أحد قواد الملك يوبا من محاصرة جيوش كوريون وإيقاع الهزيمة بهم بالقرب من وادي مجردة⁽⁵⁾ حيث تعرض جيشه لمذبحة في إفريقيا⁽⁶⁾، وقطع رأسه وحُمل إلى يوبا⁽⁷⁾.

يرجع سبب مساعدة هذا الأخير لأتيوس ووقوفه إلى جانب بومبي حسب ديون كاسيوس⁽⁸⁾ إلى وعد قطعه سكيبيو ليوبا بأن يعيد له الأراضي التي سيطرت عليها روما في إفريقيا، وقد أقام والد يوبا هيம்பسال (Hiempsal) معاهدة مع القنصل كوتا (Cotta) حول أراضي مملكته وقد كان يخشى أن يتم فسخها⁽⁹⁾، في حين يذكر إبراهيم نصحي أن والد يوبا كان يدين به لبومبي بحصوله على مملكته⁽¹⁰⁾ غير أنه لم يذكر مصدر معلوماته، ومهما يكن فإن ضم الروايات إلى بعضها يفيدنا بتلقي الملك يوبا وعودا من السياسة الرومان والقواد الكبار باسترجاع

(1) – Ibid, VII.

(2) – César, Guerre civile, I, 31.

(3) – يذكر شيشرون أن توبيرون هو الذي كان يعاني من المرض، وهو الأقرب للصحة إذ كان على تواصل معه.
Cicéron, Pro Ligario, VII.

(4) – Gsell (S), op cit, T.8, p 4.

(5) – Appien, Guerres civiles, II, 44-46.

(6) – César, Guerre civile, III, 10.

(7) – Appien, Guerres civiles, II, 46.

(8) – Dion Cassius, Histoire romaine, XLIII, 4, trad.E. Gros, Paris, 1850.

(9) – Cicéron, De la loi agraire, II, 22, trad. de M. Nisard, Paris, 1840.

(10) – نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 628.

أراضي أجداده، وهذا مايفسر دخوله في الحرب التي لم يكن طرفا فيها في بدايتها، أو أنه وجد نفسه مضطرا للانحياز إلى جبهة بومبي لأنه كان يحمل حقدا شخصيا تجاه قيصر الذي آوى أحد معارضيه والخارجين عليه⁽¹⁾، ولكوريون الذي اعتزم استصدار قانون يقضي بتحويل نوميديا إلى ولاية رومانية حينما كان تريونا للعامه⁽²⁾، ويبدو أن أول مكافأة تلقاها يوبا هي ضرب عملة في المقاطعة الإفريقية تحمل صورته على أحد وجهيها ورأس الأسد على الوجه الثاني⁽³⁾.

بعد أن استتب الوضع لقيصر في مصر ومقتل عدوه بومبي، كان عليه أن يزحف غربا نحو ولاية إفريقيا لاسترجاعها وليضمن عدم قطع تمديد روما بالقمح الذي تحتاجه فتعرض للمجاعة⁽⁴⁾، غير أن ظهور خطر الملك فارناس (*Pharnace*) ابن الملك ميثريداتوس السادس جعله يغادر مصر نحو أرمينيا لمواجهة بعدد أن هزم قائده دوميتيوس وقتله، فسار إليه قيصر وهزمه⁽⁵⁾.

أخضع قيصر إيطاليا وإسبانيا ومقاطعات الشرق وصقلية وسردينيا إلى جانب مصر التي نصب عليها كليوباترا، فلم يبق تقريبا من الأراضي الخارجة عن السيطرة إلا مقاطعة إفريقيا التي قرر تجهيز حملة والسير نحوها مع نهاية سنة 47 ق.م، خاصة وأن أتباع بومبي المتحالفين في مقاطعة إفريقيا كسكستوس (*Sextus Pompeius*) وكينيوس (*CN. Pompeius*) ابني بومبي، وكاتو وفاوستوس سولا (*Faustus Sulla*) وبترينوس (*petreius*) ولايينوس (*Labienus*) وأفراينوس (*Afranius*)؛ كانوا قد جمعوا جيشا قوامه حوالي عشر فرق من المشاة الكاملية العدة بتعداد خمس

(1) - يذكر سويتون أن شابا أنيقا التجأ إلى مجلس الشيوخ بعد معارضته للملك هيمبسال، وقد دافع عنه قيصر لدرجة أنه أمسك يوبا من لحيته، واصطحب الشاب ماسينثا (*Masintha*) معه إلى إسبانيا. Suétone, Vie des Césars, Jules César, LXXI. وافترض قزال أن هذا الشاب من الممكن أن يكون من العائلة الملكية. Gsell (S), op cit., T.7, p294

(2) - نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 629.

(3) - Piganiol (A), La conquête romaine, Presses Universitaires de France, 7e ed., Paris, 1995, p 552.

(4) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 113.

(5) - Dion Cassius, Histoire romaine, XLII, 47.

وثلاثين ألف جندي (35000) بالإضافة إلى قوة أخرى من المشاة الخفيفة العدة ورماة النبال والرماح وخمسة عشر ألف فارس (15000) إلى جانب أسطول يضم مابن خمسين وستين سفينة (50-60)، أسندت قيادتهم إلى سكيبيو⁽¹⁾، فضلا عن جيش يوبا الأول الحليف بتعداد حوالي ثلاثين ألف (30.000) من المشاة وقوة من الفرسان النوميدي وحوالي⁽²⁾ ستين فيلا (60)⁽³⁾.

لاشك أن قيصر تصور أن حشد جيش بهذه العدة والعتاد سيكون الهدف منه غزو روما نفسها، وإن كنا لا نعلم هل فكر أنصار بومبي في التوجه نحو روما بدل انتظار قرار قيصر بغزو إفريقيا بعد إخضاعه لكل البلاد الخارجة عن سلطته، وعلى أي حال فقد عُرف عن قيصر إقدامه وتفضيله المبادرة بالهجوم في حروبه عوض التراجع والدفاع.

وصل قيصر إلى سواحل مقاطعة إفريقيا وأنزل دون أي عقبة جيشه المتكون من ثلاثة آلاف من المشاة (3000) ومائة وخمسين فارسا (150) في حضرموت بالقرب من حامية عسكرية يرأسها كايوس كونسيدديوس (*Caius Considius*) إلى جانب فرقة من الفرسان، وأقام معسكره⁽⁴⁾.

لم يفلح قيصر في اقتحام المدينة ووجد نفسه عاجزا عن اقتحام حضرموت لشدة تحصيناتها، فاضطر أن يجلي معسكره إلى مدينة أخرى بعد أيام قليلة من اقامته، فتوجه إلى مدينة روسبينا (*Ruspina*) التي وصلها يوم 13 أكتوبر بعد يوم واحد من المسير، إذ عطلت تقدمه فرقة من الخيالة المور. لم يكد يقيم معسكره في روسبينا حتى رفعه مرة أخرى متوجها هذه المرة إلى لمطة

(1) - حسب ديون كاسيوس فإن الصراع كان بين فاروس وبومبيوس ويوبا حول مسألة القيادة، فالأول طلبها نظرا لأسبقيته في حكم المقاطعة وخبرته بها، والثاني كان محل تركية من القادة المتحالفين في إفريقيا، ويوبا الذي قدمته قوته وانتصاره العسكري الأخير . Dion Cassius, Histoire romaine,, XLII,57,42.

(2)- وصل تعداد الأفيال حوالي مائة وعشرين فيلا(120) حسب مؤلف الحرب الإفريقية. يوليوس قيصر، المصدر السابق، 1.

(3) - نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص ص 656-657.

(4) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 3.

(*Leptis Minor*) أين فتحت له الأبواب وخرج أعيانها لاستقباله معلنين ولاءهم له، ثم أقام معسكره مرة أخرى بالقرب من المدينة على الساحل حيث وصلت بعض سفن أسطوله بينما تشتت الأخرى عن وجهتها⁽¹⁾.

أمام التعداد القليل لجيوش قيصر مقارنة بجيوش أنصار بومبي فإن قيصر بقي ينتقل بين المدن الإفريقية والقريبة من الساحل مخافة أن يتم حصار قواته أو استنفاد قواها خاصة مع صعوبة التموين، لذلك ظل يناور منتظرا اكتمال وصول المدد العسكري الذي كان مشتتا على نحو ما ذكرت، ثم مالبت أن تغيرت موازين القوى بين الطرفين وجعلت قيصر أكثر قوة بعد وصول الدعم في آخر معسكر، إذ أصبح تعداد جيشه حوالي ثلاثة وثلاثين ألف جندي (33.000)⁽²⁾. وفي خضم تلك الأحداث ومحاولة لاينوس وسكيبيو محاصرة قيصر، تحالف المرتزق ستيوس (*Sittius*) مع الملك الموريطاني بوخوس الثاني، فزحف على كيرطا عاصمة الملك يوبا واحتلها، فسارع هذا الأخير إلى استعادة عاصمته رفقة جيوشه تاركا ثلاثين فيلا (30)، محدثا بذلك نقصا في الجيوش التي كانت تحت إمرة سكيبيو⁽³⁾، فشكل هذا فرقا نظر له قيصر على أنه فرصة ينبغي استغلالها خاصة وأنه كان قد أغرى كلا من ستيوس⁽⁴⁾ والملك الموريطاني بأن يكون لهما نصيب بعد إبعاده على القضاء على خصومه البومبيين واسترجاع مقاطعة إفريقيا⁽⁵⁾.

(1) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 6-8.

(2) - Gsell (S), op cit, T.8, p87.

(3) - Appien, Les Guerres Civiles, II, 96.

(4) - يستشف من ديون كاسيوس أن المرتزق الإيطالي ستيوس يمكن أن يكون عرض على قيصر مساعدته، وأنه كان يعمل تحت إمرة الملك الموريطاني بوخوس الثاني، ويحتمل أن يكون قيصر قد عقد اتفاقا مع الملك وأصاب ستيوس نصيبا من المكافأة بتوصية من الملك !.. 3. Dion Cassius, Histoire romaine, XLIII, 3. خاصة وأن ستيوس له تجربة بموريطانيا وسبق له أن جيش منها فرقا شارك بها في حرب كاتالينا سنة 62 ق.م. Heurgon (J), La lettre de Cicerón à P. Sittius (Ad Fam., V, 17), Latomus, T. 9, Fasc. 4, Société d'Études Latines de Bruxelles, 1950, p373.

(5) - مسرحي (جمال)، المرجع السابق، ص 85.

لاشك أن محاولة الملك بوخوس استغلال انشغال يوبا في جبهة القتال إلى جانب البومبيين وغدره باحتلال العاصمة النوميديّة ماهو إلا حادثة تاريخية مستنسخة عما قام به الملك بوخوس الأول وغدره الملك يوغرطة، وهي سياسة دأب عليها الملوك المور وتوارثوها خلفا عن سلف، ناظرين إلى روما بعين الإكبار وإلى ممالكهم بعين الانتقاص، وواضعين أيديهم بأيدي الرومان على اعتبار صداقة الشعب الروماني، ومعادين لجيرانهم من الملوك الأهالي، رغم أن سياسة روما السادية أظهرت لهم في عديد المرات أنها لا تمد يد الصداقة إلا حينما تحتاج للتحالف، وسرعان ما يتم التخلص من تلك الصداقة حينما ترى الوقت مناسباً لانتهاء، ويوبا هو الآخر حالف طرفاً رومانياً كان في غنى عن مخالفة والنأي بمملكته عن حرب لا دخل له فيه، فانقسام الممالك وتشتمها ضمن شتات الأحزاب السياسية الرومانية والتعلق بعودها الزائفة ساهم بشكل فعلي ومباشر في التعجيل بضم الأقطار المغاربية كلها.

أرسل أهالي مدينة أشولا (*Acholla/Achilla*) سفارة إلى معسكر قيصر، تعرض عليه المساعدة وتقديم المؤن الضرورية لجيشه ويزودونه بالقمح، فضلا عن الدخول تحت إمرته، كما طلبوا منه إقامة حامية لهم في المدينة، فاستجاب لذلك وأرسل معهم حامية بقيادة القيم كايوس ميسيوس (*C. Messius*)⁽¹⁾، وبالتحاق أشولا أصبح لقيصر ثلاث مدن إفريقية إلى جانبه تضمن له التزود بالمؤونة والتحصن بها كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك، فهي نقطة ارتكاز جديدة.

بعد أن أصبح الجيش أكثر قوة خبر قيصر المنطقة بعض الشي ثم شرع في الاستيلاء على المدن، حيث هاجم مدينة سارسورا (*Sarsura*) التي كان سكيبيو قد ترك بها حامية، وبعد مقاومة شديدة قتل خلالها حاكم المدينة بوليوس كورنيليوس (*P. Cornelius*) تمكن قيصر من السيطرة على المدينة وتوزيع قمحها على جيوشه، وأثناء حصاره لمدينة الجم (*Thysdrus*) أرسل سكان ثابنة (*Thabena*) وفدا يعلن ولاء المدينة لقيصر بعد التخلص من حامية يوبا فيها فأرسل معهم

(1) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 33.

حامية عسكرية، وتزامن ذلك مع التحاق تسعة آلاف جندي على اختلاف أصنافهم، كانوا قد تخلفوا سابقاً⁽¹⁾.

مع تزايد عدد الجند الوافد من صقلية ودخول المدن الإفريقية طواعية في خدمة قيصر، صار يشكل خطراً مقلقاً وجب التخلص منه بسرعة، فقد ترك يوبا خلفه قائده سابورا وعاد ملتحقاً بجبهة القتال مع البومبيين⁽²⁾، ويشير قزال إلى أن إقامة هذا الملك لمعسكره بالقرب من معسكر سكيبيو لا ضمن معسكره دلالة على كبرياء يوبا الذي أراد أن يبين للرومان أنه لا يخضع لسلطتهم وهو الذي تعود على ارتداء رداء القيادة وأن يهين بأوامره حتى أعضاء مجلس الشيوخ⁽³⁾.

سار قيصر باتجاه أوزيتا (Uzitta) وعسكر بها رغم أنها كانت خاضعة لسكيبيو⁽⁴⁾، وبعد عدة اشتباكات بينه وبين جيوش سكيبيو ويوبا الأول لم تجر معركة حاسمة بها ولا بأغار (Agar) التي حاول فيها سحب جيوش العدو إلى ميدان المعركة إلا أنه لم يفلح في ذلك⁽⁵⁾، وأمام المناوشات البسيطة التي كانت تحدث بين الطرفين فكر قيصر في جر خصومه إلى مكان يمكن من استيعاب الجيشين معا ويستطيع من خلاله دفع البومبيين إلى خوض معركة بدل غارات الكر والفر التي كان يقوم بها الخيالة والمشاة الخفاف النوميدي والرومان.

قرر قيصر بعد ذلك السير إلى مدينة ثابسوس (Thapsus) التي كان قد فرض عليها حصاراً بحرياً قبل ذلك⁽⁶⁾، وبالقرب من المدينة وقعت المعركة التي حسمت أمر المقاطعة الإفريقية وبلاد

(1) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 76، 77.

(2) - المصدر نفسه، 48.

(3) - Gsell (S), op cit, p 94.

(4) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 41.

(5) - المصدر نفسه، 67-79.

(6) - المصدر نفسه، 62، 67.

المغرب على السواء، حيث تمكن قيصر من إلحاق الهزيمة بجيوش البومبيين وكسب الحرب (1) فيما لجأ الملك يوبا إلى مدينة زاما رفقة بترئوس إلا أن سكان المدينة رفضوا فتح الأبواب لهم (2) ففضل الملك الانتحار على أن يقع أسيرا في يدي قيصر (3). خاصة وأن ستيوس كان قد هزم قائده سابورا وقتله (4)، ثم حاصر السفن التي كان فيها سكيبيو عازما على الذهاب إلى إسبانيا، فتمكن من إغراقه (5) في هيبوريغيوس (Hippo-Rigius) رفقة ثلة من قواده (6)، بينما استطاع كل من سيكستوس بومبي وفاروس ولاينوس الفرار إلى إسبانيا (7)، وكان مصير كاتو في أوتيكا نفس المصير الذي لاقاه يوبا، إذ فضل الانتحار هو الآخر (8)، وباستسلام كل مدن الولاية الرومانية (9) انتهت حرب إفريقية والحرب الأهلية الثانية التي لم يبق منها سوى إخضاع ابني بومبي في إسبانيا الذي أتمه قيصر بعد ذلك (10).

أصدر قيصر من أوتيكا قراراته بشأن المدن التي حالفت أعداءه، ففرض مليوني سيستروس على سكان مدينة ثابوسوس وثلاثة ملايين أخرى على مجلسها، بينما بلغت قيمة العقوبة المفروضة على سكان مدينة حضرموت ثلاثة ملايين أيضا ومجلسها خمسة ملايين مع ضمان حماية مدينتهم وأملاكهم، أما سكان مدينة لبدة فقد فرض عليهم ضريبة عينية من زيت الزيتون بلغت ثلاثة

(1) – Plutarque, Vie de César, 53.

(2) – يوليوس قيصر، المصدر السابق، 91.

(3) – Florus, IV, 2.

(4) – يوليوس قيصر، المصدر السابق، 95.

(5) – رواية آبيان تفيد بأنه انتحر قبل غرقه. Appien, Guerres Civiles, II, 100.

(6) – يوليوس قيصر، المصدر السابق، 96.

(7) – Dion Cassius, L'Histoire romaine, XLIII, 30.

(8) – Plutarque, Vie de Caton d'Utique, 70.

(9) – Gsell (S), op cit, p149.

(10) – Plutarque, Vie de César, 56.

ملايين رطل سنويا، وضريبة عينية أخرى من القمح غير معلومة يلتزم بتقديمها سكان ثيسدروس⁽¹⁾ كانت إعادة تقسيم الأراضي الإفريقية من أهم نتائج هذه الحرب، فقد ألغى قيصر سنة 46 ق.م مملكة نوميديا بشكل نهائي، فمنح الجزء الشمالي الغربي منها إلى المرتزق ستيوس حيث تم إقامة إمارة باسمه وهي أشبه بالكونفدرالية تجمع عدة مدن واتخذت كيرطا عاصمة لتلك الكونفدرالية التي تضم مدنا مشهورة كالقل (Chullu) سكيكدة (Rusicadae) وميلة (Milev)⁽²⁾ ممتدة حتى أراضي الجيتول جنوبا⁽³⁾، وازداد نشاط مرتزقة ستيوس بالاستيلاء على الأراضي الزراعية المجاورة لتلك المدن وأسسوا فيها المستعمرات⁽⁴⁾، وأعلن القسم الشرقي من أراضي نوميديا ولاية رومانية ثانية باسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) عين عليها ساليستيوس حاكما برتبة بروقنصل يتمتع بجميع الصلاحيات⁽⁵⁾، يفترض أنه أقام في مدينة زاما واتخذها عاصمة للمقاطعة، وامتدت حدودها من الخندق الملكي الذي يفصلها عن مقاطعة إفريقيا السابقة شرقا حتى حدود مقاطعة ستيوس غربا بالقرب من هيبورييوس وقالة (Calama) في الغرب⁽⁶⁾، أما حدودها الجنوبية فرغم عدم وضوحها إلا أنه يفترض أن تكون بالقرب من ثيناي شرقا⁽⁷⁾ وحتى جنوب شط الجريد غربا لتضم مدنا هامة مثل تبسة (Theveste) ومداوروش (Madaure)⁽⁸⁾،

(1) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 96.

(2) - شنيقي (م. البشير)، الإحتلال...، المرجع السابق، ص ص 64-65.

(3) - Decret (F), Fantar (M), op cit, p 157.

(4) - شنيقي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 65.

(5) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 97.

(6) - Bertrandy (F), Le proconsulat de Salluste en "Africa noua" ombres et lumières, Latomus, T. 64, Fasc. 1, Societe d'Etudes Latines de Bruxelles, 2005, pp 35-38.

(7) - ييليني الأكبر، المصدر السابق، ك. 5، 25.

(8) - Bertrandy (F), op cit, pp 35-38.

وليتيم تمييزها عن الولاية الرومانية الأولى تم تسمية هذه الأخيرة بإفريقيا القديمة (*Africa Vetus*)⁽¹⁾، التي لم يطرأ عليها أي تغيير من حيث حدودها الجغرافية.

أما عن الملك الموريطاني بوخوس الثاني، فلم يهمل قيصر حصوله على مكافأته، وأطلق يديه فاقسم نوميديا مع سيتيوس ووسع مملكته إلى غاية الواد الكبير (*L'ampsaga*)، لتتشكل الخريطة السياسية لبلاد المغرب من جديد ووفق ماتقتضيه مصالح روما بطبيعة الحال، إذ أن ولاية إفريقيا القديمة جرى تأمينها أكثر بإنشاء ولاية إفريقيا الجديدة، هذه الأخيرة تم تأمين حدودها هي الأخرى بإقامة الكونفدرالية السيرية، ثم تمتد بعدها أراضي موريطانيا الموسعة، ليتم إزالة كل من مملكتي يوبا الأول ومملكة آرابيون (*Arabion*) ابن ماستنيسا (*Mastenissa*) التي تم اقتسامها، فيما استطاع هو الفرار مع من فر من البوميين والتجأ إلى إسبانيا معهم، ثم عاد إلى إفريقيا مجددا بعد وفاة قيصر وتمكن من قتل سيتيوس مسترجعا بذلك جزءا من مملكته⁽²⁾.

مثلت حملة قيصر على إفريقيا حدثا مهما بالنسبة للرومان، إذ تعمق وجودهم الرسمي بصفته احتلالا في المنطقة، وأصبح نفوذهم في شمال إفريقيا يمتد من إفريقيا الجديدة غربا إلى غاية حدود برقة الشرقية، وذلك بعد أن حولت برقة إلى ولاية رومانية سنة 74 ق.م⁽³⁾، وفتح مجال الاستيطان على مصراعيه ليشمل كل الأراضي الخاضعة لسيطرة الرومان أو حتى تلك الخاضعة لنفوذ مرتزقة سيتيوس والتي أسسوا فيها مستعمراتهم وضربوا فيها عملتهم⁽⁴⁾.

حسب تحليل الأستاذ شنيقي لهذا التقسيم الإداري فإن خلفيات ذلك تعود حسبته إلى تفكير قيصر غير المطمئن إلى طموح الملك الموريطاني بوخوس الثاني اتعاضا بأحداث يوغرطة ويوبا الأول،

(1) - شنيقي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 64.

(2) - Appien, Les guerres civiles, IV, 54.

(3) - عبد العليم (م. كمال)، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، ليبيا، 1966، ص 122.

(4) - Claude (B-P), Les relations de Cirta et de la Confédération cirtéenne avec le pouvoir pendant le Haut-Empire, Cahiers du Centre Gustave Glotz, n°17, 2006, pp 106-107.

وكان يرى في جماعة سيتئوس قوة بشرية من شأنها القدرة على الاستيطان في تلك المنطقة وتدافع عنها، نظرا لرغبتهم وحرصهم على الاستيطان بعد الحياة الطويلة التي قضاها في التنقل بإسبانيا وموريطانيا كمرتزقة، ثم أنهم سيستمتتون دون شك في الدفاع عن المنطقة التي حصلوها كغنيمة حرب ووجودهم واستقرارهم مرتبط بها⁽¹⁾. فمثل عهد قيصر بتنظيماته التي أقرها بداية الاستيطان المنظم⁽²⁾ وسار الاستعمار الروماني بذلك بخطى سريعة⁽³⁾.

هكذا، أصبحت البلاد المغاربية بعد انتهاء الحرب الإفريقية تضم عدة أقاليم، فولاية إفريقيا القديمة التي تم إنشاؤها عقب سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م في الشرق، وإلى الغرب منها ولاية إفريقيا الجديدة التي أنشأها قيصر سنة 46 ق.م، وتمتد حتى إمارة سيتئوس، يليها مملكة موريطانيا الشرقية تحت حكم الملك بوخوس الثاني، وإلى الغرب منها مملكة موريطانيا الغربية التي حكمها الملك بوغود⁽⁴⁾. لم يلبث هذا الوضع السياسي طويلا حتى تغير جراء انشقاق سياسي آخر في روما تسبب في قيام صراع ثالث في شكل حرب أهلية أخرى، والتي كان لها هي الأخرى انعكاسات على العالم الروماني بما فيه إفريقيا وأقاليمها التي ذكرت.

III - تداعيات الصراع بين أوكتافيوس وأنطونيوس:

لم تنته المشاكل السياسية في روما بموت قيصر مقتولا سنة 44 ق.م، فالاضطرابات السياسية في روما لم تكن مرتبطة بالقناصل وطموحاتهم بقدر ما كانت مرتبطة بعجز النظام السياسي الجمهوري الذي أصبح أكثر من ذي قبل عرضة للانحيار والتفكك، حيث لم تفلح الإصلاحات

(1) - شنيقي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 66.

(2) - حجازي (ع. العزيز ع. الفتاح)، روما وأفريقيا، من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2007، ص 122.

(3) - رستوفتريف (م.)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج.1، تر. زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1957، ص 385.

(4) - حجازي (ع. العزيز ع. الفتاح)، المرجع السابق، ص 120.

المتوالية في تقويم عيوبه، ولقد مثلت نهاية عصر قيصر تمهيدا لبداية مرحلة جديدة، مرحلة ينتهي بها النظام الجمهوري ويقوم بها النظام الامبراطوري.

1- الصراع بين أوكتافوس وأنطونيوس:

نظرا للمخاوف المتزايدة من تزايد سلطة قيصر التي ربما كانت ستعيد روما إلى العهد الملكي في نظر مجلس الشيوخ أو إلى حكم الاستبداد الفردي⁽¹⁾، رغم أن قيصر كان ينكر الألقاب الملكية على ما يستشف من بعض المصادر⁽²⁾، إلا أن ذلك عجل بانتهاء حياته بعد أن دبر له مجلس الشيوخ مؤامرة لقتله، شارك فيها بروتوس (*Brutus*) أقرب أصدقائه إليه، فسقط مقتولا أمام تمثال عدوه التقليدي بومبي⁽³⁾.

استولى لبيدوس (*Lépidus*) بمساعدة جنوده المسلحين على ساحة الفوروم في روما كما زحف قدماء المحاربين على روما بعد اغتيال قائدهم مخافة أن تسلب منهم المنح والمكافآت التي منحهم إياها، فخيمنت الفوضى على المدينة، فاجتمع مجلس الشيوخ وأقر المصادقة على كل قرار اتخذته قيصر من جهة والعفو عن المتآمرين على قتله من جهة أخرى، فأعاد بذلك الهدوء إلى المدينة⁽⁴⁾.

كان أنطونيوس أحد قواد قيصر المحسوبين عليه إلى جانب لبيدوس، فلما تبين من وصية قيصر أنه تبنى أوكتافوس وأوصى له بما عنده وأنه لم يجعله - أنطونيوس - إلا من الورثة الثانويين

(1) - Cicéron, Lettres à Brutus, I, 3,4, trad. M. Nisard, Paris, 1841.

(2) - Plutarque, Vie de César, 60, 61.

(3) - Ibid, 66.

(4) - مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان (أسباب النهوض والانحطاط)، تر. عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط.1، المغرب، 2001، ص 113.

رأى أن الفرصة سانحة أمامه لتقلد المناصب العليا فصالح قتلة قيصر وسعى عند مجلس الشيوخ⁽¹⁾ أن يجعل تحت إمرته جيش يحارب به عند الضرورة أعداء روما، فعين قنصلا وحاكما على مقدونيا فيما نال دولابيللا (Dollabela) منصب الكاهن الأعظم وولاية سوريا، ولتعزيز نفوذه وكسب تأييد شعبي منح أنطونيوس حقوق المواطنة للصقليين واستمال جنود قيصر بمنحهم الأراضي وأدخل أنصاره إلى مجلس الشيوخ⁽²⁾، كما اقترح على مجلس الشيوخ اسناد حكم إحدى المقاطعات لبروتوس قاتل صديقه قيصر⁽³⁾، وليظهر نواياه الحسنة اتجاه مجلس الشيوخ أصدر قرارا يقضي بإلغاء الدكتاتورية⁽⁴⁾، ويظهر من هذا الطموح السياسي الذي يغلب عند الرومان على القوانين أو الأخلاق أن الساسة الرومان غالبا ما كانوا يضعون آمالهم الشخصية فوق آمال الجمهورية، وما كان منصب الإمبراطور فيما بعد إلا تعبيرا مجسدا لتلك الرغبة.

طالب أوكتافيوس (Octavius) ابن قيصر بالتبني بحصته من تركة والده، فلم يكن بوسع أنطونيوس إجابته لذلك إذ أنه بدد ثروة قيصر وأنفقها على مشاريعه التي كان مجلس الشيوخ يطمح أن يضع لها حدا، فكان ذلك أول بدايات عدم الاتفاق بين القنصل والسيناتوس⁽⁵⁾، وتفاقم هذا الصراع بعد أن هاجم الخطيب شيشرون أنطونيوس في مجموعة من الخطب⁽⁶⁾ وصفه فيها بعدم التفكير في مصلحة الجمهورية وإعلاء مصلحته الشخصية . ثم تطور الصراع أكثر بعد اتهام أنطونيوس لأوكتافيوس بمحاولة اغتياله، ودعى هذا الأخير جنود قيصر لنصرته فأجابه آلاف الجنود من كامبانيا والتحقت به فرقتان من مقدونيا التي كانت تحت حكم خصمه الذي التجأ إلى

(1) - يزعم بلوتارك أن أنطونيوس تحصل على سجلات قيصر ووصيته من أرملة، فأدخل عليها إضافات وفق ماتقتضيه

مصلحه، ومنها تعيينه لشقيقه كايوس ولوسيوس كبريتور وتريون. Plutarque, Vie d'Antoine, 15, trad. D.

Ricard, Paris, 1883.

(2) - رزق الله (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 234.

(3) - Plutarque, Vie d'Antoine, 14.

(4) - Cicéron, Philippiques, I, 13, trad. M. Heguin de Guerle, Paris, 1927 .

(5) - الأحمد (س. سعيد)، تاريخ الرومان، مكتبة الملك فهد الوطنية ، المملكة العربية السعودية، 1988، ص 116.

(6) - Cicéron, Philippiques, I-V.

غالة وطلب من مجلس الشيوخ الإبقاء على قوانينه مقابل انسحابه من منها، غير أن المجلس رفض ذلك وأقر ببطلان قوانينه وأعلن حالة الطوارئ⁽¹⁾، وأرسل بإيعاز من شيشرون⁽²⁾ جيشا يقوده القنصلان هيرتيوس (Hirtius) وبانسا (Pansa) وأوكتافيوس لفك الحصار عن غالة، حيث جرت بينهما معركة مودينا (Modène) التي قتل فيها القنصلان⁽³⁾ وانسحب أنطونيوس إلى الجنوب فيما اعتبره مجلس الشيوخ عدوا لروما⁽⁴⁾، وأمام رفض المجلس ترشيح أوكتافيوس لمنصب القنصلية زحف هذا الأخير على روما وأعلن نفسه قنصلا⁽⁵⁾، واجتمع أنطونيوس بما تبقى من جيشه مع ليبيدوس وزحفا إلى إيطاليا وهناك اجتمعا بأوكتافيوس الذي تدهورت علاقته بمجلس الشيوخ واستطاع إقناعه بالدخول في حلف يتم من خلاله التخلي عن العداءات السابقة⁽⁶⁾.

في السنة الموالية لمقتل قيصر - 43 ق.م - تكون ائتلاف ثلاثي آخر هو الثاني بعد الذي كان قد تكون على عهد ماريوس وسولا، فضم هذه المرة أنصار قيصر وقواده أنطونيوس وليبيدوس وأوكتافيوس لمدة خمس سنوات⁽⁷⁾، وراح ضحية هذا الائتلاف الكثير من خصومهم وعلى رأسهم الخطيب شيشرون الذي أمر أنطونيوس بقتله وقطع يده التي كتبت الخطاب ضده وحمل رأسه إليه⁽⁸⁾.

(1) - الأحمـد (س. سعيد)، المرجع السابق، ص 116.

(2) - Plutarque, Vie d'Antoine, 17.

(3) - يذكر سويتون أن أكتافيوس كانت تدور حوله الشكوك بشأن موت القنصلين وأتم بقتلهما. Suétone, Vie

d'Auguste, 11, trad. Théophile Baudement, 1845.

(4) - الأحمـد (س. سعيد)، المرجع السابق، ص 116.

(5) - مونتسكيو، المرجع السابق، ص 117.

(6) - Plutarque, Vie d'Antoine, 19.

(7) - الشيخ (حسين)، المرجع السابق، ص 56.

(8) - Plutarque, Vie de Cicéron, 48, trad. D. Ricard, Paris, 1883.

بقي لبيدوس يتولى شؤون الحكم في روما فيما تولى زميلاه قيادة الجيوش إلى مقدونيا ضد قتلة قيصر بروتوس وكاسيوس⁽¹⁾، حيث وقعت معركة فيليبى (Philippes) وقتل فيها بروتوس⁽²⁾ وحمل رأسه إلى روما⁽³⁾، وموت أكبر المتآمرين على قيصر، أصبحت المؤامرات تدبر بين القائدين ضد لبيدوس الذي ما لبث أن أزيح واقتسم كل من أنطونيوس وأكتافيوس الولايات فيما بينهما (بقيت إفريقيا في يد لبيدوس)، فكانت إسبانيا من نصيب الأول وغالة من حصة الثاني⁽⁴⁾، وتم تقسيم الجيوش أيضا بينهما ووزعت الأراضي وتأسست المستعمرات⁽⁵⁾.

عاد أوكتافيوس إلى إيطاليا وتوجه أنطونيوس إلى بلاد الإغريق ليجمع المال قصد مكافأة جنوده⁽⁶⁾، مكث أنطونيوس فترة في بلاد الشرق حيث وجد حسن الاستقبال، غير أنه واجه ثورة البارثيين في سوريا والبلاد المجاورة فأخمدتها، وفي تلك الفترة التي أقامها هنا كان قد التقى بكليوباترا بدعوة منه، فأظهر ميولا نحوها استغلته الملكة بجعله يتخلص من مناوئها فقتل بطليموس شقيقها أو كما ادعى ذلك !⁽⁷⁾، وكان هذا اللقاء نقطة التحول في سياسة أنطونيوس وبداية نشوء حلفه مع كليوباترا.

كان أوكتافيوس قد واجه زوجة أنطونيوس وشقيقه بعد خلاف قام بينهم بسبب تقسيم الأراضي، فقادوا تمردا ضده حيث واجهوه بجيش استطاع أوكتافيوس هزيمته في بيروسيا (Perusia)⁽⁸⁾. وبعد أن قضى أنطونيوس الشتاء في مصر وصله خبر ماحدث لزوجته وأخيه في بيروسيا، فالتقى زوجته فولفيا (Fulvia) في أثينا ووالدته التي كانت فرت إلى بومبي في صقلية

(1) - Plutarque, Vie d'Antoine, 22.

(2) - رواية بلوتارك تذكر أن بروتوس لما أيقن هزيمته قتل نفسه بسيفه. Ibid.

(3) - Suétone, Vie d'Auguste, 13.

(4) - الأحمـد (س. سعيد)، المرجع السابق، ص ص 117-118.

(5) - Appien, Guerres civiles, V, 3.

(6) - Plutarque, Vie d'Antoine, 23.

(7) - Ibid, 25. ; Appien, Guerres civiles, V, 9-10.

(8) - Florus, Histoire romaine, IV, 5, trad. M. Nisard, Paris, 1865. ; Appien, Guerres civiles, V, 12-15.

وأرسلها إليه، فحدثت مراسلات بينه وبين سكستوس بومبي الذي فر سابقا من قيصر إلى إسبانيا، فأظهر أنطونيوس حسن نيته اتجاه هذا القائد وألمح له أنه مستعد للتحالف معه ضد أوكتافيوس في حال ما نشبت حرب بينهم أو أنه سيسعى لاستمالة أوكتافيوس نحوه والتوفيق بينهما⁽¹⁾.

التقى كل من أوكتافيوس وأنطونيوس لتسوية الخلافات، فتبين لهذا الأخير خطأ زوجته التي كان قد وصله خبر وفاتها بعد فترة قصيرة من لقائهم في بلاد الإغريق، فسوي الخلاف وتحدد الحلف بين القائدين واتفقا في معاهدة برينديزي (Brindisi) سنة 40 ق.م على رسم الحدود بينهما حيث يكون البحر الأيوني (أو مدينة سكودرا في الأدرياتيكي) حدا فاصلا بين نفوذهما، فأخذ أنطونيوس الشرق وأوكتافيوس الغرب فيما أبقوا لليبيدوس مقاطعة إفريقيا، وعزز اتفاهما بزواج أنطونيوس⁽²⁾ من أوكتافيا (Octavia) أخت أوكتافيوس⁽³⁾.

سيطر سكستوس بومبي على صقلية وضرب حصارا بحريا على روما، فمنع وصول شحن القمح إليها سواء من الشرق أو من إفريقيا، فبدأت المجاعة تهدد سكان روما الذين ألقوا اللوم على أوكتافيوس بسبب خلافه مع بومبي وعدم إيجاده للحلول، وأصبح التمرد الشعبي وشيكا، ولأن القائدان لم يكن بمقدورهما تغطية نفقات الحرب فإنهما جنحا إلى السلم والتفاوض⁽⁴⁾، فاستطاع بومبي أن يملي شروطه عليهما سنة 39 ق.م والتي منها⁽⁵⁾:

(1) - Appien, Guerres civiles, V,52.

(2) - يمنع القانون الروماني الزواج على الأرملة إلا بعد مضي عشرة أشهر على ترملة، فتم هذا الزواج بإصدار مجلس

الشيخوخة قانونا يستثني منه حالة أنطونيوس. Plutarque, Vie d'Antoine, 31.

(3) - Plutarque, Vie d'Antoine, 30, 31.

(4) - يجعل أبيان مكان المعاهدة في بوزولي (puteoli)، بينما رواية بلوتارك تفيد أنه في ميسينا (Messina) وهي إلى

الجنوب من بوزولي حيث يلتقي الرأس الغربي من الحذاء الإيطالي بصقلية. Appien, Guerres civiles, V,

Plutarque, Vie d'Antoine, 32, 71.

(5) - Appien, Guerres civiles, V, 67, 68, 71, 72.

- وضع الخلاف جانبا وإنهاء الحرب.
- حرية تنقل التجار .
- عدم تعرض بومبي للساحل الإسباني.
- يحتفظ بومبي بصقلية، سردينيا وكورسيكا وجزر أخرى، مع ضمان كميات القمح التي كانت ترسلها تلك الجزر إلى روما.
- يمكنه ترشيح أصدقائه لمنصب القنصلية في حالة غيابه.
- إصدار عفو عام عن جميع المنفيين باستثناء أولئك الذين شاركوا في قتل قيصر.
- يحصل جنود بومبي المسرحون على نفس المكافآت التي يحصل عليها جنود أنطونيوس وأوكتافيوس.

رغم أن هذا التحالف الجديد بين القادة الثلاثة أنقذ روما مرة أخرى، إلا أن إقامة حكومة ثلاثية أخرى لم يكن إلا مؤشرا على تضعف النظام الجمهوري الروماني، الذي أصبح أشبه مايكون بدكتاتورية جماعية، ولم يعد لمجلس الشيوخ دور ذا أهمية عدا التصويت الشكلي على قرارات القادة العسكريين، ولا حتى للقناصل الذين أصبحوا يعينون بطريقة واضحة حسب ولائهم وانتماءاتهم السياسية وموقفهم من أوكتافيوس وأنطونيوس. حتى أن الثلاثة قد عينوا قناصل الأربعة سنوات المقبلة فكان فيها كل من القادة الثلاثة وأصدقاءهم المقربين وأصهارهم⁽¹⁾ .

كان أنطونيوس قد تنازل عن البيلوبونيز (Péloponnèse) شريطة أن تبقى جزيرتها تدفع لروما لا لبومبي، ويبدو أن هذه المسألة لم تكن إلا مشكلة فرعية تحجج بها أوكتافيوس خاصة وأن مجاعة روما لم تنته⁽²⁾، إذ أنه تخوف من طموحات بومبي أو تحالفه خفية مع أنطونيوس ضده كما كاد أن يحدث من قبل، ويبدو أن بومبي رأى نفسه أضعف الثلاثة وأنه إن كان يعتبر نفسه عضوا في التحالف الثلاثي فعليه أن يمتلك جيوشا ونفوذا مكافئا لما يمتلكه زميلاه.

(1) - Ibid, 73.

(2) - Appien, Loc cit, 77.

لم تكد تمر سنتان على اتفاق ميسينا حتى عقد أوكتافوس وأنطونيوس معاهدة أخرى سنة 37 ق.م في برينديزي مرة أخرى على خرق المعاهدة مع بومبي⁽¹⁾، وأعلن أوكتافوس بذلك الحرب على سكستوس بومبي واستولى على صقلية بعد عدة معارك وبمساعدة لبيدوس الذي قاد من إفريقيا إلى صقلية أسطولا يحمل جيشا من اثني عشر فيلقا وخمسمائة (500) فارس نوميدي، فيما فر سكستوس بومبي إلى الشرق وراسل أنطونيوس ليكون تحت إمرته إلا أنه لم ينجح في كسب وده وقتله قائده تيتيوس (Titius)⁽²⁾، وقد تم عزل لبيدوس وتجريده من صلاحياته سنة 36 ق.م بعد أن حاول الاستيلاء على صقلية⁽³⁾.

بعد التخلص من خطر بومبي ومشاركة لبيدوس في الحكم، تنامت قوة أوكتافوس وتأثيره الجماهيري، خاصة بعد أن ألحق به إفريقيا التي كان على رأسها لبيدوس المخلوع، ولم يكن له من منافس في الجمهورية بأكملها سوى أنطونيوس الذي كان آنذاك في الشرق يقضي أغلب وقته مع كليوباترا التي أنجب منها اسكندر وكليوباترا وبطليموس ووزع بينهم حكم ولايات الشرق مستقبلا، كما لقبهم بالملوك واعترف بابنها من قيصر الذي سمته قيصر⁽⁴⁾.

رأى الرومان بتحريض من أوكتافوس خطر كليوباترا وأبنائها على الجمهورية الرومانية، حتى وصف بعض الكتاب⁽⁵⁾ أنطونيوس بالعبد لكليوباترا، وكثيرا ما يلتمس القارئ لمؤرخي تلك الفترة وصف كليوباترا بالخطر على الجمهورية ومحاولتها تحويل روما إلى مملكة على منوال الممالك الشرقية، رغم إطرائهم في وصف حسننها، ورأوا في أوكتافوس أنه الرجل الذي أنهى الحروب الأهلية وعم السلام روما بفضلها فاحتفلوا بدخوله روما منتصرا واحتفى هو بانتصاره وألقى الخطب فيه وهو في

(1) - Plutarque, Vie d'Antoine, 35.

(2) - Appien, Guerres civiles, V, 144.

(3) - Ibid, 98, 123, 126.

(4) - Plutarque, Vie d'Antoine, 36, 54.

(5) - Florus, Histoire romaine, IV, 11. ; Pseudo-Aurélius Victor, 79. ; Dion Cassius, Histoire romaine, L, 5.

سن الثامنة والعشرين⁽¹⁾، وكانت هذه السمعة الحسنة التي أصبح يحظى بها وريث قيصر على حساب تراجع مكانة أنطونيوس الذي غاب ذكره وحضوره عن روما.

وصل أوكتافيوس وأنطونيوس إلى حالة عدم الوفاق وأعلنا حربا دعائية على بعضهما، فكان أنطونيوس يلومه على حجه للسفن التي أعارها له في حربه ضد بومبي، وأنه أخذ صقلية وإفريقيا بعد أن عزل عنها لبيدوس، ووزع الأراضي على جنوده في إيطاليا في الوقت الذي حرم منه جنوده هو، في حين رد عليه أوكتافيوس بسبب عزله لبيدوس وأن أراضي البارثيين التي ضمها أنطونيوس في الشرق بمقدورها أن تسع جنوده⁽²⁾. وقد صادف هذا الاحتقان بين القائدين وقوع وصية أنطونيوس بين يدي أوكتافيوس، والتي جاء فيها التوصية بعدم دفنه في روما ونقل جثمانه إلى الإسكندرية⁽³⁾، أمر مثل هذا اعتبر خيانة لروما ولشعبها فكان ذلك من أسباب إعلان الحرب من طرف أوكتافيوس. وقد انقسم مجلس الشيوخ في تأييده للقائدين حيث غادر روما القنصلان دوميتيوس (Cn. Domitius) وسوسيوس (C. Sossius) حلفي أنطونيوس رفقة الكثير من أعضاء السناتو والتجأوا إلى أنطونيوس. غير أن بعضهم انشق عنه وعاد إلى معسكر أوكتافيوس، حيث حشد جيوشه من كل الولايات التابعة له كإسبانيا وبلاد الغال وإيطاليا وصقلية وسردينيا وإفريقيا فيما جمع أنطونيوس جيوشه من بلاد الشرق الخاضعة له كترافيا وبلاد الإغريق ومقدونيا ومصر⁽⁴⁾. ولقد كان ذلك الحشد من الطرفين كبيرا يكاد لم يسبقه حدث مما مثل في تاريخ الحروب الأهلية الرومانية، إذ اجتمعت جيوش الشرق والغرب في تلك الحرب وتواجهوا في معركة أكتيوم.

(1) - Appien, Guerres civiles, V, 130, 132.

(2) - Plutarque, Vie d'Antoine, 55.

(3) - Ibid, 58.

(4) - Dion Cassius, Histoire romaine, L, 3, 5,6.

كانت معركة أكتيوم في الثاني من سبتمبر⁽¹⁾ 31 ق.م أكبر معركة بحرية عرفها العالم القديم، وقد ضمن الشاعر فرجيليوس (Virgile) "إنبادته"⁽²⁾ وصفا لها كملحمة قادها أوكتافيوس وقائده أغريبا (Agrippa)، تواجه فيها الأسطولان وسرعان ما فرت كليوباترا بالأسطول المصري⁽³⁾. وفر بعدها أنطونيوس فأرسل أوكتافيوس في عقبهما غير أنه لم يتمكن من اللحاق بهما، فاحتفل بنصره وأقام الاحتفالات تخليدا لفوزه، كما عاقب المتحالفين مع أنطونيوس، هذا الأخير التجأ إلى ليبيا بينما فرت كليوباترا إلى البيلوبونيز وأخذت يتجهزان لمواصلة الحرب غير أن مساعيها باءت بالفشل فانتحر أنطونيوس بعد إخباره بأن كليوباترا قد انتحرت⁽⁴⁾، ولم تكن فعلت ذلك إلا بعد موته⁽⁵⁾.

انتهت الحرب الأهلية الثالثة في تاريخ روما السياسي بموت أنطونيوس وكليوباترا، وقد كان لتلك المعركة ما بعدها، فقد ترتب عن انفراد أوكتافيوس بالسلطة في روما إدخاله لمجموعة من الإصلاحات على النظام السياسي الذي ما فتأ ينهار من الصراعات حول السلطة وتجاذبا من طرف حزب الأرستقراطيين وحزب الشعبين، فكانت تلك الإصلاحات مجددا لنظام سياسي أوشك أن ينهار ويعصف بالدولة الرومانية، حيث انتقل أوكتافيوس بها إلى نظام سياسي يكرس سلطة الفرد من جهة ويضمن الحرية الشعبية من جهة أخرى، فتولد بذلك النظام الإمبراطوري لأول مرة بصفة رسمية، ولتدخل به روما حقبة أخرى من تاريخها.

2- تغير نظام الحكم في روما وخلفياته:

كما أشرت سابقا فإن أهم تغير انجر عن انفراد أوكتافيوس بالحكم هو قلب نظام الحكم من الجمهوري إلى الإمبراطوري، ولكن هذا القرار في الحقيقة لم يكن وليد لحظة بقدر ما كان حتمية

(1) - Ibid, LI, 1, t.7, trad. E. Gros, Firmin Didot, Paris, 1865; Le Glay (M.), Rome Grandeur et déclin., Perrin, Paris, 1990, p311.

(2) - Virgile, Énéide, VIII, 675-710, trad.A.-M. Boxus et J. Poucet.

(3) - Dion Cassius, Histoire romaine, L, 32.

(4) - Dion Cassius, Histoire romaine, LI, 1, 2, 5, 6, 10.

(5) - Plutarque, Vie d'Antoine, 86.

نتيجة تراكمات تاريخية أدت إلى اتخاذه، وإني أرى أن أوكتافيوس لم يكن له دور كبير في ذلك، ولو أتيح لغيره ما أتيح له لوصلت روما إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها مع أوكتافيوس، دون إقصاء الدور الذي كان لأوكتافيوس بالإطلاق، فحقيقة تغير الأنظمة عامة حسب مايراه مونتسكيو⁽¹⁾ هو دستور الدولة، لأن له حالتان إما أن يصحح نفسه في الأولى أو يفسد نفسه، فإذا تغير الدستور واحتفظت الدولة بمبادئها فتلك عملية تصحيح، وإذا فقدت مبادئها وتغير الدستور فذلك يعني فساد، وسأحاول هنا إبراز العوامل التي رأيتها سببا مباشرا أو غير مباشر في التخلي عن النظام الجمهوري واستبداله بالإمبراطوري.

أ- اتساع رقعة الدولة:

كان سكان إيطاليا يعيشون مطلع الألف الأولى قبل الميلاد في هيئة وحدات قروية، تتشكل كل مجموعة منها في هيئة دويلة تقوم على النظام القبلي تسمى *pagus*⁽²⁾، وتتجمع في هيئة تنظيمات أكبر أو اتحادات إذا استدعت الضرورة⁽³⁾، ولما تأسست روما على يد رومولوس كانت المدينة الجديدة قد تميزت على قرى ومدن الشعوب التي جاورتها، فتأسست المدينة سنة 753 ق.م بنظام ملكي⁽⁴⁾، حيث فوض الشعب شؤونه إلى شخص الملك فيتولى بذلك عقد المعاهدات ويضطلع بشؤون الحرب والسلم ويجهز الجيوش ويفرض الضرائب وقبل ذلك يكون الممثل في الشؤون الخارجية⁽⁵⁾، فجمع بين السلطة السياسية والقضائية والعسكرية يضاف إليها السلطة

(1) – Montesquieu, De l'esprit des lois, Éditions Gallimard, Paris, 1995, XI, p121.

(2) - *pagus*: أصل المصطلح إغريقي وليس لاتيني (Págous – Πάγους) ويعني القرية أو التجمع المدني القليل.

Denys d'Halicarnasse, Les Antiquités Romaines, IV, 15.

(3) – رزق الله (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 24.

(4) – الشيخ (حسين)، المرجع السابق، ص 24.

(5) – الأحمد (س. سعيد)، المرجع السابق، ص 34.

الدينية⁽¹⁾. ثم تزامن التخلي التدريجي عن الملكية مع خروج الإيتروسك من روما، وتبدلت تسمية الملك بالحاكم واشترك فيها اثنان، وهو دليل على تحرر طبقة العامة⁽²⁾.

اقتضى اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الرومانية وازدياد تعداد السكان؛ الاستيلاء على أراضي الدول المجاورة لتحقيق الطلب المتزايد على الغذاء والموارد المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية، فدفعتهم بذلك إلى التوسع المستمر واحتلال أقطار جديدة، ولا يتأتى تحقيق السيادة السياسية على البلاد الواسعة وإدارتها إلا ببناء نظام سياسي قادر على تلبية هذه الحاجة، ومع فشل النظام الملكي من قبل والجمهوري فيما بعد، فقد زواج الرومان بين هذين النظامين، الحكم الفردي - المنتخب - في النظام الملكي، ثم إشراك الشعب في الحكم وتسيير شؤون وطنه، وبذلك يتأتى للإمبراطور حماية الدولة بسلطته وضمّان استمراريتها من جهة، ويتأتى من جهة أخرى للشعب حماية مكتسباته وحقوقه، وضمّان وصولها إليه، وسن القوانين التي تخدم مصالحه ومصالح وطنه والتصويت عليها، فتم الحفاظ على أهم وظائف الجمهورية كالفنصلية والبروقنصلية والتریونية وما إلى ذلك من وظائف، لكن بصورة شكلية أكثر منها دستورية. وصحيح أن الانتقال إلى النظام الجمهوري كان سنة 509 ق.م إلا أن التوسع الروماني لم يبلغ مبلغا كبيرا إلا مع آخر قرن منه - واستمر فيما بعد-، بضم أراضي قرطاجة، إسبانيا، بلاد الإغريق وبلاد الغال، مصر وسوريا . فكانت الحاجة إلى نظام يسهل إدارة هذه الأقاليم ويضمن إخضاعها الدائم، وكانت الجمهورية أعجز من أن تلبى هذه الحاجة.

ب- صراع القناصلة واستبداد القادة:

برز النظام الجمهوري في روما سنة 509 ق.م كنظام سياسي أزاح النظام الملكي وأخطأه، واعتمد في تولي الحكم على انتخابات مجلس الشيوخ، حيث تحدد أصواتهم حاكمين لمدة سنة

(1) - الشيخ (حسين)، المرجع السابق، ص 25.

(2) - الأحمد (س. سعيد)، المرجع السابق، ص 39.

واحدة برتبة قنصل، ويستثنى من ذلك الفترات التي تستدعي تعيين دكتاتور⁽¹⁾ يتولى شؤون فرض السلم أو قيادة حرب أو صد خطر خارجي أو داخلي.

ثم لما كانت مدة الحكم قصيرة ومطامح القناصل كبيرة، فقد أدى ذلك إلى إحداث الصراع بينهما مع تضارب المصالح، خاصة بعد ضم ولايات جديدة وأصبح يتم تحديد الصلاحيات فيها بين القنصلين وفق القرعة⁽²⁾، ومع وجود حزينين سياسيين متنافسين ينتمي كل قنصل إلى أحدها، تدخل الدولة في حرب أهلية تستمر لسنوات، وقد تميز القرن الأخير من عهد الجمهورية بالحروب الأهلية التي ما توشك إحداها على الانتهاء حتى تعقبها أخرى، فالثورة التي أدت إلى قتل المصلح تيبيريوس قراكوس ثم الحرب بين ماريوس وسولا وحرب قيصر مع بومبي ثم حرب أوكتافيوس وأنطونيوس؛ ساهمت بطريقة مباشرة في تهالك النظام الجمهوري وعدم قدرة مؤسساته على كبح تسلط الأفراد، خاصة بوجود سلطة الديكتاتور وسلطة الأمبريوم رغم وجود هذه الأخيرة منذ العهد الملكي، وقد تقلدها الملوك كسلطة مطلقة لا تحدّها أي سلطة⁽³⁾، وقد كان لقب الإمبراطور يخلع سابقا على كل قائد ينتصر على ستّة آلاف من جيش العدو، وهو لقب كان يعادل لقب الملك⁽⁴⁾، فلا شك أن استعارة لفظ الإمبراطور كان للتعبير عن الولاء الكبير لشخص القائد كما يُفعل مع الملوك، إلا أن الخوف من عودة مظاهر الملكية كان أمرا قد يؤدي إلى تراجع تأييد القائد من مجلس الشيوخ فكرهوا إطلاقه عليهم مثلما أبدى قيصر استياءه حينما ناداه أحد أنصاره بالملك⁽⁵⁾.

استغل القناصل سلطاتهم لتوجيه الجمهورية وفق ما يراه القنصل لا ما تقتضيه المصلحة العامة ولا ما يرسمه القانون، فأضحى هذا الأخير أمرا شكليا لا يرجع إليه في حالة اختلاف الآراء،

(1) - الأحمّد (س. سعيد)، المرجع السابق، ص 39.

(2) - César, Guerre civile, I, 31.

(3) - رزق الله (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 25.

(4) - Diodore, Bibliothèque historique, XXXVI, 15.

(5) - Plutarque, Vie de César, 60.

وتعتمد أصحاب السلطة أثناء النظام الجمهوري بث الفوضى بمختلف الطرق كالرشوة وإبطال القوانين التي تردع الفاسدين، واشتروا الأصوات في الانتخابات وكل ذلك من أجل تحقيق المآرب الشخصية، فانهارت سلطة الشعب⁽¹⁾، ويمثل زحف سولا على روما بجيشه واستباحة ساحتها⁽²⁾ ثم فعل ماريوس نفس الأمر⁽³⁾، وكذلك فعل قيصر فيما بعد حينما عبر نهر الريبيكون⁽⁴⁾ قادما من بلاد الغال واستولى على إيطاليا بعدما علم بترشيح بومبي للقنصلية منفردا، خرقا متكررا للقانون الروماني فجعل منه قانونا شكليا يحتاج إلى سلطة تستطيع حمايته، وهو الأمر الذي عجز عنه مجلس الشيوخ لأن أهم عامل بمقدوره حماية القانون - الجيش - كان قد أصبح في يد القادة وولاؤه لهم أكبر من ولائه للدولة، وكان ذلك نتيجة الإصلاحات التي أدخلها ماريوس على الجيش⁽⁵⁾، فانقسم الجيش الروماني بين القادة المتنازعين، ولم يجد السيناتو حلا سوى تفويض السلطة للمتغلب، وهكذا كانت سياسة التصفيق للمتصّر حتى يحل محله متغلب جديد أمرا غير مستهجن داخل المجلس، وكان الخيار من مجلس الشيوخ يضطرون لمساندة من يرون فيه مظهر الجمهورية على حساب القائد الذي تظهر عليه طموحات العودة إلى الملكية. فنجد شيشرون مثلا يسلط خطبه على أنطونيوس وينتقد طريقة حكمه انتقادا شديدا⁽⁶⁾ عجل بقتله بتزكية من حليفه أوكتافيوس!⁽⁷⁾ ولم تعد وظيفة القنصلية وظيفه ذات سلطة واسعة مع وجود دكتاتور مثل سولا أو قيصر أو أوكتافيوس ولم تعد كذلك الجمهورية إلا شعارا يستعمل في الخطب الشعبية.

ج- قوة الجيش الروماني ونزعة التسيد:

(1) - مونتسكيو، المرجع السابق، ص 122.

(2) - Plutarque, Vie de Sylla, 9, T.1, trad. Dominique Ricard, Firmin Didot, Paris, 1868.

(3) - محمد (عواد حسين)، الثورة الرومانية (المرحلة الثانية)، المرجع السابق، ص 192.

(4) - Plutarque, Vie de César, XXXII-XXXV.

(5) - نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 193.

(6) - Cicéron, Philippiques, I-V.

(7) - Plutarque, Vie de Cicéron, 48 .

امتلك الرومان جيشا نظاميا منذ قيام الملكية واستمر تنظيمه تدريجيا حتى أضحي من أقوى الجيوش في العالم القديم بعد سلسلة من الإصلاحات العسكرية التي أدخلها بعض القادة الرومان أمثال ماريوس وأوكتافيوس، ولا شك أن الاهتمام بالجيش وتطويره ظهر نتيجة التوسعات التي أقدم عليها الرومان سواء في إيطاليا أو خارجها حينما بدأ الزحف على الأقاليم المتاخمة وضمها إلى ممتلكات الشعب الروماني، وأيضا نتيجة الشعور بالخطر المستمر من قبل الشعوب الإيطالية، فأصبح الجيش خلال العهد الجمهوري أكثر منه قوة خلال العهد الملكي، وقد مثلت الحروب البونيقية ميدانا عسكريا برز فيه التفوق الروماني سواء من حيث امتلاك الجيوش النظامية أو من حيث التجهيزات العسكرية وفنون القتال واستراتيجيات إدارة المعارك. وقد استطاع الرومان من خلال احتكاكهم العسكري بالشعوب المختلفة في الشرق والغرب من اكتساب الخبرة والتجربة الحربية التي صنعت الفارق وجلبت النصر .

ثم لما أصبح الجيش أداة حاسمة في الصراعات والحروب الأهلية فقد سارت به الإصلاحات تدريجيا لجعله أداة في يد القائد لا بيد الدولة، وذلك منذ فترة ماريوس وإصلاحاته⁽¹⁾، إلى غاية أوكتافيوس قبيل قيام الإمبراطورية. ومن ثم صار للجيش دور أكبر في السياسة العامة فتحوّلت الدولة إلى دولة عسكرية في جوهرها رغم طابعها المدني، وأصبحت بذلك تسير بخطى ثابتة نحو النظام الإمبراطوري.

غير أن هناك عاملا آخر ساعد على تقوية الجيش والاعتزاز بكونه مظهرا من مظاهر القوة ولو كان على حساب النظام السياسي، فنزعة التسيد معروفة لدى الشعب الروماني، وشعوره بانتمائه إلى الأمة الرومانية وأحققتها في تسيد العالم؛ أفكار ساهمت بشكل كبير في وصول الدولة الرومانية إلى مرحلة الإمبراطورية وضم أقاليم الشرق والغرب إليها. ولعل ما ضمنه فرجيل إننيادته دليل على انغماس هذه الأفكار لدى الرومان، حيث نجده يبعث تلك النزعة بقوله في إحدى

(1) - نصحي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 193.

قصائده⁽¹⁾ : "تذكر أن تحكم الأمم بقانونك أيها الروماني، وأن تفرض قواعد السلم". ويشيد بعودة السيادة والمجد بقوله في موضع آخر⁽²⁾ : " سوف يستعيد هذا الفارس القوة الرومانية التي تسحق البونيقيين والغالين"، وقد عبر بعض المؤرخين⁽³⁾ عن هذه الفكرة بوصفها " فكرة التيه الروماني" فكر يعتقد فيه الروماني أنه أعظم الشعوب عدلا وفضيلة وتقوى !.

هكذا تدخل هذه العقلية الرومانية بما لا يدع مجالا للشك ضمن أهم العوامل التي مهدت لقيام الإمبراطورية، خاصة بعد خضوع أقاليم واسعة من أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا .

د- " العبقرية الأوغسطية" و تقديس الأبطال:

كثيرا مايصف المؤرخون الغربيون أوغسطس بالإمبراطور العبقري صاحب الذكاء السياسي والنباهة، وقد سبق وأن ذكرت أن التخلي عن النظام الجمهوري لم يكن فيه لأوكتافيوس دور كبير، فقد نقل لنا ديون كاسيوس محاورة طويلة بين أوكتافيوس وقائده المقرب أغريبا يستشف منها أن لهذا الأخير دور كبير إن لم أقل أن أوكتافيوس كان يعمل على تطبيق توجيهاته، وقد نصح أغريبا قائده بالتخلي عن الملكية و مظاهرها وأن الانفراد بالحكم كلية كالحكم الملكي من شأنه أن يؤلب العامة⁽⁴⁾، وهكذا لم يقبل أوغسطس لقب دكتاتور، ولم يصرح بأن الجمهورية كلمة جوفاء وأن أمره هو القانون مثلما فعل قيصر، بل مجد مجلس الشيوخ وأعلن احترامه للجمهورية، فخلق نظاما يسائر رغبات الشعب دون أن ينتقص من سلطته، نظام أرستقراطي في وجه الداعين إلى المدنية، ونظام ملكي في وجه الداعين للحكم العسكري⁽⁵⁾.

(1) - Virgile Aeneis, VI, 850.

(2) - Ibid, 855.

(3) - أندريه (إيمار)، جانين (أوبوايه)، تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها)، مج.2، إشر. موريس كروزيه، تر.فريد م.داغر، فؤاد أبوريحان، منشورات عويدات، ط.2، بيروت، 1986، ص 110.

(4) - Dion Cassius, Histoire romaine, LII, 2.

(5) - مونتسكيو، المرجع السابق، ص 123.

من جهة أخرى؛ عمل أوكتافوس على إحاطة نفسه بهالة من القدسية التي تضمن له السلطة والسيادة الدائمتين، فاستمال العامة ومجلس الشيوخ بمجموعة من الإصلاحات المتتابة ثم ضمنها القوانين التي تحمي شخصه، أي شخص الإمبراطور، ومن ذلك أنه عمل على توطيد حكمه ومركزه السياسي في الدولة كقائد قوي، يسنده جيش قوي، إذ حصل على لقب أوغسطس سنة 27 ق.م ثم صلاحيات تريبونية مدى الحياة سنة 23 ق.م فأصبح يتمتع بسلطة مطلقة، وقبلها كان قد لُقّب "إبن الإله"⁽¹⁾ فأصبح شخصه مقدسا لا تحرق له حرمة ابتداءً من سنة 42 ق.م⁽²⁾، وقد مثل لقب الإمبراطور الذي لقب به بداية مرحلة جديدة في التاريخ السياسي لروما، إذ لم يصبح ذلك اللقب المؤقت الذي يُخلع على قادة الحروب والمنتصرين، فأوكتافوس سبق وأن لقب به وهو في سن العشرين، بل بصفته لقباً يمثل السلطة العليا المطلقة⁽³⁾ ولقباً مضافاً إلى اسمه الشخصي⁽⁴⁾.

3- الإصلاح الإداري وظهور إفريقيا البروقنصلية:

لم تكن البلاد الإفريقية بمعزل عن الحرب الأهلية بين أوكتافوس وأنطونيوس، بل لعبت فيها دوراً كسابق أدوارها في الحروب الأهلية، وكغيرها من المقاطعات الرومانية مثلت أراضي إفريقية مجالا لتلك الحرب وامتدادا لها وبالتالي فقد ارتبط مصيرها بمصير الحرب الأهلية وبمن يحسمها في روما.

كان قيصر قد عمل على إزالة كل من مملكتي يوبا الأول ومملكة آرابيون ابن ماستنيسا التي تم اقتسامها بينما استطاع الأمير النوميدي الفرار مع من فر من البومبيين والتجأ معهم إلى إسبانيا

(1) – Goldsworthy (A), Augustus First Emperor of Rome, Yale University Press, London, 2014, p237.

(2) - رمضاني (أم هاني)، روما وسياسات الإصلاح: يوليوس - قيصر أغسطس - ديوقلسيانوس أفغودجا، أفكار وآفاق، عدد 1، مج 6، الجزائر، 2018، ص 61.

(3) - Dion Cassius, Histoire romaine, LII, 42.

(4) -Léon (L), La nomination de l'empereur et le titre d'« Imperator », L'antiquité classique, T. 30, fasc. 2, 1961, p417.

(1). كان هذا الشاب النوميدي يملك مقومات القيادة والتطلع نحو السلطة، إلى جانب الخبرة العسكرية، فقد شارك في الحرب الأهلية الرومانية على الأراضي الإفريقية، وتحالف مع ابني بومبي ضد قيصر واشتبك في معاركها، فجعلت منه هذه الظروف مهيباً لتولي القيادة، حتى أن بعض المؤرخين (2) شبهه بيوغرة الجديد لما كان يرى من خطر الوجود الروماني على أرضه مهدداً لملك أجداده، ويذكر بولي (Poulle) أن أراييون بعد عودته من إسبانيا طالب الملك الموريطاني بوغود استرجاع مملكته فالتجأ هذا الأخير إلى أوكتافيوس الذي كان منشغلاً بالانتقام لمقتل قيصر - وربما بثبتت مكانته في روما - فلم يدعمه فاسترجع بذلك أراييون الأراضي الممتدة من صالداي إلى لامبساغا (3)، ويبدو أن الباحث وقع في خطأ هنا فخلط بين اسم بوخوس الذي كانت الأراضي المذكورة تحت سيطرته وبين الملك بوغود الذي كانت مملكته إلى الغرب من نهر ملوية، وكلاهما ملكان موريطانيان، خاصة وأننا نعلم أن الملك الأخير كان حليفاً لأنطونيوس لا أوكتافيوس، فقد سبق وأن أمده بالخيالة المور (4)، فلو صحت رواية المؤرخ لكان استنجاهه بأنطونيوس أولى منه باستنجاهه بأوكتافيوس وتبقى المسألة محل تمحيص !.

ثم تمكن من استدراج ستييوس بحيلة منه ! فتمكن من قتله (5) واسترجع بذلك مملكته أو جزءاً كبيراً منها. إذ يفترض قزال أن السيتيانيين احتفظوا بسيرتا وما يحيط بها من الأراضي وأنها ضمت في نفس الفترة إلى أراضي إفريقيا الجديدة الولاية الرومانية حماية لها من طموحات الملك أراييون (6).

(1) – Appien, Les guerres civiles, IV, 54.

(2) - Poulle (M.A.), A Travers La Mauritanie Sétifienne, R.S.A.C, n°7, 1863, p95.

(3) - Ibid, pp 94-95.

(4) - Cicéron, Lettres à des familiers, X, 30, trad. M. Nisard, Paris, 1841. ; Gsell (S), op cit, p199.

(5) – Appien, Les guerres civiles, IV, 54.

(6) - Gsell (S), op cit, p184.

بعد الاضطراب السياسي الذي أعقب قتل قيصر ومحاولة أوكتافوس الظهور على واجهة الأحداث السياسية في روما ومحاولة أنطونيوس تعزيز سلطته بصفته قنصلا آنذاك، تشكل حلف ثلاثي بين القائدين وليبيدوس⁽¹⁾، وكانت حكومة مناوئة لمجلس الشيوخ، الأمر الذي جعل حكام الولايات الرومانية يتصرفون وفق ولاءاتهم إما للحلف المتكون حديثا أو أحد قادته وإما لصالح مجلس الشيوخ، ومن هنا انتقل الصراع السياسي إلى ولايتي إفريقيا الرومانية.

بعد أن أصبحت ولايتي إفريقيا من نصيب أوكتافوس عين سيكستوس (Sextius) حاكما نيابة عنه، غير أن هذا الأخير اصطدم بالقائد كورنيفكيوس (Cornificius) الذي كان حاكما عليها⁽²⁾ والذي رفض تسليمها استنادا إلى أنه معين من طرف مجلس الشيوخ ولا يعترف بالحكومة الثلاثية وأن مغادرته لإفريقيا لن تكون إلا بأمر من مجلس الشيوخ الذي وكل إليه شؤون الحكم⁽³⁾، وكان هذا بداية الحرب في إفريقية.

بادر سيكستوس بالهجوم فاستولى على حضرموت⁽⁴⁾ والأراضي الداخلية الواقعة تحت نفوذ كورنيفكيوس الذي رد عليه بكمين نصبه له قائده فونتيديوس (Ventidius) في حين أرغمه القائد الثاني لايليوس (Laelius) إلى التراجع وتمكن من فرض حصار على كيرتا، وفي خضم هذه المعارك فكر كلا القائدين - الحاكمين - في التحالف مع الملك أرابيون فأرسلوا إليه سفراءهم، وقد مال الملك إلى حلف أوكتافوس كما اختار ذلك السيتيانيون أيضا نظرا لولاء قائدهم ستيوس لوالده قيصر⁽⁵⁾.

(1) - Plutarque, Vie d'Antoine, 19.

(2) - Cicéron, Lettres à des familiers, XII, 17-30.

(3) - Appien, Les guerres civiles, IV, 53.

(4) - Dion Cassius, XLVIII, 21.

(5) - Appien, loc cit.

بعد أن انضم أرابيون إلى سيكستوس انقلبت الموازين ومالت لصالح هذا الأخير، فقد رُفع الحصار عن كيرتا بعد أن سمع لاييوس بمقتل القائد فونتيديوس⁽¹⁾، ثم سار سيكستوس وأرابيون إلى أوتيكا حيث كان يعسكر كورنيفكيوس فاشتبكاً معه وتمكن جنود أرابيون من قتله فيما انتحر لاييوس، ووقعت المقاطعتين في يد سيكستوس الذي كافأ أرابيون وجنود سييتوس⁽²⁾.

لم تلبث الأوضاع مستقرة حتى اندلع النزاع من جديد سنة 41 ق.م بين أوكتافوس وأنطونيوس، فواصل أرابيون دعمه لسكيتوس ضد خصمه فانغو (C. F. Phangon) الذي كان مجرد مرتزق استطاع أن يصبح عضواً في مجلس الشيوخ، فقام بإجلاء أرابيون عن مملكته ماجعله يحتمي داخل أراضي سيكستوس قبل أن ينقلب عليه هذا الأخير ويقتله⁽³⁾، فاسترجع الملك بوخوس السيطرة من جديد على أراضي المملكة النوميديّة⁽⁴⁾ أو مابقي منها، ولم يلبث سيكستوس أن تصالح مع خصمه ثم اقتتلا من جديد حتى انتحر فانغو فخضعت الولايتين من جديد لسلطة سيكستوس⁽⁵⁾.

بعد عزل ليبيدوس وتجريدته من صلاحياته سنة 36 ق.م⁽⁶⁾، استرجع أوكتافوس مقاطعتي إفريقيا، فأصبح يعين لها حاكماً موحداً للمقاطعتين برتبة بروقنصل⁽⁷⁾، ثم تم دمجهما تحت اسم إفريقيا البروقنصلية ابتداءً من سنة 27 ق.م، ممتدة من خليج ميتاغونيوم (Métagonium) (مصب نهر لامبساغا) غرباً إلى مذابح الإخوة فيلون شرقاً⁽⁸⁾، وقد قسم العالم الروماني إلى جزئين، الجزء

(1) - Dion Cassius, loc cit.

(2) - Appien, Les guerres civiles, IV, 54-55.

(3) - Dion Cassius, XLVIII, 22.

(4) - Pouille (M.A.), op cit, p 101.

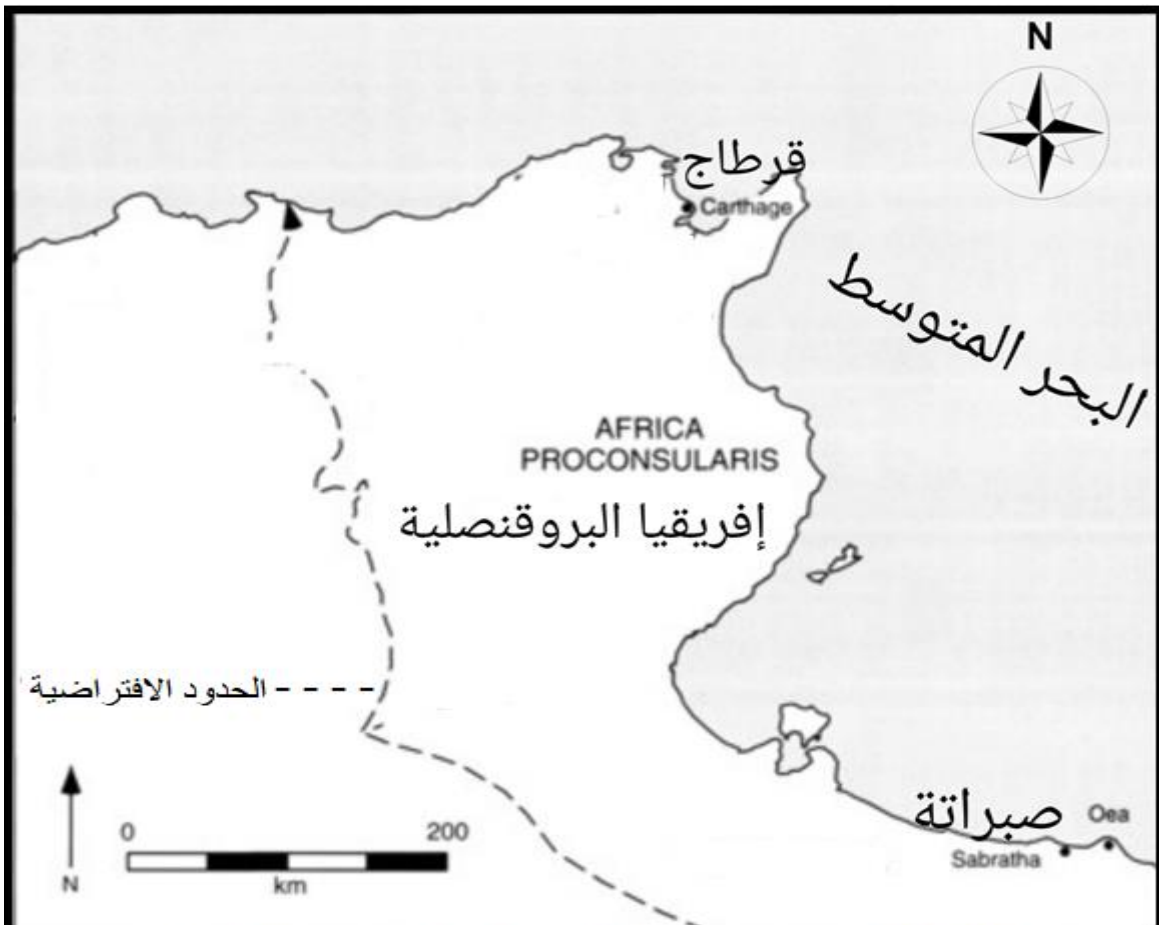
(5) - Dion Cassius, XLVIII, 23.

(6) - Appien, Guerres civiles, V, 98, 123, 126.

(7) - Gsell (S), op cit, p196.

(8) - Pomponius Mela, La description de la terre, I, 7, trad. Louis Baudet, Panckoucke, Paris, 1843.

الأول احتفظ فيه أوغسطس بالولايات التي عرفت الاضطراب ⁽¹⁾ ويشهد التمرد والعصيان أو مناطق تجاور بلادا لم يخضعها الرومان بعد، أما بالنسبة للجزء الذي مُنح للشعب الروماني فهو مناطق مسالمة تسهل إدارتها مدنيا دون الحاجة إلى تدخل الجيش ⁽²⁾ وكانت إفريقيا البروقنصلية من ضمن الولايات التي قُوضت تسيير شؤونها إلى مجلس الشيوخ فأصبحت تعرف بالولايات السيناتورية إذ كانت تشهد نوعا من الاستقرار، وقد اعتمد المؤرخون هذا التاريخ بداية تأريخ عهد الإمبراطورية الرومانية تحت حكم أول أسرة إمبراطورية وهي الأسرة اليوليوكلاودية.



ملحق (03) : الحدود الافتراضية لمقاطعة إفريقيا البروقنصلية خلال فترة حكم اليوليوكلاوديين.

المصدر (تصرف وتعريب الطالب): David (S), Culture and Investment in the Rural Landscape : the North African bonus agricola, Antiquités africaines, n°34, 1998, p104.

(1) - Strabon, Géographie, XVII, 3, 25.

(2) – Picard (G.Ch.), Rougé (J.), Textes et documents relatifs à la vie économique et Sociale dans l'Empire romain. 31 avant J.-C. à 225 après J.-C, Soicété d'Édition d'Enseignement Supérieur, Paris, 1969, p28.

الفصل الثاني:

إدارة وتسيير مقاطعة البروقنصلية.

I- التنظيم الإداري للمقاطعة.

II- إنشاء المدن والمستعمرات.

III- الوظائف الإدارية

I - التنظيم الإداري لإفريقيا البروقنصلية:

انتهج الاحتلال الروماني قديما سياسة إدارية في الأقاليم والمقاطعات التي ضُمت إلى سلطته مثلما هو حال الدول الاستعمارية الحديثة، وطبق فيها قوانينه وسياسته بما تقتضيه المصلحة الرومانية العامة، ولم يكن الرومان أمة تفتقر إلى التشريعات والتنظيمات القانونية خاصة في المجال الإداري كما أثبت التاريخ ذلك، وكما بيّن الباحثون؛ فإن الإدارة الرومانية وقوانينها تتميز بالمرونة من حيث كونها وسيلة تنظيمية، وليس قصدا بالمرونة هنا هشاشة القوانين وتساهل السلطة، بل هو خلق القوانين التي تواكب الظرف وتتماشى مع مختلف المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع أن إدارة المقاطعات من طرف الرومان لم تكن إلا بفرض دستورهم لا دساتير الشعوب المحتلة على حد تعبير مونتسكيو⁽¹⁾، ولعل هذه الميزة كانت سببا في حسن التحكم في إدارة الامتداد الجغرافي الواسع للإمبراطورية، ولقد مثل موضوع إدارة المقاطعات الرومانية مجالا لاهتمامات الباحثين، فخصص الباحثون على غرار سيريون (Cyprien H.) أبحاثا تبرز السياسة الإدارية الرومانية للمقاطعات عامة وللسيناتورية منها خاصة، وفيما يلي محاولة لإبراز تلك السياسة في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية.

1- إدارة المقاطعة السيناتورية:

سبق وأن أشرت إلى أن الإقليم الذي كان يمثل الدولة القرطاجية أصبح ولاية رومانية ابتداءً من سنة 146 ق.م، وقد أسندت إدارته إلى حاكم برتبة بريطور يتم تعيينه كل سنة، وقد كانت إدارة المقاطعات الرومانية عامة تفوض صلاحياتها من قبل مجلس الشيوخ إلى أحد القناصل، ويتم ذلك عبر الاقتراع عليها⁽²⁾، فكان ذلك في كثير من الأحيان يخلق الصراع بين القناصل بسبب التباين في الأوضاع التي تشهدها المقاطعات من سلم وثورات فضلا عن مواردها، إذ كانت عائداً تعتبر ثروة للقنصل مثلما كانت ثروة للخزينة العامة.

(1) - Montesquieu, op cit, XIX, p128.

(2) - César, Guerre civile, I, 31.

لكون صلاحيات تعيين حكام المقاطعات انتقلت من مجلس الشيوخ إلى القنصل، فقد كان البريتور الذي يتولى إدارة المقاطعة يُختار من الشخصيات المقربة من محيط القناصل أو القضاة في منصب مساعد القناصل⁽¹⁾. ولقد رأينا في حالات كثيرة مولاة حكام مقاطعة إفريقيا للقناصل، وعلى هذا الأساس أثرت الحروب الأهلية في روما على المقاطعة وجعلت منها مجالا لها، سواء في حرب ماريوس وسولا⁽²⁾، أو في الصراع بين قيصر وبومبي⁽³⁾، أو الحرب بين أوكتافيوس وأنطونيوس⁽⁴⁾.

بعد أن قسم الإمبراطور أوغسطس العالم الروماني سنة 27 ق.م، احتفظ بالمقاطعات التي كانت ماتزال تستدعي حفظا للنظام، فيما عهد إلى مجلس الشيوخ بإدارة المقاطعات التي شهدت السلم والاستقرار في أوضاعها، ومن هنا أسندت مقاطعة إفريقيا البروقنصلية إلى السيناتوس، كونها مقاطعة مدنية تشبعت بالثقافة الرومانية⁽⁵⁾. ويُعقب لويس ليتشي (L.Leschi) حول مسألة اختصاص مجلس الشيوخ الروماني بإدارة المقاطعات السيناتورية بقوله أنها كانت في الغالب غير مطلقة، لأن المكلفين بالوظائف العامة تم استبدالهم تدريجيا بوكلاء الإمبراطور، فتقلصت بذلك الاستقلالية الإدارية لمجلس الشيوخ في مقاطعته⁽⁶⁾.

افترض بعض الباحثين أن الحاكم الذي وضعت ولاية إفريقيا تحت إدارته أصبح برتبة بروقنصل ابتداءً من قنصلية سولا 81 ق.م - 80 ق.م⁽⁷⁾، غير أني لاحظت الكثير من الحكام الذين تم تعيينهم بعد سنة 80 ق.م أشارت المصادر إلى رتبهم كبريتور أو ذكرت الوظائف التي تقلدوها ولم تكن البروقنصلية من ضمنها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها الحاكم لوكيوس ليكيونيوس لوكولوس

(1) - مسرحي (جمال)، المرجع السابق، ص ص 48-49.

(2) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص ص 109-110.

(3) - Plutarque, Vie de Caton d'Utique, 56,

(4) - Cicéron, Lettres à des familiers, XII, 17-30.

(5) - Leschi (L), L'Afrique Romaine, Imprimerie Officielle, Alger, 1950, p29.

(6) - Ibid.

(7) - Decret (F), Fantar (M), op cit, pp 142-143 .

(*L. Licinius Lucullus*)⁽¹⁾، الذي شغل وظيفة الكويستور ثم انتخب بريتورا وأسندت إليه ولاية إفريقيا⁽²⁾، كذلك مثال الحاكم توركاتوس (*A.Torquatus*)⁽³⁾، وعلى كل حال يدفعني هذا إلى الاعتقاد بأن التعيين الرسمي للبروقنصل كحكام للمقاطعة الإفريقية كان مع فترة قيصر، وهو مارجحه نيكولي (*Nicolet*)⁽⁴⁾ أو إلى فترة أوغسطس ابتداءً من سنة 27 ق.م، كما اقترح ماركوات (*J. Marquardt*)⁽⁵⁾ ولوبلي (*Lepelley*)، حيث يرى هذا الأخير أن مقاطعة إفريقيا مجزئتها حكمها أوكتافيوس برتبة قنصل منذ سنة 36 ق.م ثم استمر في تعيين حاكم عليها إلى سنة 27 ق.م أين أصبح حاكم البروقنصلية برتبة بروقنصل سنوي يختار من بين القناصلة السابقين⁽⁶⁾، فإذا سلمنا بهذا الطرح تصبح الرتبة التي حازها ساليستيوس كبروقنصل استثناءً منحه إياه قيصر رغم أنه كان قد انتخب بريتورا سنة 47 ق.م⁽⁷⁾، إلى جانب حكام آخرين مثل بومبيوس (*Q. Pompeius Rufus*)⁽⁸⁾

قد فصل تيسو (*Tissot*)⁽⁹⁾ في آلية تقسيم المقاطعات واختيار حكامها، حيث يرى أن المقاطعات السيناتوروية انقسمت إلى مقاطعات قنصلية يتولى الحكم فيها فقط القناصلة مثل مقاطعة إفريقيا البروقنصلية وآسيا، ومقاطعات بريتورية يحكمها كل من تمتع بعضوية في مجلس

(1) - Aurélius Victor, Les hommes illustres de la ville de Rome, 74.

(2) - Cicéron, académiques, II, 1,2, trad.Charles Appuhn, Classiques Garnier, Paris, 1936.

(3) - Cicéron, Pro Plancio, 11, trad.M. Nisard, Dubochet, T.3, Paris, 1840.

(4) - Nicolet (C), Rome et la conquête du monde méditerranéen, Presses Universitaire de France, T.2, France,1989, p641.

(5) – Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R.,(Organisation de L'Empire Romain), V.9, T.2, Trad., Louis-Lucas (P), Weiss(A), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1892, p452.

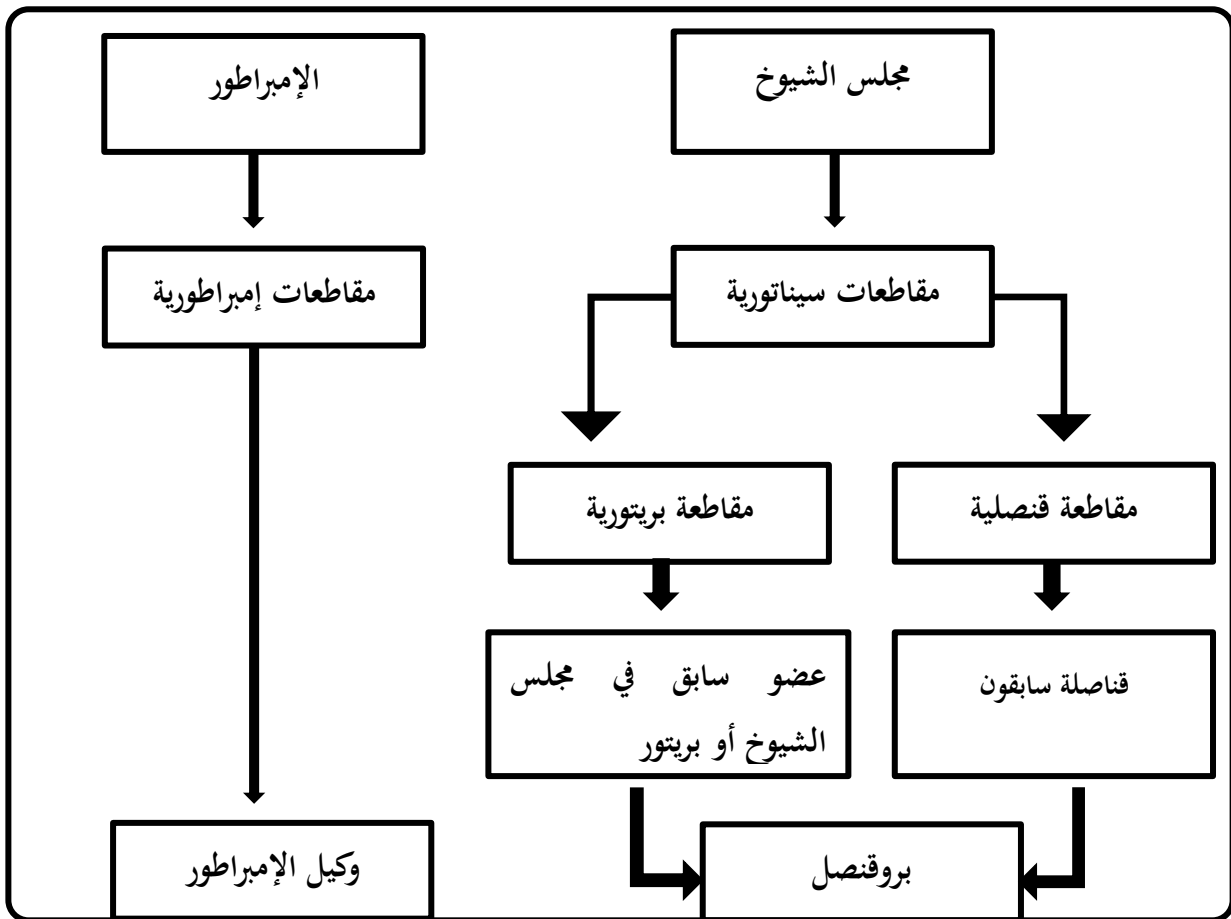
(6) – Lepelley (C), and others, Rome et l'integration de l'empire (44av.J.C.-260ap.J.C.), Presse Universitaire de France, t.2, 1998, p77.

(7) – سالوست، الحرب اليوغرطية، تر. الدويب (م.المبروك)، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ص 7.

(8) – Mommsen (Th.), Marquardt (J), Loc cit, note 6. ; Cicéron, Pro Caelio, 30, trad. de M. Nisard, T.3, Dubochet, Paris, 1840.

(9) – Tissot (Ch.), Faste de la province Romain D'Afrique, Librairie C.Klinkksieck, France, 1885, pp35-36.

الشيوخ أو من سبق له وأن تقلد رتبة البريتور، ومهما يكن نوع المقاطعة السيناتورية قنصلية أم بريتورية كانت فإن حاكمها يلقب بالبروقنصل يتم اختياره عن طريق القرعة، ويجب أن يكون قد أثبت فعليا انقضاء خمس سنوات على قنصليته، وكان يمكن أن يشارك في الانتخابات أي قنصل - بالنسبة للمقاطعات القنصلية- أو بريتور- بالنسبة للمقاطعات البريتورية- غير أن الأباطرة فيما بعد جعلوا عدد المترشحين بقدر عدد المقاطعات، كما اختاروا البروقنصل مباشرة أو أطلوا عهدهم، وكانت مقاطعة البروقنصلية في الغالب من نصيب قدماء القنصل، ويذكر ديون كاسيوس أن عدد الأبناء أو زواج المترشح من عدمه يحسب كامتياز له في الانتخاب، كما أكد على لقب البروقنصل الذي يناله حكام المقاطعات بدءا من عهد أوغسطس⁽¹⁾.



شكل (1) مخطط توضيحي لآلية إدارة المقاطعات الرومانية حسب تيسو. (إنجاز وتصرف الطالب)

(1) - Dion Cassius, L'Histoire romaine, LIII, 13.

اشتملت الصلاحيات التي يحوزها البروقنصل في مقاطعته على حفظ الأمن وإدارة الشؤون المالية، بالإضافة إلى قيادته للفيلق الثالث الأوغسطي كامتياز تمتع به حاكم إفريقيا لفترة من الزمن حتى عهد الإمبراطور كاليغولا (*Caligula*)⁽¹⁾ وكان أغلب مساعديه من أبناء الأثرياء والمكانة السياسية والنبلاء⁽²⁾، كما كان بمقدور البروقنصل إصدار أوامر تلزم البلديات بتجنيد عدد من الرجال أو فرض ضريبة على كل من يستطيع حمل السلاح⁽³⁾. وعليه فقد خضعت الإدارة العامة للمقاطعة لسلطة البروقنصل، فيما ترك الإدارة المحلية للمستوطنات والبلديات في يد مجالسها المنتخبة⁽⁴⁾ لتهتم هذه الأخيرة بدورها بتسيير شؤون المدينة في إطار لا يتعارض والأطر القانونية للدستور والقوانين الرومانية.

عين مجلس الشيوخ لحاكم المقاطعة كويستورا يساعده في إدارة الشؤون المالية للمقاطعة⁽⁵⁾، واختار البروقنصل ثلاثة مندوبين من أعضاء مجلس الشيوخ الحائزين سابقا على البريتورية أو من القناصل السابقين بموافقة الإمبراطور⁽⁶⁾؛ لمساعدته في مهامه القضائية والإدارية والعسكرية، ونستوضح من هذا أن الإمبراطور كان على اطلاع دائم على كل مقاطعات الإمبراطورية وأن السيادة عليها كانت في يده والتسيير كان بيد مجلس الشيوخ.

(1) – Le Gall (J), Le Glay(M), l’empire romain Le Haut-Empire, de la bataille d’Actium à la mort de Sévère-Alexandre (31 av. J.-C.-235 apr. J.-C.), Presses Universitaires, T.1, France, 1992, p52, 97.

(2) – Decret (F), Fantar (M), loc cit.

(3) – Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p277.

(4) – Fournier (J), Rome et l’Occident : Gouverner l’Empire (Ile siècle av. J.-C. - Ile siècle ap. J.-C.). Nouvelle édition [en ligne]. Rennes : Presses universitaires de Rennes, 2009 (généré le 05 mars 2023). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/pur/124476>, n°40.

(5) - Lepelley (C), and others, Op cit, p78.

(6) - Dion Cassius, L’Histoire Romaine, LIII, 14.

تقلص عدد مندوبي البروقنصل إلى اثنين بدءاً من سنة 39 م بعدما سحب الإمبراطور كاليغولا قيادة الفرقة الثالثة الأوغسطية من البروقنصل⁽¹⁾، وقد أدار البروقنصل مقاطعته من قرطاجة بعد أن كانت مدينة أوتيكا عاصمة لفترة من الزمن⁽²⁾، ولتسهيل إدارة المقاطعة وضمان التسيير الجيد لها قُسمت البروقنصلية إلى وحدات إدارية تمثلت في إقليم قرطاج وإقليم بنزرت، على رأس كل إقليم وكيل عن البروقنصل⁽³⁾، واقترح أحد الباحثين هيبون و ماجاورها كإقليم آخر، بالإضافة إلى وكيل لقيادة الجيش⁽⁴⁾.

2- سلطة البروقنصل في التسيير:

من خلال الصلاحيات التي خولها مجلس الشيوخ لحاكم المقاطعة يظهر نظرياً أن إفريقيا البروقنصلية كغيرها من المقاطعات السيناتوروية حظيت باستقلالية التسيير عن السلطة المركزية، حيث كان بمقدور البروقنصل إدارة المقاطعة دون الرجوع إلى مجلس السيناتو، ولا شك أن سياسة البروقنصل المعينين مهما اختلفت لم تكن لتخرج عن الأطر العامة للقانون الروماني ولا عن السياسة الإدارية للإمبراطورية.

لكني أتساءل في نفس السياق إلى أي مدى يمكننا اعتبار سلطة البروقنصل بعيدة عن تدخلات الإمبراطور أو مجلس الشيوخ؟ . في ظل المعلومات الشحيحة المتفرقة يصعب الجزم بهذا الأمر أو نفيه خلال الفترة المدروسة. ويتحدث المؤرخ سيتيون⁽⁵⁾ عن سفارة إفريقية رفعت شكوى أمام الإمبراطور تيبيريوس وتجاهلها هذا الأخير أو تباطؤ في معالجتها، لتتجه مرة أخرى إلى مجلس

(1) - Lepelley (C), and others, p78.

(2) - أنديشة (أحمد)، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط.1، ليبيا، 1993، ص63.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), Op cit, p453.

(4) - Le Bohec (Y), La Troisième Légion Auguste, Éditions Du Centre National De La Recherche Scientifique, Paris, 1989, p119.

(5) - Suétone, Vie des Césars, Vie de Tibère, 31.

السينا وتعرض شكواها على القنصل ! فيمكن فهم هذه الحادثة على عدم رغبة تيبيريوس في التدخل في شؤون مقاطعات لا تخضع لإدارته.

ومن جهة أخرى يمكن تصور الجزء الثاني لمسألة تلك السفارة التي عرضت شكواها على مجلس الشيوخ، ومن ثم سيتم البث فيها وبالتالي تتجاوز قرارات مجلس الشيوخ قرار حاكم المقاطعة. والحقيقة أن حاكم البروقنصلية كان يتلقى أوامر مباشرة من الإمبراطور، إذ نعر في حوليات تاكيتوس أن الإمبراطور تيبيريوس أمر بروقنصل إفريقيا أسبريناس (*L. Asprenas*) بقتل شخص كان على خلاف معه بعد نفيه إلى مقاطعة البروقنصلية⁽¹⁾. فهل يمكن اعتبار ذلك أمراً إمبراطورياً يجب تنفيذه وبالتالي لا استقلالية معه أم مجرد مصلحة شخصية للإمبراطور عمل على تحقيقها البروقنصل !.

يذكر ذات المؤرخ في موضع آخر أن الإمبراطور تيبيريوس تدخل بنفسه في عملية اختيار حاكم إفريقيا البروقنصلية وعينه شخصياً، وذلك خلال فترة تمرد القائد تاكفاريناس⁽²⁾، فهل يعتبر ذلك أمراً استثنائياً تعين من خلاله وجوب اختيار حاكم ذي خبرة عسكرية للسيطرة على الوضع، لا يوافق تيسو هذا الاقتراح، إذ يرى أن الأباطرة كانوا يتدخلون في تعيين حكام المقاطعات بمن فيهم بروقنصلا إفريقيا أو يطيلون مدتهم⁽³⁾، والنصوص المتوفرة تدعم وجهة نظره، فتبيريوس نجده مرة أخرى يقترح على مجلس الشيوخ لبيدوس (*M. Lepidus*) وجونيوس بلايسوس (*Junius Blaesius*) لاختيار أحدهما بروقنصلاً لمقاطعة أفريقيا⁽⁴⁾. بل إنه تدخل في تعيين القناصل السنويين منذ السنة الأولى من حكمه⁽⁵⁾. ولاشك أن سياسة التسيير هذه إزاء المقاطعات السيناتورية قد ورثها تيبيريوس عن سلفه أوغسطس، واستمرت لدى أباطرة الأسرة وغيرهم، حتى أننا نعد خلال

(1) - Tacite, Annales, I, 53.

(2) - Ibid, III, 32.

(3) – Tissot (ch.), op cit, p36.

(4) - Tacite, Loc cit, III, 35.

(5) - Ibid, I, 14, 15.

فترة الأسرة اليوليوكلاودية إحدى عشر بروقنصل حكم إفريقيا البروقنصلية مدة واحد وثلاثين سنة وذلك بإطالة مدة حكم كل واحد منهم⁽¹⁾. والجدول التالي يوضح ذلك⁽²⁾:

البروقنصل	مدة حكمه	الإمبراطور
C. Cornelius Lentulus كوصول كورنيليوس لينتولوس	سنتان (5م-7م)	أوغسطس
L.Nonius Asprenas ل. نونيوس أسبرناس	3 سنوات (12م-15م)	أوغسطس - تيبيريوس
L. Aelius Lamia ل. أيليوس لاميا	سنتان (15م-17م)	تيبيريوس
L. Apronius ل. أبرونيوس	3 سنوات (18م-21م)	تيبيريوس
Q. Iunius Blaesus ك. يونيوس بلايسوس	سنتان (21م-23م)	تيبيريوس
C. Vibius Marsus ك. ويبيوس مارسوس	3 سنوات (27م-30م)	تيبيريوس
M.Iunius Silanus م. يونيوس سيلانوس	7 سنوات (30م-37م)	تيبيريوس
Q. Marcius Barea Soranus ك. ماركيوس باريا سورانوس	سنتان (41م-43م)	كاليغولا - كلوديوس
Ser.Sulpicius Galba سولبيكيوس غالبا	سنتان (44م-46م)	كلوديوس
Tamptius Flavianus تامبيوس فلافيانوس	سنتان (47م و52م)	كلوديوس
M.Pompeius Silvanus	3 سنوات (53م-56م)	نيرون

(1) - يذكر ديون كاسيوس أن بعض البروقنصل تم تمديد مهامهم لعدم توفر بدائل لهم، ولسنا ندري بعد هذه الملاحظة إن كان غياب البديل ناجما عن عدم توفر الخبرة في المترشحين أو استيفائهم للشروط القانونية أم إلى انعدام المترشحين لهذه الوظيفة! . Dion Cassius, Histoire romaine, LVIII, 23-24, trad.Gros (E), éd. Firmin Didot, T.8, Paris, 1866.

(2) - Talbert (J.A.R), The senate of Imperial Rome, Princeton University Press, New Jersey, 1984, p505. ; Tissot (ch.), op cit, p49,56,59.

		بومبيوس سيلفانوس

جدول 2: قائمة البروقنصل الذين حكموا أكثر من سنة. (إنجاز الطالب)

فمع تمتع الإمبراطور بصلاحيات مماثلة تصل إلى ممارسة الوصاية على مجلس الشيوخ وصلاحياته⁽¹⁾. يمكن تصور تدخله في صلاحيات حكام مقاطعة إفريقيا البروقنصلية كأمر غير مستبعد ولا مستغرب، فقد ذكر ديون كاسيوس⁽²⁾ أن الإمبراطور كان يوجه التعليمات (Mandata) إلى جميع حكام المقاطعات باختلاف أصنافهم، ولو أن ذلك لم يتكرر كثيرا خلال القرن الأول الميلادي فإنه سيتضح جليا فيما بعده⁽³⁾.

ومن خلال بعض النقائش المخصصة لمختلف الأعمال الحضرية التي تم القيام بها في مقاطعة البروقنصلية نستطيع التماس دور الإمبراطور فيها وإن كانت قليلة، فعلى سبيل المثال تسجل إحدى النقائش⁽⁴⁾ المؤرخة ما بين سنتي 14م-17م أمرا إمبراطوريا باسم تيبيريوس بشق طريق يربط قابس بأحد الحصون العسكرية (Castra hiberna)⁽⁵⁾. فلا شك أن مثل هذه الأمثلة تعكس بوضوح قدرة الإمبراطور على التدخل في مهام حاكم المقاطعة السيناتورية.

2- الهجرة البشرية الإستيطانية :

عرفت منطقة شمال إفريقيا بوجه عام ومقاطعة إفريقيا البروقنصلية بوجه خاص، حركة هجرة بشرية كبيرة تلبية للمشروع الإستيطاني، والحقيقة أن حركة الإستيطان الرومانية بالمنطقة تعود جذورها التاريخية بصفتها قرارا سياسيا وإداريا إلى الإخوة قايس وتيبيريوس كراكوس حيث شجع

(1) - أثارت مسألة تدخل الإمبراطور في القوائم الترشيحية لوظائف الدولة المختلفة نقاشا عريضا بين المؤرخين، خاصة خلال فترة الإمبراطور تيبيريوس، وذهب بعضهم إلى عدم وجود الأدلة الكافية للحكم بتدخل الإمبراطور في تعيين المترشحين،

للمزيد حول الموضوع ينظر: Lacey (W.K), Nominatio and the Elections under Tiberius, Historia:

Zeitschrift für Alte Geschichte, Bd.12, H.12, 1963, Pub. Franz Steiner Verlag, pp167-176.

(2) - Dion Cassius, Histoire romaine, LIII, 15.

(3) - Talbert (J.A.R), op cit, p394.

(4) - AE.,1936, 157.

(5) - Tissot (ch.), op cit, p48.

الأخوان هجرة العنصر الإيطالي إلى الأراضي الإفريقية المحتلة بتقديم تسهيلات تتمثل بشكل أساسي في الحصول على أراضي زراعية، فتم إصدار قانون قراكوس (*Lex Rubria*) سنة 123 ق.م الذي أقر إيواء ستة آلاف من الفلاحين الرومان⁽¹⁾ وتوطينهم على حدود خرائب قرطاجة⁽²⁾.
أعقبه سنة 121 ق.م قانون تنظيمي للأراضي الموزعة في إفريقيا، وقد تضمن تسعة وخمسين مادة سُجلت على ألواح برونزية⁽³⁾، تطرقت المواد من 34 إلى 57 إلى تنظيم الأراضي المستعمرة في إفريقيا. ثم تلاه قانون 111 ق.م الذي تطرقت فقراته من 43 إلى 95 أيضا إلى وضعية أراضي إفريقيا المحتلة⁽⁴⁾.

سمح قانون أبوليا (*Lex Appuleia*) نسبة إلى القنصل (*Lucius Appuleius Saturninus*) سنة 103 ق.م/100 ق.م؛ لجنود القائد ماريوس تأسيس مستعمرات في الأراضي التي اعتبرت ملكا للشعب الروماني (*Ager Publicus*) فُوُزعت الأراضي⁽⁵⁾، ثم تلى هذا موجة أخرى من الإستيطان لاتقل عن سابقاتها من حيث كثافة العنصر الروماني النازح إلى المنطقة، وهي الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الأهلية بين القنصلين بومبي وبوليوس قيصر، حيث شجع هذا الأخير جنوده على إنشاء المستعمرات إما كتحفيز على الحرب والولاء أو كهدايا وعطايا بعد الانتصار على الأعداء، فبعد نهاية الحرب فتح قيصر باب الإستيطان أمام العامة في إيطاليا فضلا عن الجنود المسرحين.

(1) - شنييتي (م.البشير)، المرجع السابق، ص117.

(2) - المحجوبي (عمار)، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويدي (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص61.

(3) - Johnson (A.C.), and others, loc cit.

(4) - Peyras (J), La Terre et Les Hommes De La Provincia Africa, De La Loi Agraire De 111 Avant J.-C. A Jules César, Riparia 4 ,2018, p3.

(5) - Aurélius Victor, Les hommes illustres de la ville de Rome, 73,1.

تجدر الإشارة إلى أن عملية الاستيطان التي أطلقها يوليوس قيصر كانت ضمن سياسة توسعية تشمل كامل بلاد المغرب القديم، إذ جعل الحدود المتداخلة بين ولاية إفريقيا القديمة وإفريقيا الجديدة التي حلت محل نوميديا، جعلها مجالا لمشروعه الاستيطاني، فمنح الجزء الشمالي الغربي من مملكة نوميديا المحتلة إلى مرتزقة ستييوس (Sittius) فأقاموا بها إمارة عرفت باسمهم، وهي أشبه بكونفدرالية تجمع عدة مدن، متخذين من سيرتا عاصمة لها، التي تضم بدورها مدنا مشهورة مثل القل، سكيكدة وميلة، وتزايد نشاط هؤلاء المرتزقة في الإستيلاء على الأراضي المجاورة لتلك المدن وأسسوا فيها المستعمرات لاستغلالها زراعيا⁽¹⁾.

يلقى الباحث "أندرو" على سياسة قيصر الاستيطانية بقوله: " أنه لما شرع في تقسيم الأراضي على جنوده لم يكن بأخذها من أصحابها كما فعل سولا ولم يوطنهم في مدن المهزومين كي لا تقوم المناوشات، وإنما بتقسيم الأراضي العامة وحتى ممتلكاته الخاصة! " ⁽²⁾ ، فتساءل هنا؛ وهل كانت تلك الأملاك العامة إلا أملاك خاصة انتزعها الرومان من أصحابها بعد إخضاعهم بالقوة والحرب!، وعدم توطين قيصر رجاله في مدن المهزومين ليس درءا للمناوشات التي تتكفل بها الحاميات العسكرية على أي حال؛ بل كان يروم خلق مساحات عمرانية جديدة تستوعب المستوطنين الوافدين من إيطاليا وإضافة تركيبة سكانية دخيلة على المنطقة وكفيلة بنشر الثقافة الرومانية. فالمؤرخ سويتونيوس يعد ثمانين ألف مواطن نقلهم قيصر إلى مستعمرات ما وراء البحار ⁽³⁾، مع تقدير بعض الباحثين عدد المستفيدين من الأراضي الإفريقية بألفي جندي⁽⁴⁾.

(1) - شنيقي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 65.

(2) - Andrew (S), Public Lands and Agrarian Laws of the Roman Republic, The Johns Hopkins Press, 1891, p92. Digital ed. in: <http://www.Gutenberg.Org/ebooks/12638>.

(3) - Suétone, Vies des douze Césars, César 42,1.

(4) - حمداش فهمية، الحياة الاقتصادية في إفريقيا البروقنصلية (من إصلاحات أوغسطس إلى إصلاحات دوقليانوس)، رسالة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2017-2018، ص 44.

حمل قيصر سياسته مشروعا استيطانيا كبيرا خرج به عن المؤلف في سياسة الرومان التوسعية، فلم يلتفت كثيرا إلى مجلس النواب في روما بقراراته المتعلقة بإقامة المستعمرات وتوزيع الأراضي مثلما كان يفعل الأخوان كراكوس، فمهد بسياسته هذه لمرحلة جديدة من الاستعمار والاستيطان فاتحا الباب على مصراعيه أمام خليفته أوكتافيوس لتنفيذ ما لم يمهله أجله بتنفيذه، وهكذا تدخل إفريقيا البروقنصلية باسمها المستحدث وتدخل معها بلاد المغرب القديم في مرحلة جديدة من التوسع والاستيطان بعد تولي الإمبراطور أوغسطس شؤون الإمبراطورية الرومانية.

رغم أن الإمبراطور أوغسطس لم يظهر اهتماما بالسلطة والملك بعد أن أعلن أمام مجلس الشيوخ نيته بتسليم سلطته للمجلس وللشعب الروماني، إلا أن هذا في الحقيقة لم يجعل الولايات الرومانية التي فُوضت شؤونها لمجلس الشيوخ تخرج عن سياسة الإستيطان، فعرفت هذه الولايات السيناتوروية — من بينها إفريقيا البروقنصلية — كغيرها من الولايات الإمبراطورية حركة استيطان واسعة تمثلت بشكل واضح وجلي في تزايد المستعمرات والمدن المستحدثة والتي كانت تحت رعاية الإمبراطور نفسه كما جاء في نقش الأعمال العظيمة لأوغسطس (*The Res Gestae of Augustus*) في الفقرة الثامنة والعشرين " لقد أقمت مستعمرات المحاربين في إفريقيا، صقلية ومقدونيا... " ⁽¹⁾، ويذكر النقش أيضا في الفقرة الخامسة عشر أن أوغسطس قدم 1000 سيسترس (*Sesterces*) إلى 120.000 جندي بقي في المستعمرات ⁽²⁾، وهي قيمة كبيرة من المال مقارنة بعدد المستحقين، وهو أمر يسمح بتقدير حجم النشاط الاستعماري وحركة الهجرة البشرية التي ستعرفها ولايات الإمبراطورية الرومانية مع فترة أوغسطس وما بعده.

3- التقسيم الحضري لمدن إفريقيا البروقنصلية :

(1) – Augustus, *The Res Gestae of Augustus*, 28, trad. Brunt(P.A), Moore(J.M), Oxford, 1969.

(2) – Ibid, 15.

توضح كتابات المؤرخ بلينيوس من الكتاب الثالث إلى السادس الوضعية الإدارية لمدن الامبراطورية بصفة عامة، حيث يمكن تصنيفها إلى مستعمرات (*Coloniae*) ومدن خاضعة للقانون الروماني (*Oppida Civium romanorum*) ومدن خاضعة للقانون اللاتيني القديم (*Latinorum veterum*) إضافة إلى البلديات (*Municipia*)⁽¹⁾ التي تنشأ بالتطور عن القرى والتجمعات السكانية، وفي إفريقيا كان أغلبها من المدن القديمة والمدن البونية، تمتعت بحرية الاحتفاظ بقوانينها العرفية⁽²⁾، إضافة إلى المدن الحرة (*Libertates*) ومدن الحلفاء (*foederes*) وأخيرا المدن الخاضعة (*stipendaria*)⁽³⁾، وفيما يلي تفصيل مختصر عن كل نوع من أنواع المدن المذكورة:

المستعمرات الرومانية (*Coloniae*): هي المدن التي أسسها الرومان، أو المدن التي استقبلت مجموعات سكانية تتمتع بحق المواطنة الرومانية، فيعتبر سكانها مواطنين رومان بالأصل أو بالقانون، يسيرهم قانون مستنسخ عن ذلك المعمول به في روما وتتمتع بالاستقلال الإداري. إضافة إلى هذه المستعمرات التي تستجيب لوظائف استراتيجية هناك مدن رُفعت إلى رتبة المستعمرات كونها عواصم قديمة أو ذات رومنة متقدمة أو أهمية اقتصادية مثلما فعل الإمبراطور هادريان مع أوتيكا، بولا-ريجيا وزاما - ريجيا⁽⁴⁾.

ويرى "أندرو" أن الفرق بين المستعمرات الرومانية وتلك التي أسسها قبلهم الفينيقيون والإغريق، أن هؤلاء كانت مستعمراتهم تجارية بالدرجة الأولى، في حين أن المستعمرات الرومانية كان الهدف من إنشائها عسكريا في الأساس. إذ أنشئوها كحاميات في البلاد التي أخضعت لهم لتعمل كحصون للحماية، ويضيف أن من بين خصائص الإستيطان الروماني عدم إقامة

(1) - Lachapelle (D), Recherche Sur La Logistique Des Armées Romaines Sous Le Haut-Empire, Thèse Doctorat En Histoire, L'université Paris-Sorbonne, 2015, P271.

(2) - Decret (F), Fantar (M), op ci, p196.

(3) - Lachapelle (D), loc cit.

(4) - حارش (محمد الهادي)، المرجع السابق، ص ص 201-202.

المستعمرات في المناطق غير المأهولة سابقا، على عكس المستعمرات الفينيقية والإغريقية التي غالبا ما تنشأ في مناطق غير مأهولة وبالتالي يتم خلق مراكز تجارية⁽¹⁾. وتنقسم المستعمرات الرومانية حسب نسيجها الاجتماعي إلى ثلاثة أنواع:

أ- **مستعمرات المواطنين الرومان** (*Colonia civium romanorum*): تمثل نموذجا مصغرا للمجالات الاجتماعية، السياسية والاقتصادية لروما، تضم مواطنين ذوي أصول رومانية فقط، ويتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها ألك الذين يعيشون في روما. أو الأهالي المستفيدين من حقوق المواطنة الرومانية .

ب- **المستعمرات اللاتينية** (*Coloniae Latinae*): يكون تعداد سكانها كبيرا مقارنة بمستعمرات الرومانيين، يتألف نسيجها الاجتماعي من المتمتعين بالحقوق اللاتينية ومن الرومان فاقد بعض حقوقهم، ويتمتعون بحق ممارسة الزواج الشرعي والانتخاب في روما وحق التوريث وحق التجارة⁽²⁾. كما مُنح قضاتها الحقوق الرومانية، وقد تضم مواطنين من فقراء روما نتيجة عملية ترحيل منها بعد أن بدأت العاصمة تشهد نموا سكانيا مرتفعا قارب المليون نسمة بحلول منتصف القرن الأول الميلادي، وكذلك للتخفيف من بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت تعصف بالمدينة من فترة لأخرى⁽³⁾.

ويتم تأسيسها في المناطق الداخلية بالقرب من الطرق الرئيسية والمسالك الجبلية وهي بمثابة الحصون العسكرية⁽⁴⁾.

(1) - Andrew (S), op cit, pp21-22.

(2) - شارن (شافية)، رحمانى (ب)، بشاري (م.الح.)، المرجع السابق، ص 167.

(3) - Edmondson (J), Cities and Urban Life in the Western Provinces of the Roman Empire, 30 BCE–250 CE, A companion to the Roman Empire, Vol.250, Oxford, 2006, p259.

(4) - Andrew (S), op cit, p23.

ج - مستعمرات الجنود المسرحين (*Coloniae Veteranorum*): ظهر هذا النوع من المستعمرات مع القائد الروماني ماريوس (*Marius*) في القرن الأول قبل الميلاد، وتزايد عددها مع قيصر، ضمت خليطا من قدماء العسكريين والمدنيين، ثم أصبحت تضم قدماء الجنود في عهد أوغسطس، إذ أنهم فضلوا الاستقرار بالقرى المجاورة للمعسكر بعد انتهاء خدمتهم⁽¹⁾، أو بمعسكرات الجيوش القديمة حيث يتم تحويل المنشآت العسكرية إلى منشآت مدنية⁽²⁾.

وبعد أن قام الإمبراطور أوغسطس بضم الأقاليم الممتدة من نهر البو (*Pô*) إلى منطقة الألب وأدخلها تحت مسمى إيطاليا، فإنه لم يعد يجري فيها تمييز بين مستعمرات رومانية ولاتينية ولا مدن للغرباء إذ أصبحت كلها رومانية، وبقيت تلك المستويات الإدارية تنطبق فقط على المدن الواقعة خارج التراب الإيطالي⁽³⁾.

البلديات الرومانية (*Municipia Romana*): تمتعت بمؤسسات مشابهة لمؤسسات روما محافظة على نفس الألقاب والمهام لكن الملكيات العقارية فيها تخضع لأعباء عفيت منها المستعمرات، ولا رتقاء المدينة إلى هذا النوع يكفيها في غالب الأحيان أن تتضمن عددا كاف من المواطنين الرومان المقيمين بها، مثلما رقى الإمبراطور كلوديوس مدينة فولوبيليس (*Volubilis*)⁽⁴⁾.

البلديات اللاتينية (*Municipia Latina*): هي بلديات أقل رومنة وسكانها أقل اندماجا، فيتم تزويدها بالقانون اللاتيني فقط⁽⁵⁾. وهي نوعان بلديات لاتينية يتمتع سكانها بالحقوق اللاتينية العظمى (*Latinum Majus*)، وبلديات يتمتع سكانها بالحقوق اللاتينية الصغرى (*Minus*)

(1) - شارن (شافية)، رحمانى (ب)، بشاري (م.الح.)، المرجع السابق، ص 167.

(2) - Edmondson (J), loc cit.

(3) - Chastagnol (A), Considérations sur les Municipales latins du premier Siècle ap.J.-C , L'Afrique dans l'Occident Romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap.J.-C.), Actes du Colloque de Rome, École Française de Rome, 1990, p351.

(4) - Edmondson (J), op cit, p257.

(5) - حارش (محمد الهادي)، المرجع السابق، ص 202.

(*Latinum*) التي حصلوا عليها كتكريم لما قدموه من خدمات لروما⁽¹⁾، ويرى ميلار (*F. Millar*) أن هذا الوضع من المدن لم يكن موجودا بالإطلاق، وهو ما اعتبره إدمونسون (*J. Edmondson*) مجانباً للصواب إلى حد بعيد، إذ هناك عدة نماذج نستطيع من خلالها تبين وجود هذا النوع من المدن، فقد رقى قيصر العديد من المجتمعات إلى مصاف البلديات اللاتينية في جنوب إسبانيا وكذلك فعل أوغسطس وكلوديوس بشكل أوسع، وفي إفريقيا البروقنصلية حصلت مدينة جيغثيس (*Gigthis*) في إقليم طرابلس على الحقوق اللاتينية⁽²⁾.

بلديات الغرباء (*Peregrius*): هي بلديات يمثل فيها الأهالي غالبية السكان، وقد تعددت أشكالها، فأحيانا تكتفي روما بالاعتراف وتكريس سلطة رئيس القبيلة على قبيلته مع الاحتفاظ بالمؤسسات والقوانين العرفية المحلية، وشكل آخر منها تنشئ به مجلسا يمكن أن يتحول فيما بعد إلى مجلس بلدي من النوع اللاتيني أو الروماني⁽³⁾. ونجد مثل هذا النموذج في إفريقيا البروقنصلية في مدينة سيرتا الجديدة التي استوطنتها قبيلة كيرينا الرومانية مع أهالي نوميديين سيرهم مجلس كبار السن وخضع الرومان إلى سلطة الدومفير (*duumvir*)⁽⁴⁾.

المدن الحرة: وصفت بالحرّة بعد ما أظهرته من مواقف مؤيدة لروما فمنحتها عدة امتيازات كالحفاظ على عاداتها وتقاليدها وقوانينها الداخلية، بالإضافة إلى بعض الحقوق كمحاكمة المواطنين الأصليين والرومان القاطنين بها، وإدارة الشؤون المالية بما فيها سك العملة الخاصة، كذلك الاعفاء من الضريبة العقارية وضريبة الجزية وعدم وجود الحاميات العسكرية الرومانية على

(1) - شارن (شافية)، رحامي (ب)، بشاري (م. الح.)، المرجع السابق، ص 164.

(2) - Edmondson (J), op cit, pp257-258.

(3) - حارش (محمد الهادي)، المرجع السابق، ص 203، 202.

(4) - Beschaouch (A), Le territoire de Sicca Veneria (El-Kef) nouvelle Cirta, en Numidie proconsulaire (Tunisie), C.-R. Acad. Inscr., 125^{ème} année, N°1, 1981, p105.

أراضيها⁽¹⁾، وبالنسبة لإفريقيا فقد تم اعتبار سبعة مدن كمدن حرة وقفت إلى جانب روما ضد قرطاجة⁽²⁾.

المدن الخاضعة (Civitates stipendiariae): كانت أغلب مدن الولايات الرومانية الغربية مدناً خاضعة خلال فترة أوغسطس تلتزم بدفع ضريبة سنوية، وبالرغم من أن سكان هذه المدن لم تكن لهم صفة المواطنة ولا يتمتعون بالحقوق اللاتينية أو الرومانية، إلا أنه كان يمكن لبعض النخب المحلية في المدينة الحصول على صفة المواطنة الرومانية نظير ولائهم وخدماتهم لروما، وقد عملت الإدارة الرومانية على دمج عناصر بشرية مختلفة الأجناس لتشكيل مجتمع مدني جديد، وقد احتفظ هذا النوع من المدن بسلطة بتسيير شؤونه المحلية، مع إمكانية تدخل البروقنصل حاكم المقاطعة لحل خلاف ينشأ بين مدينة خاضعة ومدينة أخرى⁽³⁾.

القرى: تكون إما قرية صغيرة (Pagus) أو قرية كبيرة (Vicus) تنشأ في مناطق حيوية وذات استراتيجية اقتصادية، كان الأهالي يجتمعون فيها في أكواخ قرب المراكز العسكرية على طول الطرق المؤدية المؤدية إلى الحصون والقلاع، وكانت هذه المراكز العسكرية تدعم بالجنود المسرحين الذين يستقرون في الأراضي الزراعية، حيث تقدم لهم السلطات مساعدات مادية قصد تشجيعهم على الاستقرار، ومع تزايد السكان يتحول هذا التجمع السكاني إلى قرية ثم إلى مدينة إلى ارتقائها إلى رتبة البلدية أو ربما المستعمرة⁽⁴⁾.

نجد من هذه النماذج في إفريقيا البروقنصلية المستعمرات الرومانية، المستعمرات اللاتينية والمستعمرات الإيطالية، بالإضافة إلى البلديات والمدن الحرة. حيث تتمتع كل مدينة بمؤسسات

(1) - شارن (شافية)، رحمانى (ب)، بشاري (م.الح.)، المرجع السابق، ص ص 158-159.

(2) - Johnson (A.C.), and others, loc cit.

(3) - Edmondson (J), op cit, p256.

(4) - شارن (شافية)، رحمانى (ب)، بشاري (م.الح.)، المرجع السابق، ص 160.

خاصة تميزها عن غيرها، فتنظيم البلدية يختلف عن تنظيم المستعمرة، والمستعمرة الرومانية تختلف عن مثيلتها اللاتينية⁽¹⁾، وحول التعداد العام للمدن بمختلف أنواعها يحصي لنا بلينيوس 53 مدينة ما بين المستعمرات الأغسطية والبلديات الرومانية واللاتينية والمدن الحرة⁽²⁾.

وتؤكد لنا هذه المستويات التنظيمية ليونة السياسة الإدارية الرومانية كما سبق وأشرنا لذلك، تسهيلا منها لعملية الرومنة، وهو وفق ما يراه بعض الباحثين تحفيز مقنن لمواطني الإمبراطورية على التنافس من أجل الارتقاء في السلم الحضاري لروما، ولما أصبح ارتقاء المدن إلى مراتب أعلى يعتمد بنسبة كبيرة على الثروة، فقد حلت هذه الأخيرة محل العرق. ثم فُتح المجال أمام الطبقة الأرستقراطية ليس للحصول على ترقية في الهرم الإداري فحسب بل تعداه إلى بلوغ الطموحات البعيدة التي تتعدى حدود مدينتهم لتصل إلى الإمبراطورية⁽³⁾.

II- إنشاء المدن والمستعمرات:

يسجل لنا التاريخ أن الرومان أصحاب فكر توسعي لم يكذب يجاريهم فيه أي شعب آخر، ولا شك أن أهم وسيلة لتثبيت التوسع هي انتهاج سياسة الاستيطان المدني والعسكري على السواء، وقد مثلت إفريقيا البروقنصلية مجالا للاستيطان الروماني، إذ عمد قيصر وخلفاؤه على تأسيس شبكة حضرية من المستعمرات بغرض رومنة المنطقة لتسهيل استغلالها، غير أن الولاية الرومانية كانت منذ قرون سابقة للاحتلال الروماني؛ أهلة بالمراكز الحضرية سواءً البونيقية منها أو النوميديّة، وسأحاول هاهنا ذكر أهم تلك المدن والمراكز.

1- مدن الأهالي القديمة:

(1) - Lacroix (F), Colonisation et administration romaines dans l'Afrique septentrionale, Revue africaine, n° 41, 1863, p367-368.

(2) - Aounallah (S), Pagus, castellum et civitas Études d'épigraphie et d'histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Pessac Ausonius Éditions, 2010, [http:// books.openedition.org/ ausonius/3843](http://books.openedition.org/ausonius/3843), p49.

(3) - Decret (F), Fantar (M), op cit, p197

تعتمد دراسة المدن القديمة على المصادر المادية والأدبية، الأولى بالاعتماد على ماثر عليه من مخلفات أثرية يعود تأريخها إلى الفترة ما قبل الرومانية، في حين تتمثل الثانية في كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان، غير أن الإشكالية التي يثيرها هذا البحث هي تسجيل المصادر لمعلومات عن تلك المدن ! فالمصادر المادية في الكثير من الحالات لم توفر لنا المعطيات الكافية للتعرف على مدينة ما في فترة سابقة للاحتلال الروماني، عكس الفترة الرومانية، أما المصادر الأدبية هي الأخرى لم تزودنا إلا بالقدر الذي لا يعتبر كافياً، ففي معظم الحالات نجد ذكراً غير مستفيض للمدن التي ارتبطت بأحداث تاريخية بينما تحمل ذكر المدن التي لم يرتبط اسمها أو موقعها بمختلف الأحداث التي سجلتها تلك المصادر.

من بين المصادر الأدبية التي يُعول عليها ابتداءً في دراسة مدن شمال إفريقيا القديمة، كتاب التاريخ الطبيعي لبلينيوس، حيث يقدم قائمة للمدن التي اعتبرت مدناً أهلية، إلى جانب المستعمرات التي تم تأسيسها حتى عهد أوغسطس، يضاف إليها ما أورده الجغرافيان سترابون وبطليموس، كذلك مؤرخين آخرين كبلوتارخ وآييانوس على سبيل المثال؛ ذكروا بعض المدن في خضم حديثهم عن أحداث المنطقة كما سبق.

إذن نستطيع من خلال المصادر التاريخية المختلفة أن نتعرف على أهم المدن التي ضمها إقليم الدولة القرطاجية، أو المدن النوميديّة وباقي المدن التي أصبحت فيما بعد ضمن الإقليم الإداري لولاية إفريقيا البروقنصلية، وقد أظهرت الوثائق أن سبعة مدن اعتبرت مدناً حرة كانت قد وقفت إلى جانب روما ضد قرطاج في الحرب البونيقية الثالثة، وجاء ذكر تلك المدن في قانون 111 ق.م⁽¹⁾ الذي تطرق إلى وضعية الأراضي الإفريقية في عدة فقرات . وتلك المدن هي : أوتيكا (Utica) وسوسة (Hadrumentum) وثابسوس (Thapsus) و لمطة (Leptis Minus) و أوسلّة (Uzalis) وأشولا (Achulla) و ثيوداليس (Theudalis).

(1) - Johnson (A.C.), and others, op cit, n. 51, p55.

سأحاول في هذا العنصر ذكر أشهر المدن القديمة التي ضمها إقليم مقاطعة إفريقيا البروقنصلية دون تفصيل كبير مقتصر على الموقع والتسمية والتاريخ:

أوتيكا: تعتبر هذه المدينة من أهم المدن الإفريقية في ولاية إفريقيا البروقنصلية وأقدمها، وبالنسبة إلى الباحث ليبينسكي (Lipinski) قد تعني لفظة أوتيكا مكان العبور، حيث تحمل اللفظة جذر العبور Tq المعروف في اللسان السامي، وقد سماها الإغريق بإتوكن (Itókn) وأوتيكا (Utica) عند اللاتين⁽¹⁾، وأشار إليها سكيلاكس (Pseudo-Scylax) باسم إتيك (Ityke)⁽²⁾.

تقع أوتيكا في الشمال الشرقي من البروقنصلية إلى الغرب قليلا من قرطاج قرب النتوء الصخري الذي يمتد في البحر مكونا حاجزا طبيعيا يحمي ميناء المدينة وهي تشتمل على سهل واسع تربته فيضية إذ يخترقه واد مجردة آخذا مسارا متعرجا نحو مصبه في خليج تونس⁽³⁾، وقد أدى طمي واد مجردة في تحول السهل إلى مستنقع يضم بحيرة مالحة (سبخة) تعرف اليوم بسبخة ريانة⁽⁴⁾، وقد مكنها السهل الخصيب من انتاج الزيتون وزيتته الممتاز⁽⁵⁾.

حول تاريخ تأسيسها؛ المتفق عليه أنها أسست قبل قرطاج بفترة لا تقل عن قرنين من الزمن، فالإغريقي أريستو (Aristotle)⁽⁶⁾ يشير إلى أن التقويمات الفينيقية تذكر تأسيس أوتيكا كان سابقا لقرطاج بـ 287 سنة، وإذا ما اعتمدنا في تأريخ أوتيكا على التاريخ المشهور لقرطاج 814 ق.م فسيكون تأسيسها حوالي 1101 ق.م، وهو التاريخ المتعارف عليه لبداية تأريخ المدينة، أما

(1) - Lipinski (E), op cit, p381.

(2) - Pseudo-Scylax, The Periplus of Pseudo-Skylax, 111, trans. Shipley (G), ed. Graham Shipley, 2002.

(3) - Lipinski (E), loc cit.

(4) - Babelon (E), Carthage, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1896, p2.

(5) - Rawlinson (G), History Of Phoenicia, Longmans Green and Co, 1889, p66.

(6) - Aristotle, Minor Works, On Marvellous Things Heard, 134, trad. Hett (M.A), Harvard University Press, London, 1955.

بلينيوس الكبير يجعل تاريخ تأسيسها بـ 1178 سنة عن عصره⁽¹⁾، ومهما يكن فإن تأسيسها كما تشير إليه المصادر الأدبية يكون قبل التاريخ المتعارف عليه لتأسيس قرطاجة.

لقد تبوأ أوتيكا مكانة هامة بين مدن شمال إفريقيا قبل الاحتلال الروماني، إذ نجد اسمها يُذكر في المعاهدة التي تمت بين قرطاجة وروما⁽²⁾، ولم يكن ذكرها مقرونا بمدينة صور إلا لأهميتها في الحوض الغربي للمتوسط، ثم إنها وقفت إلى جانب الرومان ضد قرطاجة أثناء الحرب البونيقية، فنالت مكافأتها من روما باعتبارها مدينة من المدن الحرة⁽³⁾، وتعززت هذه المكانة بعد الاحتلال الروماني إذ وبعد تدمير قرطاجة أصبحت المدينة الأولى في المقاطعة الرومانية من حيث كونها عاصمة ولاية إفريقيا ومركزا سياسيا واقتصاديا هاما⁽⁴⁾.

الملاحظ في تاريخ المدينة هو أنه رغم أهميتها في النسيج الحضري لإقليم الولاية الرومانية إلا أن الرومان لم يجعلوا منها مستعمرة ولم يعملوا على ترقية مواطنيها ومنحهم حقوق المستعمرة الرومانية، واكتفى الرومان لفترة طويلة بترقيتها إلى بلدية⁽⁵⁾.

هيبوديارتيس: تقع إلى الغرب من مدينة أوتيكا، وقد أنشئت المدينة على ضفاف بحيرة بنزرت تصب فيها قناة مائية ثم لتتخذ طريقها نحو مصبها في البحر المتوسط، بجوار خليج هيبونينسيس (Hipponienses)⁽⁶⁾، وهو نفس الخليج (Hippo) الذي أشار إليه الجغرافي بومبونيوس ميلا في خضم وصفه لساحل إفريقيا⁽⁷⁾.

(1) - Pline l'Ancien, Histoire naturelle, XVI, 79, trad.Littre (E), Paris, 1877.

(2) - Polybe, Histories, III, 24.

(3) - Johnson (A.C.), and others, loc cit.

(4) - Strabon, Géographie, III,3, 13.

(5) - Dion Cassius, L'Histoire romaine, XLIX, 16.

(6) - بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، 5، 23.

(7) - Pomponius Mela, La description de la terre, I, 7.

تأسست هذه المدينة بعد أوتيكا بسنوات قليلة⁽¹⁾، ويذكر صولينوس أن تأسيس هذه المستعمرة كان بفضل الإغريق⁽²⁾، وكذلك يشير بلينيوس إلى أن الإغريق هم من سمو المدينة بدياريتوس (*Diarrhytus*) نظرا لكثرة قنوات الماء بها⁽³⁾، كما أن ظهور اسمها في عملات بصيدا الفينيقية كمستعمرة فينيقية⁽⁴⁾ ينفي عنها تأسيسها من طرف الإغريق.

كغيرها من المدن الساحلية؛ استمدت مدينة هيبيدياريس أهميتها من موقعها الجغرافي المهم، حيث نجد سجلها التاريخي حافلا بالأحداث، فلعب مينائها دورا هاما في حروب القرطاجيين مع إغريق صقلية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كانت من بين المدن التي وقعت تحت سيطرة القائد الإغريقي آغاتوكليس حيث حاصرها واستبسل أهلها في مقاومته⁽⁵⁾، وأبرزت التنقيبات الأثرية في ميناء المدينة عن عدد كبير من القطع النقدية المختلفة المؤرخة بالقرن الخامس قبل الميلاد، إذ نجد قطعا من مدينة أغريجنوم (*Agrigentum*) وجيلا (*Gela*) و ميسينا (*Messina*) بالإضافة إلى سرقوسة (*Syracuse*) وأثينا (*Athens*)⁽⁶⁾. ويمكن اعتبار هذا التنوع في المسكوكات دليلا على ارتباط المدينة الإفريقية بعلاقات تجارية نشطة مع مدن حوض البحر المتوسط الغربي خاصة الإغريقية منها.

خلال حرب المرتزقة عقب نهاية الحرب البونيقية الأولى حوالي سنة 240 ق.م، حاصر قائد المرتزقة ماثو (*Matho*) مدينة هيبيدياريس إلى جانب أوتيكا، ويبدو أن ذلك بسبب دعمها للجيش القرطاجي ومساندة القائد حنون (*Hanon*) في وقف تمرد الجنود المرتزقة. ثم إن المدينة كانت مجالا للحرب البونيقية الثانية حين قام القائد الروماني لايوليوس (*C.Laelius*) حوالي سنة

(1) - Rawlinson (G), loc cit.

(2) - Solin, Recueil de faits remarquables, XXVIII.

(3) - بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، 5، 23.

(4) - Krahmalkov (R.Ch.), Phoenician-Punic Dictionary, Peeters Publishers & Department of Oriental Studies, Belgium, 2000, p68.

(5) - Diodore de Sicile, La Bibliothèque historique, XX, 55.

(6) - Lipinski (E), op cit, p384.

203 ق.م بإنزال⁽¹⁾ جيوشه فيها⁽²⁾ ، ثم في الإنزال الروماني الثاني حوالي سنة 148 ق.م بقيادة كالبورنيوس (Calpurnius)⁽³⁾.

قرطاجة: تعتبر من أهم المدن في شمال إفريقيا، تقع في الشمال الشرقي للبروقنصلية على شبه جزيرة في خليج تونس، ولأن موقعها محصور بين بحيرة تونس في الجنوب و سبخة ريانة قرب أوتيكا في الشمال⁽⁴⁾ ، أصبحت جغرافيا أقرب إلى شبه الجزيرة.

أما بخصوص تاريخ تأسيس قرطاج فتأريخها نسي غير مضبوط، والتعمق في البحث حول تأريخ قرطاج وتحليل المعطيات ومقارنتها ليس مبحثا يدخل في صلب هذه الدراسة لا من حيث الإطار التاريخي ولا من الناحية المنهجية، ففضلت عرض بعض الآراء حول المسألة والنقاش العلمي الذي تثيره في هامش المتن⁽⁵⁾ ، متقيدا بالوضوح والاختصار في ذلك.

(1) - يشير المؤرخ الروماني ليفيوس إلى إنزال الجيش الروماني في مدينة هيبوريجيوس، غير أن الباحثين استدركوا عليه كونه وقع في الخطأ من حيث الخلط بين مدينتي هيبوريجيوس وهيبوديارتيس. Lipinski (E), op cit, p384, note245.

(2) - Tite-Live, Histoire romaine, XXIX, 3.

(3) - Appien, des Guerres des Romains en Libye, XLV.

(4) - Babelon (E), Carthage, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1896, p2.

(5) - يذكر شيشرون أن قرطاج أقدم من روما (753 ق.م) بخمس وستين سنة (65)، إذ تأسست حسبه قبل تسع وثلاثين سنة (39) من الأولمبياد الأول (776 ق.م)، فإذا أردنا اعتماد تاريخ تأسيس قرطاج حسبه فستكون سنة 818 ق.م موافقة من حيث أقدميتها على تأسيس روما ب 65 عاما، وتأسست عام 815 ق.م من حيث كونها أنشئت قبل 39 عاما من الأولمبياد !. Cicéron, De la République, II, 23, trad. M. Nisard, Dubochet, t.4, Paris, 1841. وعلى غرار شيشرون نجد المؤرخ فيليوس (Velleius) يذكر أن الأميرة عليسة (Elissa) أسست قرطاج قبل خمسة وستين سنة من تأسيس روما، فيوافق بذلك ماذكره شيشرون، غير أنه يجعل سقوطها بعد ستمائة وستة وستين عاما. Velleius Paterculus, Histoire romaine, I, 6 ; 12, trad. Hainsselin (P), Watelet (H), Classiques Garnier, Paris, 1932. غير أن هذا التقدير لا يوافق التاريخ الفعلي لسقوطها أي سنة 146 ق.م، فإذا قمنا بعكس العملية أي اعتبار تاريخ سقوطها المعلوم لنا كتأريخ ثابت وأضفنا له بالتراجع مدة تعميرها التي اقترحها فيليبوس فسنجد أنه يناقض اقتراحه الأول، فيكون التاريخ المقدّر هو 812 ق.م أي بفارق ست سنوات !. ويشير جوستان (Justin) نقلا عن تروك (Troque) أن قرطاج تم تأسيسها قبل اثنان وسبعون سنة (72) من تأسيس روما، أي حسابيا في سنة 825 ق.م. Justin, Histoire =

مكن الموقع الاستراتيجي لقرطاج على خليج تونس من السيطرة على طرق الشحن إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد كشفت الحفريات الأثرية فيها عن العديد من المقابر الكبرى التي لا نجد لها نظيرا في المستعمرات الفينيقية الغربية، ما جعل الباحثين يعتقدون أن قرطاج كانت ذات كثافة سكانية مرتفعة⁽¹⁾.

في. universelle, extraite de Trogue Pompé, XVIII, 5, trad. Pierrot(J), Collection Panckoucke, 1833.= حين يذكر صولينوس أن سقوط قرطاج كان بعد مضي 737 سنة عن تأسيسها، أي يصبح تاريخ تأسيسها سنة 883 ق.م . وعليه لا يمكن الجمع والتوفيق بين روايات المؤرخين وإن كان الفارق بين بعضها سوى بضع سنوات، غير أن ما اتفقت عليه كلها هو جعل تأسيس قرطاج قبل روما وخلال القرن التاسع قبل الميلاد. Solin, Recueil de faits. remarquables, XXVIII, trad. A. Agnant, Panckoucke, Paris, 1847. القدامى، فلقد اعتبر التأريخ للمدينة لدى الباحثين المعاصرين مسألة تحتاج إلى تدقيق، ومنع الخلاف عندهم مرده إلى الروايات المضطربة التي قدمها المؤرخون القدامى على نحو ما استعرضت آنفا، فسنة 814 ق.م التي تم تداولها على أنها تاريخ مضبوط لتأسيس المدينة تحتاج إلى إعادة ضبط وفق بعض المؤرخين، فقد قدم الباحث أكاشترغوم (Åkerström) فرضية تؤخر تأريخ الكثير من المدن الواقعة على حوض البحر المتوسط على غرار قرطاج ومدن صقلية وإيطاليا باعتماد دراسة تنميطية لأشكال القطع الفخارية وهندستها، والأثاث الجنائزي ومواد أخرى، واقترح سنة 675 ق.م تاريخا لتأسيس قرطاج، وقد لاقت فرضيته هذه نقدا واسعا. Hanfmann (M.A), Der Geometrische Stil in Italien. Archäologische Grundlagen der frühesten historischen Zeit Italiens by Åke Åkerström, American Journal of Archaeology, Vol. 53, N°2, Archaeological Institute of America, 1949, pp222-223. أما الباحث فورار (Forrer) يرى أن حدثا مهما بالنسبة للفينيقيين كتأسيس مدينة بنفس أهمية مدينة صور لا يمكن أن يحدث إلا في فترة استثنائية في تاريخ هذه الأخيرة، وحسبه لفظة " قردحدثت " لا يمكن أن تعني المدينة الجديدة فقط؛ بل العاصمة الجديدة أيضا، وبعد تحليل الأحداث التي ارتبطت بحروب صور والآشوريين وتفوق هؤلاء يصل إلى أن الصوريين فكروا في نقل عاصمتهم بعيدا عن صراع الإمبراطوريات في الشرق، وافترض فترة تأسيس قرطاج تاريخيا بعيدا عن الرواية الأدبية الأسطورية حوالي نهاية النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد (673 ق.م-663 ق.م) من طرف الأميرة علبسة أخت الملك بيغماليون (Pygmalion)، بينما تكون 814 ق.م سنة تأسيس المدينة الجديدة قردحدثت في قبرص (Chypre)، على يد الأميرة ديدون (Didon) ابنة الملك بعل-بيلوس (Ba'alu-Belus) المذكور عند فرجيل، إذ يفرق الباحث بين الأميرتين ولا يجعلهما شخصية واحدة، كما يفرق بين المدينتين الجديدتين قردحدثت، ولم تسلم فرضيته هو الآخر من الانتقاد. Edmond (F), Une nouvelle hypothèse sur la fondation de Carthage, Bulletin de correspondance hellénique, Vol.79, 1955, pp155-157 ; Virgile, Énéide, I, 621, trad.A.-M. Boxus et J. Poucet.

(1) - Aubet (M.E), The Phoenicians and the West: Politics, Colonies and Trade, trad. Turton (M), Cambridge University Press, 1993, p191

طرابلس: هي ثالث مدن الساحل الليبي الهامة - الذي ضم فيما بعد إلى إقليم البروقنصلية-، إذ شكلت ميناءً بحرياً يربط بين لبدّة وصبراتة، ولا يعرف تاريخ تأسيسها بالتحديد ويرجح أن تأسيسها لا يتجاوز القرن الخامس قبل الميلاد⁽¹⁾، ويشير الجغرافي سيلوس إيطاليكوس⁽²⁾ أن مؤسسها قدموا من صقلية وهم من أصل فينيقي ربما صيدويون واختلطوا بالسكان الإفريقيين، وقد رجح باحثون اشتراك الليبيين في تأسيس المدينة استناداً إلى قول سيلوس السالف⁽³⁾. وعلى أي حال يبدو أن الموقع الطبيعي لميناء طرابلس قد جذب البحارة الفينيقيين ودفعهم إلى جعله كمحطة لهم، إذ أن طبيعة الميناء عبارة عن خليج مفتوح ناحية الشرق، يحميه من الشمال رأس صخري، تقطّع بفعل الأمواج إلى مجموعة من الجزر، وقد ساعدت هذه الجزر في حماية المرفأ من أثر الرياح الشمالية والشمالية الغربية الأكثر هبوباً على المنطقة، كما تتوافر عيون المياه العذبة قريباً من الشاطئ فوجود هذه المميزات وغيرها في مرفأ طرابلس، كانت الدافع الأساسي لتردد الفينيقيين عليه وليس التجارة⁽⁴⁾. وقد كان للمدينة دور اقتصادي هام في شمال إفريقيا، وتنامت أهميتها ودورها الاقتصادي بعد سقوط قرطاج، حيث أصبحت بفضل الجرمنتين محطة للتجارة الصحراوية عبر فزان⁽⁵⁾، إذ ارتبطت طرابلس بطريق تجاري بعاصمة الجرمنت مرورا بغريان وبرجن ثم أوباري ليصل جرمة⁽⁶⁾.

هيبوريجيوس: إحدى أهم المدن في الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ومن أقدمها، تقع في الشمال الشرقي للبروقنصلية في خليج نصف دائري فقير من حيث الموانئ الطبيعية، غير أن موقعها محمي

(1) - أنديشة (أحمد)، المرجع السابق، ص 36.

(2) - Silius Italicus, Les Guerres Puniques, III, 250.

(3) - أنديشة (أحمد)، المرجع السابق، ص 36.

(4) - مسعود (حسين أبو مدينة)، ميناء طرابلس (دراسة في جغرافية النقل)، رسالة دكتوراه في الجغرافيا، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 2005، ص 75.

(5) - غوتيه (ف)، ماضي شمال إفريقيا، تر. الحسيني (هاشم)، الفرجاني، ليبيا، 1970، ص 39.

(6) - العقيلي (فاطمة سالم)، الصادرات الجرمنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأثرية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، عدد 3، ليبيا، 2019، ص 77.

طبيعيا بجبل إيدوغ من الرياح الغربية والشمالية الغربية، فمن الممكن أنه كان أهم ما جذب البحارة القدماء إلى هذا الموقع. ومن الممكن أن يكون خليج المدينة قد استعمل منذ القرنين السادس والخامس قبل الميلاد من قبل الفينيقيين كمركز اتصال تجاري⁽¹⁾.

من المرجح أن تكون هيبوريجيوس مدينة ملكية نوميدية منذ سنة 200 ق.م على الأقل، أثناء فترة حكم الملك ماسينيسا (203 ق.م-148 ق.م)، حيث تم بناء المدينة بصفتها ملكية، وتم إنشاء مينائها المفتوح لحركة الملاحة في البحر المتوسط، ويميل ليبينسكي إلى أن حواف الجدران التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية تعود في الحقيقة إلى الملك ماسينيسا رغم اعتبارها بونيكية⁽²⁾، كما أن مجموعة الجرار والمصابيح المكتشفة بها تدل بوضوح على ازدهار المدينة في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد⁽³⁾، كذلك دلت قطع الخزف الملون على ازدهار هذا النوع من الصناعات قبل الاحتلال الروماني للمنطقة⁽⁴⁾، فضلا عن الفخار الأتيكي المكتشف بالمدينة والمطلي باللون الأسود والذي يعود تأريخه على الأرجح إلى نهايات القرن السادس قبل الميلاد (520 ق.م)⁽⁵⁾.

لبدة الكبرى : تعتبر مدينة لبدة الكبرى إحدى المدن التاريخية الرومانية الثلاثة المشهورة في إقليم طرابلس التي عرفت باسم المدن الثلاث تريبوليتانيا (*Tripolitania*) وهي لبدة الكبرى وأويا (طرابلس الحالية)، وصبراته⁽⁶⁾، وتقع لبدة شرق البروقنصلية مقابلة لإيطاليا وصقلية وترتبط بينهما وبين ملتقى طرق القوافل الذي يتوغل جنوبا داخل الصحراء في بلاد الجرامنت⁽⁷⁾، وقد جرى تأسيس لبدة كمستعمرة على يد الفينيقيين على اختلاف بين قدامى المؤرخين في نسبة تأسيسها

(1) - Lipinski (E), op cit, p389.

(2) - Ibid, p390.

(3) - Morel (J.P), Recherches Stratigraphiques a Hippone, BAA, t.3, 1968, Imprimerie officielle, Alger, pp56-57.

(4) - Morel (J.P), Céramique d'hippone, BAA, t.1, 1962-1965, Imprimerie officielle, Alger, p111.

(5) - Lipinski (E), Loc cit.

(6) - إكتبي (م.حميدة)، أهم مظاهر الحياة التجارية في مدينة لبدة الكبرى، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد29، ص267.

(7) - إكتبي (م.حميدة)، الأهمية الجغرافية لمدينة لبدة الكبرى، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد28، ص17.

لفينيقي صور كما زعم سيليوس⁽¹⁾ أو إلى فينيقيي صيدا (Sidon) كما يزعم ساليستيوس " لقد أسس الصيدونيون هذه المدينة وجاءوا إلى هذه الأماكن بعدما هجروا مدينتهم بسبب النزاعات " (2).

تعتبر من أهم المدن وأكثرها نشاطا، بحيث كانت تمثل ملتقى للتجارة الصحراوية خاصة بعد ما زودت بميناء هام يستطيع أن يستقبل حوالي ستين (60) سفينة في فترة زمنية واحدة، كما زودت بإشارات توجه الملاحين . ولأسباب أمنية كان الميناء يغلق بسلاسل حديدية ثقيلة، وبفضله أصبحت لبدة مدينة كبيرة تربط بين البحر المتوسط وإفريقيا وأصبحت تمثل أيضا العاصمة الإدارية والاقتصادية لإقليم المدن الثلاث. (3)

صبراتة: تعتبر إحدى مدن الأمفوريا، وتقع على ساحل البحر المتوسط إلى الغرب من طرابلس، ويعود تاريخ المدينة كمستعمرة فينيقية إلى القرن السابع قبل الميلاد⁽⁴⁾، وربما يرجع تأسيسها إلى جماعة من صور إذ ذكرها سيليوس إلى جانب مدينة لبدى الكبرى⁽⁵⁾، ولا يُعلم على وجه التحديد تاريخ انشائها، إلا أن الباحثين قدروه بالقرن الرابع قبل الميلاد نظرا لعدم إشارة المصادر القديمة إليها قبل هذا القرن⁽⁶⁾، فيما يرجع باحثون آخرون تأسيس مستعمرة صبراتة الفينيقية إلى القرن السادس قبل الميلاد حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن موقع المستعمرة الأول وبه مساطب طينية كانت تستخدم كقواعد تبنى فوقها الأكواخ الفينيقية بالإضافة إلى فخار يوناني يرجع تأريخه

(1) - يذكر سيليوس أن القوات المشكلة لجيش مدينة لبدة هم جنود صوريون، ومنه يمكن نسبة تأسيس المستعمرة إلى

صور.. Silius Italicus, Les Guerres Puniques, III, 250, trad. M. Nisard, Didot, Paris, 1855.

(2) - Salluste, Guerre de Jugurth, LXXVIII.

(3) - حداد (سهام)، سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديم، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، 2009، الجزائر، ص73، هامش 1.

(4) - Baccar (M), Souq (F), Archaeological sites of Sabratha and Leptis Magna, Centre du Patrimoine Mondial World Heritage Centre, Libya, 2007, p4.

(5) - Silius Italicus, Les Guerres Puniques, III, 250.

(6) - أنديشة (أحمد)، المرجع السابق، ص35.

لأواخر القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاديين، فيما دلت بقايا المساكن المحاطة بسور على الإستقرار الفينيقي الدائم منذ القرن الخامس قبل الميلاد⁽¹⁾.

استمدت المدينة أهميتها من موقعها الجغرافي الذي جعلها تشرف على الطريق الصحراوي الممتد إليها من عمق واحة غدامس، الأمر الذي جعلها مركزا تجاريا يزود السوق المحلية بالحيوانات ومختلف السلع والمنتجات⁽²⁾.

دوقة : تقع غرب تونس الحالية وتعتبر من أهم المدن ذات الأصل النوميدي، حيث كانت مقر إقامة الملوك النوميديين بعد الحرب البونيقية الثالثة حتى ألحقت سنة 146 ق.م بولاية إفريقيا الرومانية⁽³⁾، وقد مثلت جزءا من الأراضي التي تضمنتها مقاطعة البروقنصلية، احتوت على معبد وضريح ملكي شيذا للملك لماسينيسا تضمن نقشين أحدهما مزدوجا اللغة بوني-ليبي، وقد استغل المؤرخون النقش الثاني خاصة لاستقراء تاريخ المدينة، فأظهرت الدراسات عليه أن المدينة سيرها نظام بلدي دقيق ومنظم خلال فترة حكم الملك مكوسن، إذ خضعت لسلطة الشفط ومجلس الأعيان كمجلس بلدي، كما أفاد نفس النقش في معرفة بعض المهن والوظائف المزاولة كالمهندس المعماري والمسؤول عن الجمال بالإضافة إلى وظائف عسكرية تمثلت في قائد المائة وقائد الخمسين⁽⁴⁾، وتدل السكاكين المعثور عليها في دوقة والمؤرخ بعضها بفترة فجر التاريخ وبعضها

(1) - عيسى (م.علي)، أقواس النصر الرومانية (لبدة،أويا،صبراتة)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، الجزائر، 2010، ص ص 63-64.

(2) - Baccar (M), Souq (F), Loc cit.

(3) - سرحان (أبو بكر) مدن وموانئ المغرب القديم، فترة الاحتلال الروماني (27ق.م. - 235م.)، مجلة المؤرخ المصري، مج.44، 2014، ص10.

(4) - عيساوي (مها)، المجتمع اللوي في بلاد المغرب القديم(من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010، ص ص 291، 292، 295.

الآخر بفترة الممالك النوميدية على أهمية عسكرية للمدينة كما تدل أيضا على ازدهار صناعة الأسلحة فيها⁽¹⁾.

(1) - بن مبارك (نسيم)، الصناعة في نوميديا من 203 ق.م إلى 46 ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 60، 80.

2- المستعمرات :

تأسست المستعمرات اليوليوكلاودية على يد يوليوس قيصر واستمر تأسيسها بعده، وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الباحثين يجدون صعوبة في التفريق بين تلك المستعمرات التي أسسها قيصر ثم الامبراطور أوغسطس من بعده، حيث أن تقارب فترتي التأسيس زمنيا من جهة واستمرار إطلاق لفظ العائلة (Julii) في عهد الأباطرة أوغسطس، تيبيريوس وكاليغولا من جهة أخرى، جعل مسألة ضبط تأريخها نسبية، لتبقى فرضيات يستدل لها كل باحث في ترجيحه إما على ما عثر عليه من مصادر مادية كالنقائش أو المعالم المبلية أو عملات نقدية أو على بعض ما أورده المؤرخون في المصادر الأدبية وعلى رأسهم بلينيوس الكبير الذي ذكر العديد من المدن في خضم وصفه البلاد الإفريقية.

يوضح قزال مسألة استمرار ظهور لقب عائلة قيصر في اسم مدينة ما بأن ذلك لا يعني بالضرورة تأسيسها من طرف أحد أفراد الأسرة، فقد يرجع ذلك إلى أنها تحولت إلى مستعمرة بعد أن كانت بلدية يوليوية (Municipium Iulium) أسسها شخص اسمه يوليوس وحافظت على اسمه⁽¹⁾. ومما يشار إليه أن الإمبراطور نيرون آخر أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية لم يفكر في توسيع الإمبراطورية . فرمما يرجع ذلك إلى قصر مدة حكمه، أو كما يعتقد فلوم (Pflaum) أن هذا الإمبراطور لم يهتم بحركة الإستيطان ولم يجعله ضمن أولوياته⁽²⁾، غير أنه اهتم هو وعائلته بحيازة الأراضي بمقاطعة افريقيا إلى جانب رجالات السينا الإيطاليين وفق ما أشارت إليه معطيات منتصف القرن الأول ميلادي⁽³⁾.

(1) - Gsell (S), H.A.A.N, VIII, op cit, p167.

(2) - يسينة بوزكري، حركة الإستيطان الروماني في موريطانيا القيصرية خلال العهد الإمبراطوري الأول، مذكرة ماجستير تاريخ قديم، جامعة الجزائر 2012-2013، ص 93.

(3) - Jerzy (K), Le Colonnat en Afrique sous le Haut-Empire, Presses Univ. Franche-Comté, 1976, p14.

وفيما يلي أهم المستعمرات اليوليوكلاودية التي تم تأسيسها بالمقاطعة في عهد قيصر وباقي أباطرة الأسرة .

- **كوروبيس (كوربة) Colonia Julia Curubis** : تقع على الساحل الشرقي لرأس الطيب، وجدت منذ حوالي سنة 45 ق.م استينادا على نقيشة أوردت اسم *duumvir* من العتقاء⁽¹⁾. لذا فهي تعود إلى فترة قيصر، لكن تاريخها يحتمل أن يكون متقدما عن هذا الذي قدره المؤرخ قزال، حيث يدلنا نقش آخر مؤرخ بسنة 49 ق.م حُلد باسم القائد آتيوس فاروس (*Attius Varus*) أحد القادة الذين اصطفوا إلى جانب بومبي (*Pompée*) في الحرب الإفريقية والذي تلقى الدعم والمساعدة من الملك يوبا الأول (*Juba I*)⁽²⁾، بعد أن وعده بتنازل الرومان عن الأراضي التي يحتلوها إذا وقف إلى جانب مجلس الشيوخ المناهض لقيصر وتجنيد الطاقات ضد حملته⁽³⁾ وهو ما يجعلنا نعتقد أن هذه المستعمرة كانت مجالا لتلك الحرب.

أما بخصوص رتبة كوروبيس الإدارية فالأمر يحتاج إلى تدقيق، إذ أن بلينيوس يذكرها كمدينة حرة ! (*Civitate liberae*)⁽⁴⁾ ثم نجد اسم هذه المدينة يظهر كمستعمرة يوليوية في كتاباتها اللاتينية⁽⁵⁾. فكيف نفسر هذا الارتقاء التراجعي في السلم الإداري من مستعمرة إلى مدينة حرة في حالة ما استندنا على إشارة بلينيوس إبتداءً، ونفس الأمر يتعلق بمستعمرتي كلوبيا ونيابوليس !. يمكن أن نفترض أنها كانت مدينة حرة مثلما نقل بلينيوس غير أنها فقدت هذه الحرية على الأغلب من قبل قيصر بعد أن حاربت ضده، ثم استرجعت حريتها على يد أوكتافيوس لترتقي إلى مستعمرة أواخر عهده أو في عهد خليفته تيبيريوس. أو أنها فقدت حقوقها كمستعمرة قيصرية في زمن أوغسطس رغم أنه لا توجد معطيات ولا أمثلة مشابهة تسند هذا الافتراض، ويحتمل أيضا أن

(1) - Gsell (S), op cit, p178.

(2) - Bréal (M), Inscription de Curubis, C.-R. Acad. Inscr., 39^e, N. 1, 1895, p32.

(3) - شنييتي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 61.

(4) - بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، ك.5، 24.

(5) - CIL, VIII, 980.

المستعمرة أسست بجانب المدينة الحرة، ومع هذا فإنه يبقى التشكيك في ما أورده بلينيوس أمرا قابلا للنقاش.

– مستعمرة كلوبيا (*Colonia Julia Clupea*): كانت هذه المستعمرة ميدانا للحرب الإفريقية كغيرها من موانئ رأس الطيب حيث أنها جغرافيا أقرب اتصالا بصقلية، وقد سكنت عنها المصادر الكلاسيكية بعد انتهاء الحرب، يضاف إلى هذا قلة النقائش اللاتينية المكتشفة بها، وقد كانت جزءا من أراضي مستعمرة قرطاج ثم جعلها قيصر مستعمرة رومانية في الوقت الذي لم تنل بعض المدن المجاورة لها ترقية لرتبة البلدية، وقد تم تسجيل مواطنيها ضمن قبيلة آرنوسيس (*Arnensis*)⁽¹⁾، ويشكك جاسكو⁽²⁾ في كونها قيصرية ويميل أكثر إلى أنها تنسب إلى أوغسطس. وصفها بلينيوس هي الأخرى في قائمة مدنه بالمدينة الحرة⁽³⁾، وقد احتفظت هذه المستعمرة بروابطها المؤسسية مع مستعمرة قرطاج أو أنها ارتبطت بها إداريا⁽⁴⁾، كما يفترض أنها احتوت على ورشة لضرب العملة⁽⁵⁾، حيث عثر بها على قطع نقدية ترجع إلى فترتي الإمبراطورين أوغسطس وتيبريوس⁽⁶⁾، بالإضافة إلى أمفورات إيطالية كما تظهر لنا حياة الرفاهية التي حظي بها سكانها من خلال آثار منازلها ذات النموذج الإيطالي الهلنستي المؤرخة بنهاية العهد الجمهوري وبداية الفترة اليوليوكلاودية⁽⁷⁾.

(1) - Lassère (J-M.), Hédi (S), Maisons de Clupea Exemples de l'architecture domestique dans un port de l'Afrique proconsulaire Les maisons de l'école de pêche, CNRS ÉDITIONS, Paris, 2010, p13.

(2) - Gascou (J), op cit, p21.

(3) - بليني الأكبر، ك.5؛ 24.

(4) - Gascou (J), La carrière de Marcus Caelius Phileros, Antiquités africaines, 20,1984, p116, note 70.

(5) - Alexandropoulos (J), Les Monnaies De L'afrique Antique 400 av. J.-C. - 40 ap. J.-C., Presses universitaires du Midi, France, 2007, p297.

(6) - Gsell (S), Loc cit, note 7.

(7) - Lassère (J-M), op cit, pp 20,25.

- مستعمرة تبرقة (*Colonia Julia Thabracenorum*): تقع على الساحل الشمالي الغربي لتونس وهي مدينة طبرقة اليوم⁽¹⁾، يرجع تاريخ هذه المستعمرة إلى الفترة القرطاجية حيث استعمل ميناؤها كمرسى للسفن القرطاجية⁽²⁾. وصفها بلينيوس بالمدينة ذات حقوق المواطنة الرومانية⁽³⁾، وتُعرف كمستعمرة يوليانية باسمها الذي يظهر في النقائش بصيغة *Colonia V. P. Iulia Thabracenorum*⁽⁴⁾. يفترض بعض الباحثين أن هذه المدينة لم ترق إلى رتبة المستعمرة إلا مع الأسرة الفلافية أو ربما بداية الفترة الأنطونية⁽⁵⁾.

- مستعمرة كارييس *Colonia Julia Carpitana* (هنشير المريسة): كانت من بين أوائل المستعمرات. تقع بناحية الجنوب الغربي لرأس الطيب مقابلة لقرطاجة، استوطنتها عناصر من نفس أصل ألك الذين استوطنوا مستعمرة بنزرت، ولأنها لم ترد في قائمة المدن الأغسطية لبلينيوس، فقد يكون تأسيسها إما في فترة قيصر أو فترة الإمبراطورين تيبيريوس وكاليغولا، ولأن هذين الأخيرين لم تعرف فترة حكمهما نشاطا استيطانيا واسعا، ومع وجود مستعمرتين قريبتان منها هما كوروييس وكلوبيا فيُرجح تأسيسها في فترة قيصر⁽⁶⁾ الذي رقى أوتيكا إلى رتبة مدينة لاتينية سنة 59

(1) - Leone (A), Evolution And Change: Town And Country In Late Antique North Africa, V.1, Thesis Submitted For The Degree Of Doctor Of Philosophy, The University Of Leicester, 2001, P86.

(2) - Gauckler (P), Mosaïques tombales d'une chapelle de martyrs à Thabraca, Monuments et mémoires de la Fondation Eugène Piot, T. 13, fascicule 2, 1906, p175.

(3) - بليني الأكبر، ك. 5 ؛ 22.

(4) - Gasco (J), La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère, École Française de Rome, 1972, p23.

(5) - Toutain (J), Trois inscriptions de Thabraca (Tabarka, Tunisie), Mélanges d'archéologie et d'histoire, T.11, 1891, p86.

(6) - Gsell (S), op cit, p179.

ق.م⁽¹⁾، ل يتم ترقيتها من قبل أوغسطس إلى بلدية رومانية باسم *Municipium Iulium Uticense*⁽²⁾. وإقامته بلدية أخرى في موستي (*Musti*)⁽³⁾.

- **مستعمرة قرطاجة (*Colonia Julia Chirthago*)** : يختلف الباحثون حول مؤسس مستعمرة قرطاجة، فالمدينة القرطاجية كانت قد أصبحت ملعونة في نظر الرومان، وبالتالي مُنع الإستيطان فيها، ويروي آبيانوس كلاما مجمله أن قيصر كان قد خيم قرب خرائب المدينة فرأى في المنام جيشا عظيما ييكى وما أن اسيقظ حتى كتب في لوحاته " عمروا قرطاجة " ، يعلق قزال على هذه الرواية أنها أشبه ما يكون بالأساطير وأن قيصر الذي لم يخيم أبدا قرب المدينة الملعونة لم يكن بحاجة إلى الأحلام ليعرف أن مدينة عظيمة ستقوم من جديد بهذا الموقع الممتاز بمجرد ما أن يُلغى الحكم الصادر في حقها... فاتخذ في أواخر حياته السبل اللازمة لإعادة إحياء المدينة، ورغم أنه توفي قبل تحقيق ذلك إلا أن تأسيسها ينسب إليه. ويضيف آبيانوس أن أوكتافوس عثر على المشروع بين الوثائق التي خلفها قيصر فبعث إلى قرطاجة 3000 مستوطن روماني⁽⁴⁾. وقد تم تأسيسها فعليا على يد الإمبراطور أوغسطس سنة 20 ق.م⁽⁵⁾، ويظهر أن هذا التاريخ الذي قدمه "بيراس" متأخر نسبيا، حيث أن هناك من يرجعه إلى سنة 29 ق.م⁽⁶⁾.

- **مستعمرة نيابوليس (*Colonia Iulia Neapolis*)** : تقع حوالي 60 كم جنوب غرب قرطاجة، ذكرها بلينيوس ضمن المدن الحرة⁽⁷⁾، ووصفها المؤرخ بومبينيوس بأنها من أشهر المدن⁽⁸⁾،

(1) - Gascou (J), op cit, p24.

(2) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R., (Organisation de L'Empire Romain) T.8, Trad., Louis-Lucas (P), Weiss(A), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1892, p 467.

(3) - Gascou (J), loc cit.

(4) - Gsell (S), op cit, p173.

(5) - Peyras (J), op cit, p 21.

(6) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), loc cit.

(7) - بليني الأكبر، ك. 5، 24.

(8) - Pomponius Mela, La description de la terre, I, 7, Trad. Baudet (L), Panckoucke, Paris, 1843.

وردت تسميتها في النقائش باسم *Colonia Iulia Neapolis*⁽¹⁾ وقد أُعتبرت بمثابة مركز اقتصادي تجاري به المبادلات التجارية للسلع والخضر محليا ومنه إلى روما نظرا لما كشفته التنقيبات الأثرية بها من مخازن وأحواض تملح السمك⁽²⁾، ويفترض قزال أن هناك مدينتين بنفس المكان؛ إحداهما مدينة حرة أسسها أوغسطس وهي نفسها المذكورة عند بلينيوس، والثانية مستعمرة ترجع إلى فترة قيصر⁽³⁾.

- مستعمرة سيرتا الجديدة (*colonia Iulia veneria circa Nova sica*): ورد ذكر هذه المدينة عند بلينيوس باسم سيكا *Sicca*⁽⁴⁾، ويؤكد قزال أن تأسيسها يعود إلى الإمبراطور أوغسطس حسب نقش أثري⁽⁵⁾، ولأنها لم تحمل لقب (*Augusta*) فمن المحتمل تأسيسها قبل سنة 27 ق.م⁽⁶⁾ أي قبل أن يتلقب أوكتافيوس بلقب أوغسطس. وهي مدينة الكاف حاليا، حيث يشير إسمها إلى المكان المرتفع، كانت مستعمرة تحتفظ بروابطها مع العاصمة النوميديّة سيرتا، سمي مواطنوها بالسيرتين السيكيوين، وهم من قبيلة كيرينا *Quirina*، سيرت أمورهم سلطة *duumvir*، بينما تولى مجلس كبار السن شؤون النوميديين فيها⁽⁷⁾.

- مستعمرة هيبوديارتيس (*Hippo Diarrhytus*): تقع على الساحل الشمالي لتونس وهي اليوم معروفة ببنزرت، تعتبر من أقدم المدن الإفريقية، ورد ذكرها عند المؤرخ ديودور الصقلي⁽⁸⁾ باسم هيبو آكرا (*Hippo Acra*) وذلك في معرض حديثه عن الحرب القرطاجية-الإغريقية والقائد

(1) - CIL, VIII, 968.

(2) - Sternberg (M), Données sur les produits fabriqués dans une officine de Neapolis (Nabeul, Tunisie), Mélanges de l'École, française de Rome, Antiquité, T. 112, n°1. 2000, pp136-141.

(3) - Gsell (S), op cit, p180.

(4) - بليني الأكبر، ك. 5 ؛ 22.

(5) - Gsell (S), op cit, p168.

(6) - Leone (A), op cit, p 80.

(7) - Beschouch (A), op cit, p 105.

(8) - Diodore De Sicile, Bibliothèque Historique, XX, 57.

أغاثوكليس ، ويذكر بلينيوس أن تسميتها *Diarrhytus* تسمية إغريقية وذلك بسبب قنوات الري التي فيها⁽¹⁾، ولا شك أن هذا يعكس البنية الحضرية التي كانت تتمتع بها هذه المدينة منذ الفترة القرطاجية. حُدد اسمها في النقائش اللاتينية بـ *Colonia Hippo Diarrhytus*⁽²⁾ ينتمي سكانها إلى قبيلة كيرينا. وقد عثر بها على عملة نقدية عليها وجه الإمبراطور تيبيريوس ومكتوب عليها (*Hippone libera*)⁽³⁾، وبالنسبة لفترة تأسيسها فنفس الافتراض المتعلق بتأسيس مستعمرة كارييس ينطبق على مستعمرة بنزرت، إذ لا تنسبان إلى أوكتافيوس أوغسطس بل إما إلى خلفه تيبيريوس أو تقدمان إلى فترة قيصر.

- **مستعمرة ماكسولا (*Maxula*)** : تقع بالقرب من قرطاج في منطقة رادس (*Rades*)، أسست كمستعمرة من طرف أوغسطس⁽⁴⁾، حيث ذكرها بلينيوس كمستعمرة أوغسطية إلى جانب مستعمرة قرطاج⁽⁵⁾، وورد اسمها في إحدى النقائش اللاتينية⁽⁶⁾ دون وصفها بالمستعمرة، غير أنه عثر على اسمها مقابلا لاسم مستعمرة أخرى حيث وُسم عليه *Maxula Colonia Iulia* (*Indulgentia*)⁽⁷⁾.

- **مستعمرة ثوبوربو (*Thuburbo*)** : يصعب التفريق بين مستعمرة ثوبوربو الصغرى (*Thuburbo Minus*) ومستعمرة ثوبوربو الكبرى (*Thuburbo Majus*) من حيث أي منهما المقصودة في قائمة المستعمرات الأوغسطية لبلينيوس، حيث ذكر مستعمرة باسم ثوبوربي (*Thuburbi*) دون أن يصفها بالصغرى أو الكبرى، ثم يضيف إليها قائمة مكونة من خمسة عشر

(1) - بليني الأكبر، ك. 5، 23.

(2) - CIL, VIII, 1209.

(3) - Toutain (J), Les Cites Romaines De La Tunisie, Librairie Thorin Et Fils, 1896, P 322, Note 1.

(4) - Leone (A), op cit, p73.

(5) - بليني الأكبر، ك. 5، 24.

(6) - CIL, VIII, 12459.

(7) - Gascou (J), op cit, p25, note 1.

مدينة تلقت حق المواطنة الرومانية في نفس الفترة ويذكر من ضمنها مدينة باسم ثوبورنيكوم (Thuburnicum)⁽¹⁾، هذه الأخيرة تستبعد من التشابه لكونها أنشئت في عهد القائد ماريوس⁽²⁾ لكن هذا يجعلنا نتساءل عن سبب إدراجها ضمن المدن الحائزة على حقوق المواطنة الرومانية إن كانت قد أسست منذ الأساس كمستعمرة رومانية ؟ وهذا دون الخلط بينها وبين مستعمرة ثيبارس (Thibaris) الماريانية أيضا⁽³⁾ عن هذا التساؤل يجيبنا "جاسكو"⁽⁴⁾ بقوله أن ماريوس لم يؤسس هذه المستعمرة لكنه وزع الأراضي على محاربيه القدامى وهم بدورهم عملوا بعد إقامتهم مجتمعات فيها على ترقيتها إلى بلدية أو مستعمرة. و ثوبوربو الصغرى هي اليوم تابورة على بعد 45 كم غرب قرطاجة ، أسسها سنة 36 ق.م⁽⁵⁾ مجموعة من المحاربين يرجح أنهم من الفيلق الثامن الذي حُدد اسمه بنقش، وعليه أصبحت المستعمرة تعرف باسم *Colonia Octavanorum Thuburbo*⁽⁶⁾.

وبالعودة إلى ثوبوربو الكبرى فإننا نعرفها هي الأخرى بموقعها وهي حاليا بهنشير قصبة جنوب قرطاجة⁽⁷⁾، وهي مدينة إفريقية اشتهرت كمركز لتخزين القمح في الفترة الإمبراطورية⁽⁸⁾. غير أن الإشكال الواقع فيها هو الحديث عن ثوبوربو بلينيوس الصغرى أم الكبرى ؟ حيث عثر على نقيشة⁽⁹⁾ بهذه الأخيرة مؤرخة ببدايات القرن الثالث ميلادي تسمي المدينة بـ *Colonia Iulia*

(1) - بليني الأكبر، ك.5، 29.

(2) - Gascou (J), op cit, p18.

(3) - Leone (A), op cit, p90.

(4) - Gascou (J), op cit, p70, note 1.

(5) - Leone (A), op cit, p101.

(6) - Héron (d.V.A), Une inscription de Tebourba (Colonia octavanorum Thuburbo), C.-R. Acad. Inscr., 57^e année, N. 6, 1913, pp439-440.

(7) - Cagnat (R), Babelon (E), Reinach (S), Atlas Archéologique de la Tunisie, Ernest Leroux Editeur, 1893, paper of zaghouine.

(8) - Ben Akacha (W), Promotion coloniale (frénésie évergétique et aménagement urbanistique à Thuburbo Maius) Dialogues d'histoire ancienne, vol. 37, n°2, 2011, p 91.

(9) - Merlin (A), Découvertes à Thuburbo Majus, C.-R. Acad. Inscr, 56^e année, N. 5, 1912, p357.

Aurelia Commoda Thuburba Maius فكما هو واضح يظهر اسم العائلة اليوليوية أيضا في هذه المدينة ولو أنه مقرون بالامبراطور كومودوس (*Commodus*) إلا أنه يظهر لنا الأصل اليوليوي في المدينة !. وهو ماسمح لبعض الباحثين أن يفترض إقامتها من طرف أوغسطس كمستعمرة أو كبلدية⁽¹⁾.

غير أن هناك من فسر ظهور اسم العائلة بوجود علاقة لأحد أفراد الأسرة مع هذه المدينة والذي يمكن أن يكون أوكتافيوس بتوكيله مهامه لجنوده بها⁽²⁾، حيث كانت عبارة عن مدينة⁽³⁾ تدار بالنظام البونيقي المحلي برئاسة الأشفاط، ثم ارتقت إلى بلدية في عهد الإمبراطور هادريان (*Hadrian Municipium Aelium Hadrianum Augustum Thuburba Maius*)⁽⁴⁾ لترتقي مرة ثانية إلى رتبة المستعمرة في عهد الإمبراطور كومودوس⁽⁵⁾، وهذا الرأي أكثر ملائمة للتطور الإداري للمدينة، إذ يبدو أن هذه المدينة لم تكن بشهرة ثوبوريو الصغرى فاكتنى بلينيوس بذكر الأكثر شهرة دون الحاجة إلى وصفها بالصغرى، ثم ورود اسم الإمبراطور كومودوس في اسمها دليل على حصولها على ترقية إدارية وهو الأمر الذي ينفي كونها مستعمرة خلال فترة قيصر أو فترة خلفائه.

- مستعمرة أسوريتانا (*Colonia Julia Assuritana*): هنشير زنفور حاليا، تقع على بعد 150 كم جنوب غرب قرطاجة، وهي قريبة من مستعمرة سيكا⁽⁶⁾ تُخلد اسمها أيضا بصيغة (*Assuras*)⁽⁷⁾، يُحتمل تأسيسها إما في فترة قيصر أو مع بداية فترة حكم الإمبراطور تيريوس،

(1) - Gasco (J), op cit, p25.

(2) - Ben Akacha (W), op cit, p92, note14.

(3) - عثر على نقيشة تشير إلى حامي المدينة (*genii civitatis*). L'Année Epigraphique(AE), 1916, 0040.

وفيما بعد عندما أصبحت بلدية فقد ذكرت نقيشة أخرى حامي البلدية (*Genio municipii*). AE, 1916, 0039.

(4) - AE, 1914, 0055.

(5) - Ben Akacha (W), op cit, p92.

(6) - Gasco (J), op cit, p24, note 8.

(7) - CIL, VIII, 01798.

حيث يذهب قزال⁽¹⁾ إلى أنه لو كانت هناك احتمالية تأسيسها على يد أوكتافيوس قبل نيله لقب أوغسطس سنة 27 ق.م لوجدنا اسمها ضمن ما أسسه أوكتافيوس في قائمة مدنه، ولم يؤسسها بعد هذه السنة لأنها لم تحمل لقبه *Augusta* ، ولسنا نعلم لماذا بنى قزال افتراضه على غياب لقب أوغسطس من اسم المدينة رغم أنه من بين الذين أثبتوا وجود بعض المستعمرات الأوكتافية أو الأوغسطية تحمل اسم العائلة اليوليوية فقط.

- **مستعمرة أوذنة (Uthina) :** مدينة أوذنة حاليا، تقع على بعد 32 كم جنوب قرطاجة⁽²⁾، نعرفها من خلال قائمة المستعمرات الأوغسطية التي أوردها بلينيوس⁽³⁾. من المرجح تأسيسها في عهد أوغسطس كون إحدى التنقيبات الأثرية في مسرح المدينة كشفت عن نحت للرقم XIII الذي يشير بنسبة كبيرة إلى المحاربين القدامى الذين خدموا في الفيلق الثالث عشر الأغسطي وأسسوا المستعمرة، ونجد هذا الرقم منقوشا أيضا على الكابيتول في روما⁽⁴⁾.

المستعمرة	التسمية اللاتينية	التسمية الحالية	المؤسس المحتمل
كوروبيس	<i>Colonia Julia Curubis</i>	كوربة	قيصر
كلويا	<i>Colonia Julia Clupea</i>	القليبية	أوغسطس
تبرقة	<i>Colonia Julia Thabracenorum</i>	طبرقة	قيصر / أوغسطس؟
كاريس	<i>Colonia Julia Carpitana</i>	هنشير المريسة	قيصر / تيبيريوس / كاليغولا
قرطاجة	<i>Colonia Julia Chrtago</i>	قرطاج	أوغسطس
نيابوليس	<i>Colonia Iulia Neapolis</i>	نابل	قيصر / أوغسطس

(1) - Gsell (S), op cit, p168.

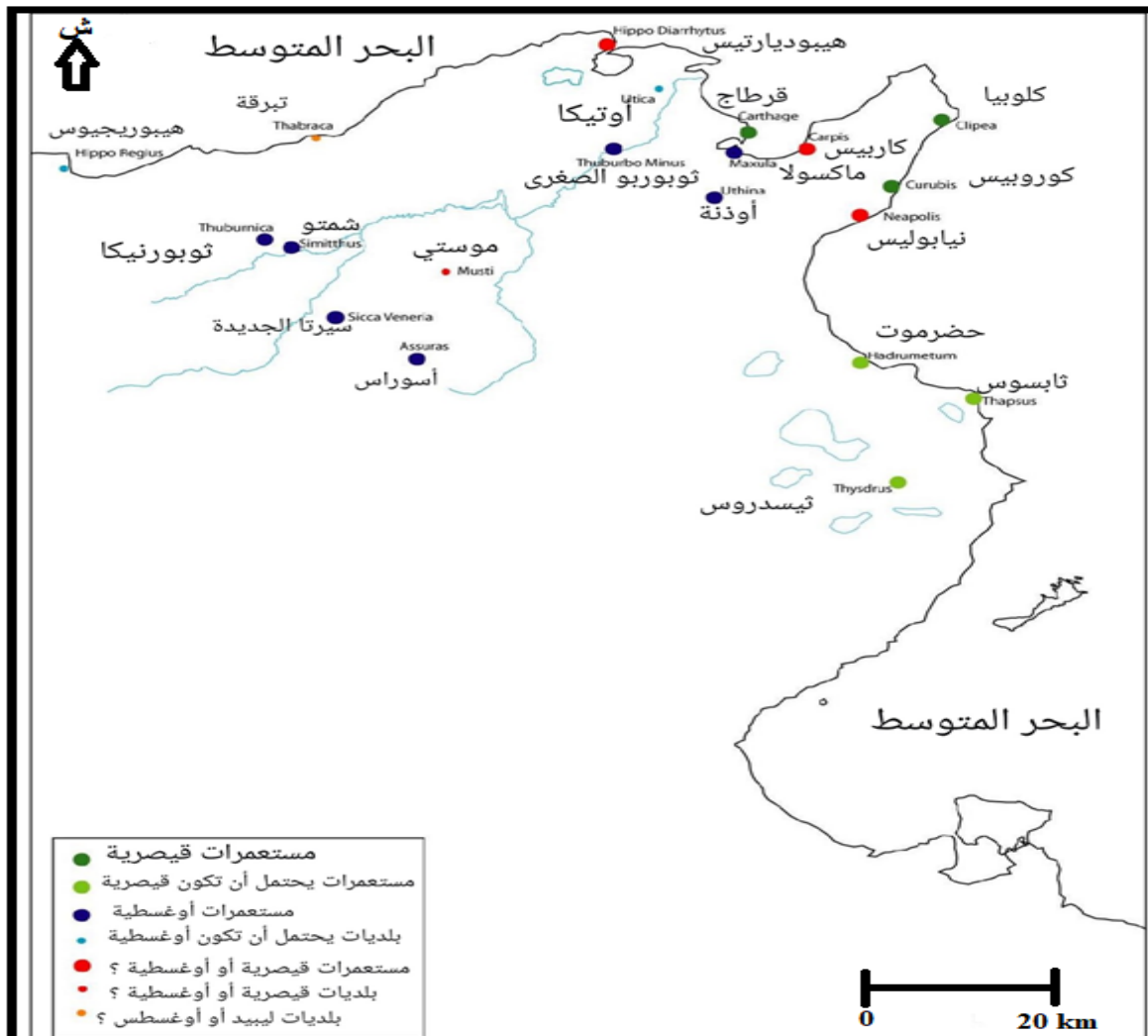
(2) - Gascou (J), op cit, p24, note 3.

(5) - بليني الأكبر، ك. 5، 29.

(4) - Landes (C), Ben Hassen (H.H), Le théâtre d'Oudhna (Uthina), Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 2010, p81.

أوكتافيوس	الكاف	<i>Colonia Iulia veneriacirta Nova sica</i>	سيرتا الجديدة
قيصر / تيبيريوس	بنزرت	<i>Colonia Hippo Diarrhytus</i>	هيبوديارتيس
أوغسطس	قرب قرطاجة في منطقة رادس	<i>Maxula Colonia Iulia</i>	ماكسولا
أوكتافيوس	تابورية	<i>Colonia Ctavanorum Thuburbo</i>	ثوبوربو
قيصر / تيبيريوس	هنشير زنفور	<i>Colonia Julia Assuritana</i>	أسوريتانا
أوغسطس	أوذنة	<i>Uthina</i>	أوذنة

جدول (3) : مستعمرات إفريقيا البروقنصلية المنسوبة للأسرة اليوليوكلاودية. (إنجاز الطالب)



ملحق (05): توزيع المستعمرات والبلديات اليوليوكلاودية.

المصدر (تصرف وتعريب الطالب): Béatrice (P), op cit, p703.

III - الوظائف الإدارية:

تعتبر وظيفة البروقنصل أعلى سلم الوظائف الرومانية على مستوى المقاطعات السيناتورية، فهو حاكم المقاطعة الذي يشرف على عملية التسيير، والمفوض من قبل مجلس الشيوخ على إدارة الولاية الرومانية، حيث يتم تعيينهم على مستوى المجلس عبر عملية القرعة، مع مراعاة توفر شرطين أساسيين هما : أن يكون من فئة القناصل السابقين أو عمل في سلك البرايتورية⁽¹⁾، وأن يكون الفارق الزمني بين توليه هذه المهام وسنة الترشح للبروقنصلية هو خمس سنوات⁽²⁾. غير أنه يمكن في بعض الأحيان للأشخاص الحاصلين على الامتياز الإمبراطوري (*Adlecti*)⁽³⁾ أن يحصلوا أيضا على توظيف في رتبة بروقنصل⁽⁴⁾.

1- البروقنصل (*Proconsul*):

تداول على حكم إفريقيا البروقنصلية حوالي تسعة وثلاثون بروقنصلا خلال فترة الأباطرة اليوليوكلاوديين، مع وجود سنوات لم يتم التعرف فيها على حاكم البروقنصل لغياب المصادر، وتجدر الإشارة أيضا إلى أن بعض البروقناصل حكموا أكثر من سنة واحدة. ويرجع الفضل في إحصاء هذا العدد من حكام المقاطعة إلى جهود الباحثين تيسو⁽⁵⁾ وبالو⁽⁶⁾ اللذان قاما باستقراء النقوش الأثرية المخلدة لأسماء البروقناصل وكتابات المؤرخين الكلاسيكيين، إلى غاية القرن الخامس الميلادي، وبالاغتماد على هذين المرجعين نحصى أسماء الحكام في الفترة الممتدة من 27 ق.م إلى 68 م وفق ما يوضحه الجدول الموالي :

(1) - Dion Cassius, Histoire romaine, LIII, 13.

(2) - Halgan (C), Essai Sur L'Administration Des Provinces Sénatoriales Sous L'Empire Romain, Ancienne Librairie Thorin Et Fils, Paris, 1898, p215.

(3) - **Adlecti**: هو امتياز خاص في النظام الإمبراطوري، يستدعى بموجبه مواطن روماني إلى عضوية مجلس الشيوخ.

(4) - Halgan (C), op cit, p216.

(5) - Tissot (Ch.), op cit.

(6) - Pallu De Lessert (A.C), Fastes Des Provinces Africaines, Ernest Leroux Éditeur, t.1, Paris, 1896.

المصدر	سنة الحكم	البروقنصل	
Pallu De Lessert (A.C), op cit,p66 Tissot (Ch.), op cit, p34.	29ق.م-28 ق.م	<i>L. AUTRONIUS PAETUS</i> ل. أترونوس بايتوس	01
Le Bohec (Y), la 3 L, p123.	25 ق.م	<i>M. ACILIUS GLABRIO</i> م. أكيليوس غلابريو	02
Tissot (Ch.), op cit, p38. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p69	22ق.م-21ق.م	<i>L. SEMPRONIUS ATRATINUS</i> ل. سمبرونيوس أتراتينوس	03
Tissot (Ch.), op cit, p38. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p70	20ق.م-19ق.م	<i>L. CORNELIUS BALBUS MINOR</i> ل. كورنيليوس بالبوس الصغير	04
Tissot (Ch.), op cit, p40.	14-13ق.م	<i>C. SENTIUS SATURNINUS</i> ك. سينتيوس ساتورنينوس	05
CIL, VIII, 1180. Pallu De Lessert (A.C), op cit, p76.	12ق.م؟	<i>L.DOMITIUS AHENOBARBUS</i> ل. دوميتيوس أهنوباربوس	06
Le Bohec (Y), la 3 L, p123.	9 ق.م-8 ق.م	<i>M. LICINIUS CRASSUS FRUGI</i> م. ليكينوس كراسوس	07
Tissot (Ch.), op cit, p41. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p80	7 ق.م	<i>P. QUINCTILIUS VARUS</i> ك. كوينكتيلوس فاروس	08
Tissot (Ch.), op cit, p42. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p81	6ق.م	<i>L. VOLUSIUS SATURNINUS</i> ل. يولوسيوس ساتورنينوس	09
Tissot (Ch.), op cit, p43. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p83	5ق.م	<i>Q. FABIUS. MAXIMUS AFRICANUS</i> فابيوس ماكسيموس أفريكانوس	10
Tissot (Ch.), op cit, p44. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p85	1ق.م-1م	<i>CN. CALPURNIUS PISO</i> كالبورنيوس بيزو	11
Tissot (Ch.), op cit, p44 Pallu De Lessert (A.C), op cit,p86.	3م	<i>L. PASSIENUS RUFUS</i> ل. باسينيوس روفوس	12
Tissot (Ch.), op cit, p45. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p87	3م-4م	<i>L. CORNELIUS LENTULUS</i> كورنيليوس لونتولوس	13
Tissot (Ch.), op cit, p46. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p88	6م أو 5م	<i>CN. CORNELIUS LENTULUS COSSUS</i> كونيليوس لونتولوس كوسوس	14
Tissot (Ch.), op cit, p47. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p93	14م-15م	<i>L. NONIUS ASPRENAS</i> ل. نونيوس أسبرناس	15
Tissot (Ch.), op cit, p49.	15م-17م	<i>L. AELIUS LAMIA</i>	16

Pallu De Lessert (A.C), op cit,p97	أو 15م-16م	ل. أليوس لاميا	
Le Bohec (Y), la 3 L, p124..	17م - 16م	A. VIBIUS HABITUS ويبيوس هابيتوس	17
Tissot (Ch.), op cit, p50. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p100	18م-17م	M. FURIUS CAMILLUS م. فوريوس كاميلوس	18
Tissot (Ch.), op cit, p50. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p101	21م-18م	L. APRONIUS ل. أبرونيوس	19
Tissot (Ch.), op cit, p52. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p105	23م-21م	Q. IUNIUS BLAESUS ك. يونيوس بلايسوس	20
Tissot (Ch.), op cit, p52. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p109	24م-23م	P. CORNELIUS DOLABELLA كورنيليوس دولابيلا	21
Tissot (Ch.), op cit, p53. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p112	29م-27م	G. VIBIUS MARSUS ويبيوس مارسوس	22
Le Bohec (Y), la 3 L, p124.	31م	بروقنصل مجهول اسمه	23
Le Bohec (Y), la 3 L, p124.	35م-34م	SER. CORNILIUS CETHEGUS كورنيليوس كيثيغوس	24
Le Bohec (Y), la 3 L, p124.	36م-35م	RUBELLIUS BLANDUS روبليوس بلاندوس	25
Tissot (Ch.), op cit, p56. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p116	37م-30م؟ أو 38م-33م	M. IUNIUS SILANUS م. يونيوس سيلانوس	26
Pallu De Lessert (A.C), op cit,p120	39م-38م	L. CALPURNIUS PISO ل. كالبورنيوس بيزو	27
Pallu De Lessert (A.C), op cit,122	42م	Q. MARCIUS BAREA ك. ماركيوس باريا	28
Tissot (Ch.), op cit, p57. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p123	46م-45م أو 46م-44م	SER. SULPICIUS GALBA سولبيغيوس غالبا	29
Tissot (Ch.), op cit, p58. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p126	47م-46م	L. SALVIUS OTHO ل. سالفيس أوتو	30
Tissot (Ch.), op cit, p59. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p127.	47م و 52م	TAMPIUS FLAVIANUS تامبيوس فلافيانوس	31
Tissot (Ch.), op cit, p60. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p129	53م-52م	T. STATILIUS TAURUS CORVINUS ستاتيليوس توروس	32
Tissot (Ch.), op cit, p61.	56م-55م	Q. SULPICIUS CAMERINUS	33

Pallu De Lessert (A.C), op cit,p132		ل. سولبيكيوس كاميرينوس	
Tissot (Ch.), op cit, p62. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p133.	م57-م56	<i>FOMPEIUS SILVANUS</i> فومبيوس سيلفانوس	34
Tissot (Ch.), op cit, p62. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p135	م58-م57	<i>Q. CURTIUS L. f. RUFUS</i> ل. كورتيوس روفوس	35
Tissot (Ch.), op cit, p65. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p137	م61-م60	<i>A. VITELLIUS</i> أ. ويتيليوس	36
Tissot (Ch.), op cit, p66. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p138	م62-م61	<i>L. VITELLIUS L f. P. n</i> ل. ويتيليوس	37
Tissot (Ch.), op cit, p66. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p139	م58 62-63 ؟	<i>T. FLAVIUS T. VESPASIANUS</i> فلافيوس فيسباسيانوس	38
Tissot (Ch.), op cit, p67. Pallu De Lessert (A.C), op cit, p141.	م67 أو م68-م69	<i>C. VIPSTANUS APRONIANUS</i> فيبستانوس أبرونيانوس	39

جدول 4: قائمة البروقنصل خلال فترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية. (إنجاز الطالب)

– الإيديليس: (Aedilis)

نشأت الإيديلية في البداية وفقا لمتطلبات دينية أكثر منها إدارية، حيث كان القائم على هذه الوظيفة يضطلع بمهمة الحفاظ على المنشآت الدينية والمباني المقدسة المتمثلة في المعابد حتى أن اسمها مشتق من الكلمة (aedes) مايوحي بقديسيته الدينية⁽¹⁾، ثم ضُمت إليه مهمة حفظ وثائق الدولة الخاصة بقرارات مجلس الشيوخ ومجلس العامة⁽²⁾، ومهمة كتابة القوانين المستصدرة من المجالس أو القناصل وعرضها على الشعب⁽³⁾. وقد ظهرت الإيديلية في سلم الوظائف الرومانية منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد بفعل التأثير اليوناني؛ حيث يرى المؤرخ موزوراكيز (Mousourakis) أن هذه الوظيفة كانت معروفة بنفس المهام في عديد المدن الإغريقية⁽⁴⁾. ويؤكد لنا ليفيوس أن هذه الوظيفة لم تكن موجودة في فترة الحكم الملكي على لسان كانوليوس (Canuléius) أحد الترابنة في بدايات الجمهورية في خطاب له أمام العامة: "...لم يكن لدينا القناصل، وبمجرد طرد الملوك أصبح لنا قناصل، لم نكن نعرف اسم الدكتاتور ولا سلطته، وبفضل آبائنا أصبحنا نعرف ذلك، لم يكن لدينا ترابنة ولا إديل ولا كاستور؛ تم إنشاء هذه الوظائف..."⁽⁵⁾.

يذكر المؤرخ ديونيسيوس أن استحداث هذه الوظيفة كان بطلب من طبقة العامة، حيث طالبوا مجلس الشيوخ الروماني بأن يُمكنهم كل سنة من انتخاب شخصين من هذه الطبقة ليتمكنوا من المشاركة في إدارة الجمهورية بأن يكونا مساعداً للترابنة في أداء مهامهم، فوافق المجلس على

(1) - Varron, De la langue latine, V, 81, trad. Nisard (M), Dubochet, Paris, 1845.

(2) – الروي (أمال)، نظام الحكم الروماني في العصر الجمهوري (من 510 ق.م حتى عام 14 م طبقا للمصادر اللاتينية)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2007، ص 78.

(3) - Tite-Live, Histoire romaine, III, 57.

(4) - Mousourakis (G), The Historical and Institutional Context of Roman Law, Routledge, United states, 2016, p92, note84.

(5) - Tite-Live, Histoire romaine, IV, 4.

هذا الطلب وأصبح الانتخاب يتم كل سنة باختيار مرشحين اثنين⁽¹⁾ عن طريق الجمعية الشعبية⁽²⁾ ويحمل الفائزان في الانتخاب لقب إيديليس العامة (*aediles plebeis*)⁽³⁾.

في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد تم استحداث وظيفتي البرايتورية ووظيفة إيديلية الأشراف (*curule aediles*)، ووضح ليفيوس أن اختيار شخصين من الأشراف يتوليان وظيفة الإيديلية بالتوازي مع إيديليس العامة ما هو إلا إصلاح سياسي اجتماعي يهدف إلى إرضاء طبقة الأشراف بعد أن أُنتزعت منها إحدى القنصليتين⁽⁴⁾ وكذلك لمنع احتكار طبقة العامة على الأشراف على الاحتفالات الدينية⁽⁵⁾. وبعد إدراج هذه الوظيفة كانت عملية الانتخاب تتم في نفس اليوم على أن يتم انتخاب إيديليس الأشراف أولاً⁽⁶⁾.

كان التنسيق في العمل بين موظفي الإيديلية يتم عن طريق القرعة فيما بينهم، حيث يتم توزيع المناطق الحضرية الخاضعة لكل واحد منهم⁽⁷⁾ وبعد ذلك يتم الإشراف على كل جزء من المدينة وفق ما تم الاتفاق عليه بينهم.

حظي الإيديليس بمكانة مرموقة في المجتمع لارتباط مهامه بالجانب الكهنوتي كما أسلفنا وازدادت تلك المكانة رفعة بعد أن أصبح يشرف على مراقبة الأسواق وما يتم تداوله فيها حتى العبيد ومراقبة الأوزان⁽⁸⁾، كذلك صيانة الطرقات والعناية بها، وتنظيف الشوارع (*Cura Viarum*)

(1) - Denys d'Halicarnasse, Les Antiquités Romaines, VI, 90.

(2) - Ibid, IX, 11, 20.

(3) - Mousourakis (G), op cit, p93.

(4) - Tite-Live, Histoire romaine, VII, 1.

(5) - فايز (عبد اللطيف)، وظيفة الإيديلية في روما في عصر الجمهورية، المؤتمر الدولي الخامس (الكلمة والصورة في الحضارات القديمة)، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، 2014، ص 269.

(6) - Plutarque, Vie de Marius, 5.

(7) - Smith (W), Dictionary of Greek and Roman Antiquities, 2nd ed., Boston, 1849, p19.

(8) - Ibid, p18.

(1) *Cura Urbis* وتشغيل الحمامات العمومية وضمان تزويد المدينة بالحبوب⁽²⁾ (*Cura Annonae*)⁽³⁾ ومصادرة الأموال غير الشرعية وإقامة الألعاب والمهرجانات⁽⁴⁾ والقيام بحملات تفتيشية للحمامات وبيوت الدعارة⁽⁵⁾، ومراقبة الحصص الموزعة من الأراضي وما إذا كانت طريقة امتلاكها قانونية⁽⁶⁾ وفرض الغرامات على المزارعين⁽⁷⁾. وعلى هذا النحو امتلك الإيديل سلطة الرقابة العمومية⁽⁸⁾ بقوة قانون الدولة الرومانية فشكّلت مهامه امتزاجا بين وظيفة القاضي والمهام الشرطية والمهام الكهنوتية حيث كان من صلاحياته أيضا مراقبة الشعائر الدينية بما فيها التحقق بأنه لم يجر عبادة آلهة جديدة أو ممارسة طقوس دخيلة⁽⁹⁾. وبامتلاكه لكل هذه الصلاحيات في المدينة فقد جعل هذا منه موظفا يتمتع بالحصانة القانونية للقدرة على أداء مثل تلك المهام المسندة إليه⁽¹⁰⁾.

بعد أن سحب الإمبراطور أوغسطس مسؤولية الإشراف على المهرجانات وحلّبات المصارعة من الإيديل ومنحها إلى البريتور سنة 22 ق.م؛ لم تعد وظيفة الإيديلية ذات أهمية كبيرة مثلما كانت عليه في السابق ولم تعد تجذب المترشحين إليها⁽¹¹⁾. خاصة بعد أن تم إنشاء وظيفة

(1) **Cura urbis** : بمثابة جهاز شرطة تتمثل مهامه بالدرجة الأولى تنظيم اللوائح المتعلقة بالطرق والمباني ومراقبة

الشوارع. Halgan (C), op cit, p146.

(2) – Vars (Ch), Cirta, ses monuments, son administration, ses magistrats, d'après les fouilles et les inscriptions, Ernest Thorin Editeur, Paris, 1895, p195.

(3) **Cura Annonae** : أي الإشراف على مخازن الحبوب العامة والإشراف على توزيعها، كذلك اتخاذ إجراءات ردعية

ضد التجار الذين يبيعون سلعهم بأسعار مبالغ فيها ومراقبة الأوزان المعشوشة والمقاييس الزائفة. Halgan (C), Loc cit.

(4) - Tite-Live, Histoire romaine, X, 23.

(5) - Smith (W), Loc cit.

(6) - Tite-Live, Histoire romaine, X, 13.

(7) - Ibid, 47.

(8) - Tite-Live, Histoire romaine, III, 6.

(9) - Smith (W), op cit, p18.

(10) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R., (le droit Public Romain), t.4, trad. Humbert (G), Thorin et Fils Editeurs, Paris, 1894, pp164-165.

(11) – Swan (P.M), The Augustan Succession An Historical Commentary on Cassius Dio's Roman History (Books 55-56), American Philological Association, p173.

برايفيكتيس الأنونة (*praefectus annonae*)⁽¹⁾ ما بين سنتي 8م و14م⁽²⁾ لتفادي أزمة اقتصادية مثل تلك التي حدثت ما بين سنتي 23 و22 ق.م⁽³⁾.

نظرا للعزوف الذي وقع اتجاه هذه الوظيفة التي جردت من محتواها فإن اختيار الأشخاص إليها كان يتم بالإجبار كما يروي المؤرخ ديون كاسيوس "...ولأنه لم يوافق أحد عن طيب خاطر على أن يكون إيديلا، فقد أُجبر المواطنون، الذين تم اختيارهم بالقرعة من بين فئة الكويستور والترابنة السابقين على قبول هذا المنصب ..." ⁽⁴⁾.

ساهم إيديليس مدن البروقنصلية كغيرهم في ترقية خزانة البلديات والمستعمرات الرومانية بالبروقنصلية، حيث كانت عائدات الغرامات المفروضة من قبلهم تُصب في خزانة البلدية⁽⁵⁾، كما ساهموا في إقامة عدة نشاطات عمرانية وأخرى متعلقة بمهامهم، ومن الشواهد على نشاطهم أن إحدى النقائش تسجل قيام إيديلا مدينة نيابوليس بفرض الغرامات المالية⁽⁶⁾ وفي الغالب كانت تستغل تلك الأموال في ترميم الطرقات أو بناء أسوار المدينة وتأمين مياه الشرب عبر إصلاح القنوات أو تشييد الخزانات⁽⁷⁾. وقد اهتم الإيديليس بتسجيل أعمالهم وذلك ما يظهر من عدة نقائش تخلد تلك الإنجازات⁽⁸⁾.

(1) – Smith (W), op cit, p19.

(2) – Cébeillac-Gervasoni (M), Les rapports institutionnels et politiques d'Ostie et de Rome de la République au IIIe siècle ap. J.-C., Mélanges de l'école française de Rome, 114, 1, 2002, p67.

(3) – Ibid, p76.

(4) – Dion Cassius, Histoire romaine, LV, 24.

(5) – Lex Malacitana, 66.

(6) – CIL, VIII, 972. ; Rousseau (M.A), Nebel L' Ancinne Néapolis, Revue Africaine, n°11, 2ème Ann., 1858, p391. ; Creuly, sur diverses Inscriptions Romains de Tunisie, Revue Archéologique, 15ème Ann., 1858, p291.

(7) – CIL, VIII, 977, 978. ; Le Glay (M), Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine, Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987), Publications de l'École Française de Rome, 134, 1990, p83.

(8) – CIL, VIII, 859, 861, 862, 863.

3- الكويستور (Quaestor):

لأنعلم على وجه التحديد متى تم إنشاء هذه الوظيفة ومع ذلك فإن حديث المؤرخ تاكيت يفيد بأنها كانت منذ العهد الملكي "...استحدثت الكويستورية في عهد الملوك..."⁽¹⁾ ، وقد تم إدخال إصلاحات تشمل آلية انتخاب الكويستور وتحديد مهامه على الأرجح، ثم أصبحت هذه الوظيفة تدريجياً مقسمة بين شخصين اثنين بنفس المهام وذلك تلبية لاحتياجات الدولة المتنامية وعدم قدرة كويستور واحد على مواكبة الأعمال المتزايدة، ثم وصل عددهم إلى أربعة بانتخاب اثنين آخرين من عامة الشعب والنبلاء؛ يتعين عليهما إعانة القناصل في الشؤون الحربية ومرافقة الجيوش⁽²⁾ . ثم ارتفع عددهم إلى ثمانية⁽³⁾، ثم إلى عشرين كويستورا في عهد سولا⁽⁴⁾، وقد رفع قيصر هذا العدد إلى أربعين⁽⁵⁾ ليخفضه أوغسطس بعده إلى عشرين كويستورا⁽⁶⁾.

حول طبيعة هذه الوظيفة وسبب إنشائها يرى المؤرخ أرنولد (Arnold) أن ذلك يرجع إلى محاولة التقليل من سلطة الحاكم في الشؤون المالية وتحييده عنها، وقد خصص لكل مقاطعة كويستور يهتم بشؤونها المالية باستثناء مقاطعة سيسيليا التي عين بها اثنان في فترة الجمهورية⁽⁷⁾.

تتمثل مهام الكويستور في الأساس في كونه أمين الخزينة العمومية حيث كان يدير الإيرادات العامة بما فيها الضرائب الذي كان القائم على جمعها، بالإضافة إلى تسوية حسابات النفقات التي يأمر بها مجلس المدينة⁽⁸⁾.

(1) - Tacite, Annales, XI, 22, trad. J. L. Burnouf, Paris, 1859.

(2) - Tite-Live, Histoire romaine, IV, 43, trad. Nisard (M), t.1, Paris, 1864.

(3) - Tite Live, Epit., XV.in : Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R.,(Organisation de L'Empire Romain), V.9, T.2, op cit, p545.

(4) - Tacite, Annales, XI, 22.

(5) - Dion Cassius, L'Histoire romaine, XLIII, 51.

(6) - Mommsen (T), Römisches Staatsrecht, Hirzel,t.2, 1, Leipzig, 1877, p516, note1.

(7) – Arnold (W.T), The Roman System Of Provincial Administration To The Accession Of Constantine The Great, Macmillan And Co., London, 1879, p57.

(8) - Vars (Ch), op cit, p198.

على غرار المهام المالية كان يمكن للكويستور وقت الحاجة أن يُكلف بمهام عسكرية، إذ وجدنا مايدل على ذلك، ففي الحروب البونيقية مثلاً عندما قُتل أحد قواد الجيش الروماني استلم الكويستور المرافق له قيادة الجيش⁽¹⁾، كما قاد أحدهم جيشاً في تساليا⁽²⁾، ويمكن أن يكون هذا مجرد حالات استثنائية تتعلق بحالات الطوارئ والأوضاع المضطربة سياسياً. كما كان ضمن مهامهم أيضاً في العهد الإمبراطوري إقامة الألعاب للشعب الروماني⁽³⁾. وعلى غرار المهام العسكرية كان يمكن لحاكم المقاطعة أن يكلف الكويستور بحل بعض المشاكل التي قد تنشأ في بلديات المقاطعة⁽⁴⁾.

لم يختَر حكام المقاطعات أشخاصاً بعينهم من فئة الكويستور لمرافقتهم إلى المقاطعات بل كان يتم تعيين توزيعهم على المقاطعات عن طريق القرعة⁽⁵⁾، وفي بعض الأحيان حينما يكون عدد المترشحين غير كاف يتم التعيين مباشرة من أئلك الذين يزاولون وظائفهم في روما⁽⁶⁾. غير أننا نعتقد أن مقاطعة البروقنصلية ولكونها واحدة من أهم مقاطعات الإمبراطورية من حيث ثرائها الطبيعي وانتعاش اقتصادها وموقعها القريب من إيطاليا، فهي تجذب انتباه كبار الموظفين والساسة الرومان إليها بقصد توسيع الثروة وكسب الأموال فلذلك لا نستبعد تقديم المترشحين للرشاوي من أجل إرسالهم إلى هذه المقاطعة.

تعتبر هذه الوظيفة من بين الوظائف العليا التي يمكن أن تؤهل صاحبها لشغل منصب القنصل، ومن النادر جداً أن يترشح لمنصب القنصلية من لم يشغل منصب الكويستور قبل ذلك

(1) - Tite-Live. Histoire romaine, XXV, 17, 7, trad.Nisar (M), t.1, Dubochet, Paris, 1864.

(2) - Cicéron, Philippiques, X, 6, trad. Heguin (M), Garnier, Paris, 1927.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R., (Le Droit public Romain), t.2, trad. Girard (P.F), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1892, p60.

(4) - Calder (W.M), Keil (J), Anatolian Studies, Manchester University Press, 1939, p336, note 1.

(5) - Cicéron, Verrines, I, 13, trad. Nisard (M), t.2, Dubochet, Paris, 1840.

(6) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p122, note 3.

إلا في حالات قليلة ذكر شيشرون إحداها⁽¹⁾. وقد تقلد هذه الوظيفة شخصيات رومانية مشهورة على غرار كاتو (Caton)⁽²⁾ والإمبراطور تيبيريوس بسن التاسعة عشر⁽³⁾، والإمبراطور نيرون الذي نال هذه الوظيفة ولم يبلغ سنها القانوني بعد⁽⁴⁾، والإمبراطور أوتون (Othon) الذي شغل منصب الكويستور لمدة عشر سنوات في مقاطعة لوسيتانيا (Lusitanie)⁽⁵⁾.

حسب مومسن فإننا لا نجد في المقاطعات الإمبراطورية كويستورا أو بروكويستور، على عكس المقاطعات السيناتورية كإفريقيا البروقنصلية حيث توجد هذه الوظيفة - البروكويستور -⁽⁶⁾. ويسمح القانون الروماني للبروقنصل أن يعين أحد معاونيه لتعويض غياب الكويستور أو عند وفاته وحينها يُطلق عليه لقب البروكويستور (pro quaestore)⁽⁷⁾. وقد كان الكويستور ينقل ما جمعه من أموال وضرائب إلى روما ويلتزم أيضا بتسليم سجلاته إلى الكويستور الذي يخلفه على مقاطعته أو إلى حاكم المقاطعة في عملية تسليم المهام⁽⁸⁾. وقد يتم التدقيق في ممتلكاته وفي السجلات التي كانت بحوزته⁽⁹⁾.

أقام كويستور المقاطعة في مدينة أوتيكا ومنها أدار جميع أعماله⁽¹⁰⁾، وذلك وفق ما تُبينه إحدى النقائش المكرسة من طرف كويستور المقاطعة سنة 60 ق.م⁽¹¹⁾، ولسنا نعلم سبب اتخاذ

(1) - Cicéron, Pro Plancio, 21, 52, trad. Nisard (M), Dubochet, t.3, Paris, 1840.

(2) - Plutarque, Vie de Caton l'Ancien, 3, trad. Latzarus (B), t.1, Classiques Garnier, Paris, 1950.

(3) - Velleius Paterculus, Histoire romaine, II, 94, trad. Hainsselin (P), Watelet (H), Classiques Garnier, Paris, 1932.

(4) - Tacite, Annales, III, 29, trad. Burnouf (J.L), Paris, 1859.

(5) - Suétone, Vie des Douze Césars, Vie de Othon, 3, trad. Nisard (M), Paris, 1855.

(6) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p370.

(7) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R., (Organisation de L'Empire Romain), op cit, p546.

(8) - Ibid, p388.

(9) - Cicéron, Verrines, I, 36.

(10) - Aounallah (S), op cit, « Les pagi dits de "stipendiaires" et la naissance du village stipendaire », pp19-27.

(11) - ILAfr., 422.

مدينة ساحلية مركزا للإدارة المالية إذ لو كانت مدينة داخلية لكانت عملية مراقبة الممتلكات وجمع الأموال من المدن المحيطة أسهل، إلا أن يكون سبب الاختيار أمنا بغرض تأمين الأموال وسهولة إخراجها عند اللزوم.

مارس كويستور البروقنصلية مهامه في نطاق إقليمها الجغرافي ولم يتجاوزه، إذ أننا نجد على الحدود الشرقية للمقاطعة كويستورا يقوم على شؤون مدن الكنفدرالية السيرية عُين من طرف مفوض مقاطعة نوميديا⁽¹⁾. حيث لا يمكنه التعدي على سلطة المفوض في مقاطعته الإمبراطورية

نستطيع من خلال بعض النصوص الأدبية والأثرية التعرف على بعض الشخصيات التي مارست هذه الوظيفة في مقاطعة إفريقيا على ندرتها في هذه الفترة، وحتى في الفترات اللاحقة إذ أن الباحث ثوماسون (Thomasson) يحصي حوالي عشرين كويستورا فقط ما بين القرنين الأول والثالث الميلاديين⁽²⁾، ومن تلك الشخصيات نجد :

- **لوكيوس قيصر (Lucius César):** كان أحد القادة العسكريين البارزين بالمقاطعة بعد أن خدم في صفوف بومبي في الحرب الأهلية، وسبق له أن التقى قيصر وأظهر أمامه تأييده لبومبي رغم أن والده خدم كمساعد له⁽³⁾. وفي إفريقية اشتغل ككويستور إلى جانب حاكمها كاتو الذي أوصاه على أبنائه قبل انتحاره⁽⁴⁾.

- **لايلوس (D. Laelius):** نعرف بأنه كان كويستورا للمقاطعة بعد وفاة قيصر حوالي 43 ق.م وذلك من خلال نقش خلد اسمه⁽⁵⁾.

(1) - Halgan (C), op cit, p274.

(2) - Thomasson (B.E), I questori d'Africa durante il principato, L'Africa Romana, 11, Editrice Il Torchiello, 1994, p1502.

(3) - César, Guerre civile, I, 8, trad. Nisard (M), Paris, 1865.

(4) - César, Guerre d'Afrique, 88.

(5) - D. Laelius D. f(ilius) / Balbus, q(uaestor) pro /pr(aetore), assa, d(e)stric(ta)r(ium)/ solariumque/faciundu(m) coerau(it). CIL, VIII, 24106. ; Gsell (S), H.A.A.N, t.8, Op cit, p179.

- ديكيميوس (C. Décimius) ورد اسمه ككويستور سابق في خضم الأحداث التي عرفتھا المقاطعة خلال الحرب الإفريقية⁽¹⁾.

- بومبونوس (A. Pomponius) عثر على عملة برونزية بالقرب من أوتيكا تخلد اسمه ككويستور⁽²⁾.

- توليوس روفوس (Tulius Rufus) : خدم ككويستور بالمقاطعة على الأرجح أواخر فترة قيصر وقتل في حرب إفريقية⁽³⁾.

- قرانيوس بيترون (Granius Pétron) : شغل منصب كويستور بمقاطعة إفريقيا طبقا لما ذكره المؤرخ بلوتارخ، وانتهى به الأمر بقتل نفسه "...أجاب جرانوس أن جنود قيصر اعتادوا منح الحياة للآخرين لا أن تُمنح لهم، قال هذه الكلمات ثم استل سيفه وقتل نفسه."⁽⁴⁾.

- فونتيوس (Fonteius Q.F.) : عمل كويستورا لمقاطعة إفريقيا حسب كتابة لاتينية عثر عليها في ميناء أوستيا (Ostie) مؤرخة بنهاية الفترة الجمهورية أو بعهد الإمبراطور أوغسطس، تسجل إهداءً من تجار أفارقة إلى كويستور المقاطعة، غير أن هناك من الباحثين من افترض أنه كويستور ميناء أوستيا لا إفريقيا⁽⁵⁾.

- ليفينيوس قاللوس (Livineius Gallus) : اشتغل ككويستور للمقاطعة حوالي 5-6 ق.م، وفق ماتبينه عملة نقدية عثر عليها في مدينة حضر موت يظهر عليها صورة الفيل والأفعى واسم

(1) - César, Guerre d'Afrique, 34.

(2) - Grant (M), From Imperium To Auctoritas (A Historical Study Of Aes Coinage In The Roman Empire, The University Press, Cambridge, 1969, p20. ; Broughton (R), The Magistrates Of The Romain Republic, edit. De Lacy (Ph.H.), V.2, The American Philological, Association, New York, 1952, p287.

(3) - César, Guerre d'Afrique, 85. ; Broughton (R), op cit, p 477.

(4) - Plutarque, Vie de César, 16.

(5) - Cébeillac-Gervasoni (M), op cit, p67.

الكويستور ليفينيوس على أحد الوجهين وصورة بروقنصل المقاطعة فابيوس ماكسيموس (*Fabius Maximus*) على الوجه الثاني⁽¹⁾.

- دوميتيوس (*Cn. Domitius Afer Titius Marcellus Curvius Lucanus*) : شغل منصب الكويستور بإفريقيا البروقنصلية على الأرجح فترة حكم الإمبراطور نيرون⁽²⁾، ثم تدرج في الوظائف حتى أصبح بروقنصل على المقاطعة خلال حكم الإمبراطور فيسباسيانوس (*Vespasianus*) فيما بعد⁽³⁾.

(1) - Rowan (C), *From Caesar to Augustus* (c. 49 BC–AD 14), Cambridge University Press, 2018, p53-54.

(2) - Thomasson (B.E), *Loc cit.*

(3) - ILS, I, 990.

الفصل الثالث:

الحضور العسكري الروماني بالمقاطعة.

I - تطور الجيش الروماني.

II - إسناد قيادة الجيش.

III - الفيلق الأوغسطي الثالث ودوره.

تمهيد:

يعد الجيش قوام الدولة، والركيزة التي يعتمد عليها الساسة لابقاء النظام السياسي قائما، ولطالما لعب الجيش دورا أساسيا عبر التاريخ وتصدر الأحداث استنادا إلى ما حفظته لنا الوثائق التاريخية قديما وحديثا، وبالنسبة للرومان فقد شغل الفكر العسكري حيزا واسعا في الدولة الرومانية ككيان سياسي مذ نشوء المملكة لیتبلور بشكل أكثر تنظيما وقوة مع مرحلة الإمبراطورية.

نظرا لكون مقاطعة إفريقيا البروقنصلية الرومانية أرضا مغتصبة من أصحابها في الأساس، فقد كانت الحاجة إلى وجود الجيش فيها أمرا لا يكاد يقل أهمية عن حاجته للدفاع عن عاصمة الإمبراطورية، واستنادا على هذا سيعالج هذا الفصل الوضع العسكري للمقاطعة من حيث الحضور العسكري بها، ابتداءً من تأسيسه واسناد قيادته إلى الدور الذي لعبه بها.

I- تطور الجيش الروماني:

عرف الجيش الروماني وهيئاته تطوراً عبر مختلف مراحل الدولة الرومانية، وذلك راجع لعدة عوامل أهمها استجابة التنظيم العسكري للظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تطرأ على الدولة الرومانية، بالإضافة إلى إسهامات بعض الشخصيات السياسية بجملة من الإصلاحات التي شملت في كثير من الأحيان الجيش، فكان التنظيم العسكري الروماني تنظيماً غير مستقر خضع في مسيرته التاريخية إلى جملة من التغيرات، والتي اتضح أنه من المهم الإشارة إليها دونما الإسهاب في عرضها .

1- الجيش في العهد الملكي :

بلغ تعداد الجيش الروماني في بداية المرحلة الملكية مع رومولوس (*Romulus*) حوالي 3000 راجل (*Pedites*) و 300 فارس (*Equites*)⁽¹⁾ حيث يؤخذ من القبائل الثلاثة⁽²⁾ التي شكلت مجتمع روما 1000 مشاة و 100 فارس من طبقة الأشراف الأثرياء والمزارعين الذي كان بوسعهم تحمل تزويد أنفسهم بالسلاح وعدة الحرب من خوذة، وقد كان تدريب الفرسان جيداً مقارنة ببقية الجنود⁽³⁾.

ثم زيد في تعداد الجيش العام حيث بلغ عدد المشاة 6000⁽⁴⁾ وعدد الفرسان 600 فارس⁽⁵⁾ بعد استقدام جنود من شعب سابين (*Sabinuns*)⁽⁶⁾.

(1) - Plutarque, Vie de Romulus, 13, Trad. Poucet (J), éd.Firmin-Didot, t.1, Paris, 1883.

(2) - يقصد بها قبيلة التاتيينيس (*Tatiense*) وقبيلة الرامينيس (*Ramnenses*) وقبيلة لوكيريس (*Luceres*)

(3) - رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص30.

(4) - يطلق لقب (*Tribunus Militum*) على قائد المشاة .

(5) - يطلق لقب (*Tribunus Celerum*) على قائد الفرسان .

(6) - Jean le Lydien, Sur les institutions de l'État romain, I, 16, trad. Dubuisson (M), 2000.

ورغم أن هذا الجيش قد أنشئ بغرض حماية المملكة وتأمين حدودها ورد العدوان عنها وربما لقمع التمردات، إلا أن بعض الملوك من كان منهم يملك فكرا توسعيا قد أخرج الجيش عن مهامه المألوفة وأعمله في تطبيق سياساته العسكرية، ومن ذلك ما قام به الملك ماركوس (Aneus Marcius) أو الملك تاركوينوس (Tarquinius) بريسكوس (Priscus) و سوبوريوس (Superbus). وبلغ من توسعاتهم أن أنشأت الشعوب المجاورة لهم العصبة اللاتينية أواخر القرن السادس قبل الميلاد للحد من التوسعات الرومانية في اللاتيوم⁽¹⁾.

يعتبر الملك سيرفيوس توليوس (Servius Tullius) أشهر الملوك الرومان الذين أدخلوا إصلاحات على الجيش الروماني، وتمثل أهمها في تغيير آلية انتقاء الجنود، فبعد أن كانت الجيوش مرتبطة بالوحدات الميئنية التي تقدمها كل قبيلة أصبح الانتقاء مرتبطا بالفئات التي قسم عليها الشعب الروماني، إذ يتم تصنيف المواطن ضمن فئة تبعا لنسبة ثروته الخاضعة للضريبة (Cenus)، وقد بلغ عدد تلك الفئات خمس طبقات، حيث يبدأ الحد الأدنى للثروة من 11.000 آس للتصنيف ضمن الطبقة الخامسة، وكلما زادت الثروة عن هذا المقدار انتقل المواطن إلى الطبقة الأعلى وكان الفارق بين الطبقة والأخرى حوالي 25.000 آس⁽²⁾،

وقد تم تقليص الحد الأدنى للثروة من 11.000 آس إلى 4000 آس فأصبحت الفرصة سانحة لعدد كبير من الفقراء (proletarii) للانضمام إلى صفوف الجيش⁽³⁾. أما ألك الذين تنعدم ثروتهم ولا يملكون شيئا تماما (capite censi) فتم جمعهم في كتوريات خارج التصنيف باعتبار أن ليس لهم أي فعالية قتالية في المعارك إذ لا يملكون شيئا يستحق التضحية من أجله مقارنة بمن يحوز ثروة أي سيكون لديه الكثير ليخسره إذا ما هُزم في المعركة، وفي المقابل كان توزيع الغنائم يقوم على

(1) - رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص31.

(2) - Tite-Live, Histoire romaine, I, 43, trad. Nisard (M), éd. Firmin Didot, t.1, Paris. 1864.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R., (de l'organisation militaire), T.11, Trad. Brissaud (J), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1891, p142.

التمايز بين الطبقات إذ يحصل الأغنياء على نصيب أوفر من الغنائم التي يحصل عليها الفقراء لأنهم شاركوا أكثر من البقية (1).

يضاف إلى هذا التقسيم الطبقي للجيش الروماني تقسم آخر من حيث التركيبة العمرية، حيث يضم الجيش الجنود الذسن تتراوح أعمارهم ما بين سبعة عشر سنة وستين سنة موزعين إلى صنفين؛ الأول ممن أعمارهم بين سبعة عشر سنة وخمسة وأربعين سنة يكونون ستين وحدة ميثينية وست ميثينيات من الفرسان، أما الصنف الثاني فهو يشمل من تتراوح أعمارهم بين السادسة والأربعين سنة إلى ستين سنة يكونون ستين وحدة ميثينية من الشيوخ (Senatos) يشكلون وحدات الاحتياط (2).

2- الجيش في العهد الجمهوري :

تغير النظام الملكي إلى جمهوري استجابة لعدة مقتضيات سياسية، نظام سياسي جديد بعقلية إدارية وبفكر عسكري مغاير، وقد دفعت الظروف الطارئة على روما أن تعيد تنظيم جيشها، فقد تعرضت لهجمات الإيكويين (Aequi) والفلولسكيين (Volsei) خلال القرن الخامس قبل الميلاد، بالإضافة إلى الغالين سنة 382 ق.م حيث تمكنوا من الاستيلاء على روما ونهبها واضرام النار في جزء كبير منها، فخلقت هذه الهجمات فكرا عسكريا جديدا من حيث التدريب العسكري العالي والسلطة المطلقة للقنصلين على الجيش (3).

جرى فيما بعد تغيير آخر استبدلوا فيه التقسيم على أساس الميثينيات إلى تقسيم على أساس وحدات تكتيكية منفصلة (Manipulus) يتراوح تعداد الواحدة منها ما بين 60 و 120 جنديا

(1) - Clavé (Y), Teyssier (É), Petit Atlas historique de l'Antiquité romaine), Armand Colin, 2019, p24.

(2) - رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص 60؛ Clavé (Y), Teyssier (É), op cit, p24.

(3) - نفسه، ص 32.

تتجمع في صفوف منتظمة متباعدة عن بعضها وتتحرك وفق ماتقتضيه المعارك ليسند بعضها بعضاً⁽¹⁾. ويمكنها الاصطفاف على عدة هيئات طولاً أو عرضاً⁽²⁾، وقد خضعت كل وحدة لقائد برتبة ضابط كونتوريو⁽³⁾،

استمر العمل بنظام الفئات حسب الثروة، حيث زاد تعداد الفقراء أكثر في الجيش حتى أنه من لم تصل ثروته إلى 4000 آس أو (400 دراخما) من الفقراء، كان يتم استدعاؤهم إلى البحرية عند الحاجة⁽⁴⁾، غير أن ماريوس ألغى الانضمام إلى الجيش بناءً على الثروة الخاضعة للضريبة فوجد الجميع بما فيهم العبيد⁽⁵⁾، كأهم إصلاحات عسكرية حدثت في العصر الجمهوري، حيث تغير الجيش شكلاً ومضموناً، ونتج عن ذلك رفض الأثرياء الخدمة إلى جانب الفقراء الأمر الذي دفع ماريوس إجبارهم على الالتحاق بصفوف الجند⁽⁶⁾.

اعتبر الفقراء الجيش باباً لكسب الرزق، فلم يعد الجنود في خدمة الدولة بل في خدمة قائد الجيش الذي أغدق عليهم الأموال⁽⁷⁾. ويعلق ساليستيوس على قرار ماريوس هذا بأنه رأى في الفقراء قوة بشرية تستطيع التضحية من أجل المال الذي لا تملكه⁽⁸⁾. وربما لم يكن هذا هو الدافع الحقيقي من وراء ذلك الإصلاح، فمع تزايد فقر المواطنين الرومان والإيطاليين البسطاء، انخفض عدد الجنود الذين يمكن حشدهم. كما تسبب زيادة الحملات العسكرية وإطالة مدتها أيضاً في

(1) - رزق الله أيوب، المرجع السابق، ص 60.

(2) - Kochom (G), More than a Maniple is too Much The Manipular formation used by Republican Roman Armies (circa 218 -168 BCE), University of Wisconsin, 2010, p 4.

(3) - Rawlings (L), « Army and Battle during Conquest of Italy (350-264 BC) » in : Erdkamp (P), A Companion to the Roman Army, Blackwell Publishing Ltd, 2007, p55.

(4) - Polybe, Histoires, VI, 19, trad. Waltz (P), Garnier, T.2, Paris, 1921.

(5) - Plutarque, Vie de Marius, 9. ; Valère Maxime, Des faits et des paroles mémorables, II, 3. ; Salluste, Guerre de Jugurtha, 86, trad. Richard, Garnier, paris, 1933.

(6) - Ibid, 85.

(7) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), M.A.R., (de l'organisation militaire), op cit, pp 142-143.

(8) - Salluste, Guerre de Jugurtha, 86.

أزمة ديموغرافية؛ فالأجيال الجديدة أقل عددًا من الأجيال السابقة، مما يعرض تنظيم الخدمة العسكرية للخطر مرة أخرى⁽¹⁾.

بقدر ما كان هذا الإصلاح إيجابيا رفع من خلاله ماريوس عدد الجيش الروماني إلا أنه كان له انعكاسات سلبية؛ إذ يرى آبيانوس أن ذلك أدى إلى إفساد طبيعة الجيش وانضباطه العسكري وأصبح الجنود أداة في يد قائدهم لا في يد الدولة ويسلطهم على أعدائه لا على أعداء الدولة، وأن القادة العسكريين علموا أن سلطتهم على جنودهم تعتمد على الهدايا لا على القانون⁽²⁾.

بهذا الشكل أسس ماريوس لجيش الأشخاص لا جيش الدولة. والحقيقة أن إصلاحاته العسكرية جعلت من الجيش الروماني جيشا محترفا⁽³⁾، وتم التركيز على الجانب الأدائي والمهاري لدى الجنود فضلا عن الانضباط، وفي هذا السياق يقول فيجيتيوس (*Vegetius*) "إن فن الحرب فوق القوة، وإذا ما استغنيا عن التدريب والانضباط فلن نستطيع حينئذ التمييز بين الجندي والفلاح." ⁽⁴⁾.

عمل ماريوس أيضا على تحديد مدة الخدمة العسكرية فجعلها ستة عشر سنة⁽⁵⁾، غير أن الجنود استمروا في بعض الأحيان بتأدية مهام عسكرية ضمن فيالق خاصة بقداماء المحاربين (*Evocatii*) ليس بشكل قانوني ولكن بتأجير أنفسهم⁽⁶⁾. لذلك عمل القادة الرومان على تفريق ألك الجنود المسرحين في المستعمرات وأغدقوا عليهم الأموال والأراضي⁽⁷⁾ حرصا منهما كيما يأمنوا عدم استغلالهم كقوة بشرية يتم توظيفها ضدهم.

(1) - Clavé (Y), Teyssier (É), op cit, p73.

(2) - Appien, Guerres civiles, V, 17.

(3) - Clavé (Y), Teyssier (É) , Loc cit.

(4) - Végèce, De l'art militaire, II, 22, trad. Develay (V), Paris, 1859.

(5) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p146.

(6) - Appien, Guerres civiles, II, 120.

(7) - Appien, Guerres civiles, V, 129.

ساهم قانون يوليا (*Lex Julia*)⁽¹⁾ سنة 90 ق.م وقانون باييريا (*Lex Plutia Papiria*)⁽²⁾ في السنة الموالية في زيادة تعداد الجيوش الرومانية بعد أن منحا حقوق المواطنة الرومانية للشعوب الإيطالية، ففتح الباب أمام آلاف المجندين من كامل إيطاليا، وأصبح الجيش يتألف من الفيالق النظامية ومن الفيالق المساعدة التي يتم استقدامها من المقاطعات أو من الشعوب الحليفة (*Socii*)⁽³⁾.

بدءا من الحروب الأهلية أصبحت طبقة المعدومين تشكل جزءا من الجيش النظامي⁽⁴⁾، كما استقدمت فئة المحررين (*libertini*) إلى الجيش البري⁽⁵⁾ بعد أن كان مجال عملها ضمن الأسطول حصرا، بالإضافة إلى تشكيل وحدات من المقاطعات (*legiones vernaculae*) قدمت لجنودها حقوق المواطنة⁽⁶⁾، فضلا عن تجنيد وحدات خاصة من المصارعين (*gladiatores*)⁽⁷⁾ وتجنيد العبيد في وحدات أخرى (*Bardylaei*)⁽⁸⁾ بعد تقديم الوعود بتحريرهم⁽⁹⁾.

(1) - *Lex Julia*: هو قانون تقدم به يوليوس قيصر سنة 90 ق.م ويهدف إلى منح حقوق المواطنة الرومانية إلى الشعوب الإيطالية

التي لم تحمل السلاح ضد روما، ويتضمن مشروع القانون الحماية والقدرة على التصويت ضمن عشرة قبائل جديدة تصوت بصفة منتظمة.

Duncan (M), the Storm before the storm (the beginning of the end of the Romain Republic), Public Affairs, New York, 2017, p153.

(2) - *Lex Papiria*: هو قانون تقدم به كاربو الصغير ، وهو قانون يوسع صلاحية القانون السابق فيقضي بمنح المواطنة

للإيطاليين بما فيهم من لا يزال يحمل السلاح ضد روما.. Duncan (M), op cit, p153.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), , op cit, p143.

(4) - Ibid, p144.

(5) - Appien, Guerres civiles, I, 49.

(6) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p145.

(7) - Appien, Guerres civiles, III, 49.

(8) - Plutarque, Vie de Marius, 43.

(9) - Plutarque, Vie de Sylla, 9.

ساهمت الحروب الأهلية التي عرفتها روما بقدر كبير في تحسين الجيش سواءً من حيث الجانب التنظيمي أو من حيث الكفاءة والأداء، فقد اجتهد القادة في ادخال الاصلاحات المتتابة، بل إنهم أدخلوا تعديلات على الجيش بزيادة عدد المجندين دون تشريع قانوني لذلك⁽¹⁾.

من بين الإصلاحات الهامة أيضا أواخر العهد الجمهوري هو هيكلة الجيش من الناحية التكتيكية حيث أصبح الفيلق مكونا من عشر كتائب (Cohortes) كل كتيبة تتضمن ثلاثة وحدات مانيبولا (manipule) وكل واحدة من هذه الأخيرة تحتوي على ككتوريتين (centuries) أي ستون ككتوريا موزعة على ثلاثين مانيبولا⁽²⁾، وتضم كتائب الفيلق (Cohortes) خليطا متجانسا من الجنود هاستاتي (hastati) و برانكيس (principes) وترياري (triarii) وفيليتس (velites) مع الحفاظ على الفروق في الرتب والألقاب⁽³⁾.

يمكن اعتبار الإصلاحات العسكرية التي طرأت على الجيش الروماني في مرحلة العهد الجمهوري وخاصة الفترة الوسطى والأخيرة منه؛ بمثابة نقطة التحول في الفكر العسكري الروماني، حيث زاد الاهتمام بالجيش باعتباره أداة توسع وحماية بعد أن كان أداة حماية فقط، كما زادت الحروب البونيقية جيش روما خبرة وقوة بما تم اصلاحه من نقاط ضعف فيه، ومع الحروب الأهلية أصبح الجيش أكثر تنظيما وقوة، لكن ومع ذلك استمرت الاصلاحات العسكرية مع قيام الإمبراطورية، والتي لا يعنينا منها هاهنا إلا ما يدخل منها ضمن الإطار الزمني المحدد لهذه الدراسة.

(1) - Appien, Guerres civiles, I, 2.

(2) - Aulu-Gelle, Nuits Attiques, XVI, 4, 6, trad. Charpentier (M), Blanchet (M), Garnier, T.2, Paris, 1920.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p147.

3- الجيش الروماني مع قيام الإمبراطورية:

كان من تبعات الحروب الأهلية في روما أن زاد تعداد الجيوش بشكل كبير، فقد خلف قيصر عند موته جيشا تجاوز قوامه أربعين فيلقا (*Légion*)⁽¹⁾، ويحصى لنا آبيانوس ثلاثة وأربعين فيلقا حينما تم اتفاق مودينا بين الثلاثي أوكتاف وأنطونيوس وليبيدوس⁽²⁾، احتفظ هذا الأخير بثلاثة فيالق منها لتأمين روما، فيما اقتسم القائدان أربعين فيلقا بالتساوي بينهما⁽³⁾.

رغم العدد الضخم الذي بلغته القوات الرومانية إلا أن ذلك لم يمنع من مضاعفته من طرف القادة المتنازعين على السلطة، فجدد كل واحد منهم على حدى أعدادا جديدة لتعزيز فرص النصر، وفي هذا السياق يحصى لنا بوتارخ⁽⁴⁾ في معركة آكتيوم سنة 31 ق.م مائتي ألف جندي من المشاة واثنى عشرة ألف فارس كونت جيش أنطونيوس، فيما اشتملت قوات أوكتافيوس ثمانين ألف جندي من المشاة وعدد مماثل لنظيره من الفرسان، وهو تعداد قومه بعض الباحثين بأكثر من خمسين فيلقا لأوكتافيوس وحده دون أن يشمل ذلك قوات الحلفاء والجنود الموجودين في المقاطعات الرومانية⁽⁵⁾.

بعد نهاية الحروب الأهلية قام أوغسطس بحل عديد الجيوش وأعاد ترتيب القوات النظامية شارطا صفة المواطنة الرومانية في المنتمين إليها⁽⁶⁾، وتم تقليص عدد الفيالق بدمج بعضها ببعض وتم تسميتها بأرقام، فتم دمج ثلاثة فيالق تحت رقم (III) فيما تضمن كل رقم من الأرقام التالية

(1) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p160.

(2) - Appien, Guerres civiles, V, 6.

(3) - Ibid, IV, 3.

(4) - Plutarque, Vie d'Antoine, 61.

(5) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), Loc cit, p161.

(6) - المحجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص 109

(IV, V, VI, X) فيلقين اثنين⁽¹⁾ وقد وصل تعداد الفيالق النظامية سنة 23م أي بعد وفاة أغسطس⁽²⁾ بتسع سنوات إلى 25 فيلقاً⁽³⁾ كان اثنان منها في إفريقيا البروقنصلية⁽⁴⁾.

لم يبق تعداد الفيالق على هذا القدر، فقد عمل خلفاء أغسطس بعده على إجراء إصلاحات مست عدد الفيالق، وذلك بعدما أضاف الإمبراطور كلوديوس فيلقين هما فيلق برمييجينا الخامس عشر (XV Primigenia) وفيلق برمييجينا الثاني والعشرون (XXII Primigenia) بالإضافة إلى فيلق ماكريانا الأول (I Macriana) والذي لم يستمر طويلاً⁽⁵⁾، كما أنشأ الإمبراطور نيرون فيلق إيطاليكا الأول (I Italica)⁽⁶⁾.

اهتم أغسطس بتنظيم عملية التجنيد، ووضع شروطاً لها، ولم تعد الخدمة العسكرية إلزامية بالشكل الذي كانت عليه أيام الجمهورية، فقد أصبح التجنيد عقداً بين الدولة والمواطن الراغب في الالتحاق بصفوف جيشها، إذ يلتزم بقدر معين من السنوات يقضيها في خدمتها وتلتزم هي من جانبها بأن تقدم له مايكفل عيشه بعد التقاعد، مبلغ من المال وقطعة أرض⁽⁷⁾. كما أصبحت عملية التوظيف السنوي في الجيش تُعنى فقط بسد النقص العددي الذي يعترى الفيالق أو الكتائب وتعويض القتلى أو المسرحين⁽⁸⁾.

(1) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p162.

(2) - يذكر ديون كاسيوس أن عدد الفيالق زمن أغسطس كان يتراوح ما بين 23 و 25 فيلقاً، وهذا يوحي بأن عدد الفيالق النظامية لم يتقلص بعد تسع سنوات من وفاته. Dion Cassius, Histoire romaine, LV, 21, trad. GROS (E), T.7, Firmin Didot, Paris, 1865.

(3) - توزعت هذه الفرق على النحو التالي: ثمانية فيالق بالقرب من نهر الراين، فيلقان في إفريقيا وفيلقان في مصر، أربعة فيالق للإقليم الممتد من نهر الفرات حتى سوريا، فيلقان في بانونيا، فيلقان في ميسي (Mésie)، فيلقان في دالماتيا وثلاث فيالق في روما، يضاف إليها تسعة فيالق بريتورية. Tacite, Annales, IV, 5, trad. Burnouf (J.L), Paris, 1859.

(4) - Ibid.

(5) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p166.

(6) - Dion Cassius, Histoire romaine, LV, 24.

(7) - Dion Cassius, Histoire romaine, LIV, 25.

(8) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p279.

أما ما تعلق بتنظيم الفيلق وتعدادده فقد كان يتراوح ما بين 5000 و6000 جندي، مقسم إلى عشر كتائب⁽¹⁾، كما تضمن كامل الفيلق ستين كنتوريا في عهد الإمبراطور تيبيريوس⁽²⁾ لذا من المرجح أن يكون نفس الأمر على عهد أوغسطس.

جرى أواخر فترة الجمهورية على يد ماريوس ثم قيصر فيما بعد فصل سلاح الفرسان عن الكتائب النظامية وجعله منفصلا عنهم⁽³⁾، إلا أنه أعيد دمج وحدات الفرسان في كل فيلق مع الإمبراطورية، فاشتمل على 120 فارس أو أربع وحدات صغيرة⁽⁴⁾ (Trume)⁽⁵⁾.

شملت إصلاحات العهد الإمبراطوري العسكرية الحرس الإمبراطوري أيضا، فقد أولاه أوغسطس أولوية هامة نظرا للمهمة المسندة إليه وهي حماية الإمبراطور، لذلك فقد أعلى أجرهم⁽⁶⁾ وأشرف على تشكيل فيالق الحرس البرائتوري بنفسه واستمر ذلك لخلفائه⁽⁷⁾، كما أعاد توزيعها فاحتفظ بثلاثة فيالق في روما لتأمين القصر الإمبراطوري وفَرَّقَ الفيالق المتبقية على المدن المجاورة⁽⁸⁾، ثم أعيد تجميع تلك الفيالق في عهد الإمبراطور تيبيريوس في ثكنة خاصة بهم⁽⁹⁾.

إلى جانب قوات الحرس الإمبراطوري استحدث أوغسطس تشكيلات أمنية جديدة سميت بالفيالق الحضرية (cohortibus urbanis) أسندت قيادتها إلى بريفيكтус حضري (praefectus urbi)، وعمل الإمبراطور تيبيريوس ومن بعده على تنظيمها بشكل أكبر⁽¹⁰⁾، حيث بلغ عددها

(1) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p174.

(2) - Tacite, Annales, I, 32.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p175.

(4) - Ibid, p176.

(5) - Trume : وحدة صغيرة من الجنود الخيالة تتألف من حوالي 30 فارس.

(6) - Dion Cassius, Histoire romaine, LIII, 11.

(7) - Tacite, Annales, I, 7, 5.

(8) - Suétone, Vie des Césars, Auguste, 11, 2.

(9) - Tacite, Annales, IV, 2.

(10) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p207.

ثلاثة فيالق في فترة أوغسطس وتييريوس⁽¹⁾ وأربعة في عهد الإمبراطور كاليغولا⁽²⁾. وقد أسس أوغسطس فضلا عن الفيالق الحضرية سلكا أمنيا آخر هو بمثابة شرطة للمدينة (*cohortes vigilum*) مهمتها إلقاء القبض على اللصوص يشرف على قيادتها (*praefectus vigilum*) من سلك الفرسان (*équestre*)، وهي جزء من الفيالق النظامية البريتورية أو الحضرية⁽³⁾.

بعدما كانت القوات المساعدة تشتمل على جيوش الحلفاء أو الدعم الذي يقدمه الملوك والشعوب الصديقة؛ أصبحت القوات في عهد أوغسطس تتضمن جيوش المقاطعات متألفة من "الغرباء" أو مواطنين رومان⁽⁴⁾.

حافظت بعض الوظائف العسكرية على مهامها المكلفة بها خلال الفترة الجمهورية، ومن ذلك وظائف الترابنة العسكريون (*tribuni militum , tribuni legionis, tribuni militum*) *legionis* (5) غير أنهم أصبحوا يتلقون الأوامر المباشرة من المفوض العسكري للفيلق (*legatus legionis*)، فيما انتقلت بعض الصلاحيات المخولة لهم إلى ضابط مستحدث تخضع له شؤون المعسكر (*praefectus castrorum*)⁽⁶⁾.

(1) - Tacite, Annales, IV, 5.

(2) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p207, note 5.

(3) - Ibid, p210.

(4) - Ibid, p183.

(5) - من صلاحياتهم فرض الانضباط على الجنود والوقوف على عمليات التدريب وتفقد الجنود ومراقبة مؤونة الحبوب

واستقبال شكاوي الجنود. MACER, Military Law, book 1, in The Digest of Justinian, XLIX, 16, 12,2, trad. WATSON (A), V.4, University of Pennsylvania Press, 1998.

(6) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p180.

II- إسناد قيادة جيش إفريقيا البروقنصلية:

قد سبقت الإشارة إلى أن البروقنصلية ألحقت بإدارة مجلس الشيوخ فأصبحت غير متصلة بالإمبراطور مباشرة، إذ تم تصنيفها كولاية غير ثائرة أو سائرة في طريق "الحضارة الرومانية" ولا تستدعي الحضور العسكري الواسع فيها لقلة الاضطرابات بها، ومع هذا فوجود الجيش ولو بصفة قليلة أمر لا بد منه لبعض الحاجات الضرورية كتأمين حدود المقاطعة أو حماية الموظفين الرومان ومتطلبات أخرى تنظيمية.

1- البروقنصل القائد الأعلى للجيش:

كان التنظيم العسكري الروماني المعمول به في الولايات منذ سنة 27 ق.م يقضي بجعل قائد عسكري لقوات الإمبراطور كمندوب (*Legatus*) عنه في الولايات الإمبراطورية ويحكمها نيابة عنه⁽¹⁾، وذلك للحاجة الملحة في ذلك من حيث فرض الأمن. إذ كانت ولايات مضطربة الأوضاع وغير مستقرة نتيجة التمردات والثورات التي كان يفتعلها الأهالي، وهكذا فإن معظم الجيش الروماني كان يعسكر في الولايات الإمبراطورية التابعة لأوغسطس لتصبح تحت سيطرته وتصرفه⁽²⁾.

في سنة 25 ق.م جعل الإمبراطور الفيلق الثالث الأغسطي داخل المقاطعة بعد أن أصبحت أجزاء من نوميديا الشرقية تابعة لها⁽³⁾. إلا أن القيادة العليا لجيش المقاطعة بقيت في يد البروقنصل بصفته الحاكم الأول للمقاطعة يعمل تحت قيادته في ذلك المفوض العسكري.

(1) - مها محمد السيد، الحصون والتحصينات الدفاعية في شمال إفريقيا في العصر الروماني، الحضرة للطباعة، ط.1، مصر، 2008، ص11.

(2) - نفسه، ص10.

(3) - المرشد إلى آثار لبدّة الكبرى، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، ليبيا، 1967، ص19.

لسنا نعرف بالضبط السبب الذي جعل الإمبراطور أوغسطس يمنح حاكم إفريقيا البروقنصلية هذا الامتياز دون غيرها من المقاطعات السيناتوربة، وقد ذهب المؤرخ بواسيار (G. Boissière) ⁽¹⁾ إلى أن ذلك تعبير من أوغسطس على احترامه لمجلس الشيوخ وتقديره له!. يظهر من هذه الفرضية محاولة غير مقنعة لتفسير وضع المقاطعة، فلو أراد تفسير سبب تقسيم حكم الإمبراطورية بين المجلس والإمبراطور بأنه تعبير عن الاحترام للمجلس وللجمهورية وقوانينها، إذ أن عدم الاستبداد بالحكم هو احترام للدولة ومؤسساتها؛ لكان مقبولا وهو نفس مذهب إليه منوتسكيو ⁽²⁾. لكن تعليل وضع إداري خاص بمقاطعة دون غيرها ينبغي تفسيره بخلفيات سياسية أو بمقتضيات إدارية وعسكرية لا اختصاره في معنى الاحترام والتقدير.

يمكننا أن نعلل سبب هذا الإمتياز بأن وضع المقاطعة الاجتماعي والعسكري يسمح بالاستغناء عن قوة عسكرية كبيرة تستدعي حفظ الأمن فيها، باعتبار أن جزءا كبيرا منها تم احتلاله منذ سنة 146 ق.م فترسخت فيه الرومنة بعمق، لكن ومع ذلك فقد بقيت الحدود الغربية والجنوبية مهددة دائما بتحركات الأهالي الذين استعصوا على السياسة الرومانية وبقوا خارج نطاق سلطتها، فاستدعى ذلك وجود فيلق يُعتمد عيه وقت الحاجة، ولكي لا ينشأ تداخل في الصلاحيات بين حاكم المقاطعة وقائد الجيش تم منح الاشراف على القوات إلى البروقنصل.

استمر الوضع على ما هو عليه إلى أن أمر الإمبراطور كاليقولا بتجريد البروقنصل من قيادة الجيش، وذلك سنة 37 م وإسناده إلى مفوض عسكري (Legatus Augusti) - مستقل عن البروقنصل - ، وكان ذلك في فترة البروقنصل سيلانوس (J.Silanus) مثلما أخبر به المؤرخ تاكيت ⁽³⁾. فاكتفى البروقنصل منذ ذلك التاريخ بمفوضين اثنين بدلا من ثلاثة كما في السابق

(1) - Boissière (G), L'Algérie Romaine, Librairie Hachette Et Cie, 2émeéd., T.1, Paris, p234.

(2) - منوتسكيو، المرجع السابق، ص 123.

(3) - Tacite, Histoires, IV, 48.

واضطلع بالمهام المدنية، بينما أسندت المهام العسكرية وتأمين الحدود الغربية للمقاطعة إلى مفوض الإمبراطور، ورغم بقاء سلطة إدارة المقاطعة العليا في يد البروقنصل فقد كانت سلطة المفوض الإمبراطوري وجيشه سلطة واسعة خاصة في غرب المقاطعة، وتعدت حفظ الأمن إلى إنشاء الطرقات وتعيين الحدود بين البلديات وتأسيس المستعمرات وتوزيع أراضيها على قدماء الجند⁽¹⁾.

تعددت افتراضات المؤرخين حول سبب عزل كاليغولا البروقنصل عن قيادة الجيش في مقاطعته لعدم وجود سبب واضح عن هذا القرار الذس فسره تاكيت بقلة الثقة⁽²⁾، حيث يرى الناصري أن الهدف من ذلك هو إدراك الإمبراطور لأهمية هذه المقاطعة وخطورة ترك الفرقة الثالثة الأغسطية تحت سلطة حاكمها فتم تعيين قائد لها مستقل عن البروقنصل ويتلقى أوامره مباشرة من الإمبراطور لفرض رقابة على حاكم المقاطعة⁽³⁾.

فيما يذهب آخرون إلى أن سبب ذلك هو خشية تمرد حكام المقاطعة والتفكير في الضغط على روما مستعملين قوة الجيش كوسيلة لذلك، أو بسبب إخفاق البروقنصل في القيادة العسكرية وإخفاقهم في افشال الثورات⁽⁴⁾، ويظهر لي أن سبب تغيير القيادة جاء كإصلاح قام به الإمبراطور كاليغولا في مقاطعة البروقنصلية والهدف منه هو تحييد مجلس الشيوخ وعدم ترك الجيش أداة بيده تدعم سلطته في مقابل سلطة الإمبراطور، وليس خلق سلطة تساوي وعدالة بين حاكم المقاطعة وقائد الجيش، فالمطلع على شخصية كاليغولا يدرك أن مثل هذا الإمبراطور بعيد كل البعد عن التفكير في أمور العدالة وأقرب مايكون إلى الإستبداد.

(1) - المحجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص ص 107-109.

(2) - Tacite, Histoires, IV, 48.

(3) - الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية لسياسي والحضاري، دار النهضة العربية، ط.2، مصر، 1991، ص 69.

(4) - بوخلف (فريد)، الجيش الروماني وهيئاته في المغرب القديم (من سنة 146 ق.م-40م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013، ص 22.

2- قادة الفيلق من 27 ق.م إلى 37م:

سبقت الإشارة إلى أن قيادة الفيلق الثالث الأوغسطي مرت بمرحلتين تميزت الأولى منها بقيادة البروقنصل كامتياز خاص بحكام البروقنصلية دون غيرها من المقاطعات السيناتورية، واستمر ذلك إلى سنة 37م حيث تبدأ المرحلة الثانية التي قاد فيها الجيش وكلاء الإمبراطور بعد أن سحب كاليغولا قيادة جيش مقاطعة إفريقيا من حاكمها وألحقه به⁽¹⁾.

خضعت قيادة جيش الروقنصلية في الفترة الممتدة من إنشاء مقاطعة إفريقيا البروقنصلية إلى فترة حكم الإمبراطور كاليغولا (27 ق.م إلى حوالي 37م)؛ خضعت إلى سلطة البروقنصل مباشرة، تولى خلالها حوالي ثمانية وعشرون بروقنصلا الاشراف المباشر على جيش المقاطعة، والجدول الموالي يوضح ذلك:

(1) - Tacite, Histoires, IV, 48.

المصدر	سنة الحكم	البروقنصل	
Pallu De Lessert (A.C), op cit,p66 Tissot (Ch.), op cit, p34.	29ق.م-28 ق.م	<i>L. AUTRONIUS PAETUS</i> ل. أترونوس بايتوس	01
Le Bohec (Y), la 3 L, p123.	25 ق.م	<i>M. ACILIUS GLABRIO</i> م. أكيليوس غلابريو	02
Tissot (Ch.), op cit, p38. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p69	22ق.م-21ق.م	<i>L. SEMPRONIUS ATRATINUS</i> ل. سمپرونوس أتراتينوس	03
Tissot (Ch.), op cit, p38. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p70	20ق.م-19ق.م	<i>L. CORNELIUS BALBUS MINOR</i> ل. كورنيليوس بالبوس الصغير	04
Tissot (Ch.), op cit, p40.	14-13ق.م	<i>C. SENTIUS SATURNINUS</i> ك. سينتيوس ساتورنينوس	05
CIL, VIII, 1180. Pallu De Lessert (A.C), op cit, p76.	12ق.م؟	<i>L.DOMITIUS AHENOBARBUS</i> ل. دوميتيوس أهنوباربوس	06
Le Bohec (Y), la 3 L, p123.	9 ق.م-8 ق.م	<i>M. LICINIUS CRASSUS FRUGI</i> م. ليكينوس كراسوس	07
Tissot (Ch.), op cit, p41. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p80	7 ق.م	<i>P. QUINCTILIUS VARUS</i> ك. كوينكتيلوس فاروس	08
Tissot (Ch.), op cit, p42. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p81	6ق.م	<i>L. VOLUSIUS SATURNINUS</i> ل. يولوسيوس ساتورنينوس	09
Tissot (Ch.), op cit, p43. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p83	5ق.م	<i>Q. FABIUS. MAXIMUS AFRICANUS</i> فابيوس ماكسيموس أفريكانوس	10
Tissot (Ch.), op cit, p44. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p85	1ق.م-1م	<i>CN. CALPURNIUS PISO</i> كالبورنيوس بيزو	11
Tissot (Ch.), op cit, p44 Pallu De Lessert (A.C), op cit,p86.	3م	<i>L. PASSIENUS RUFUS</i> ل. باسينيوس روفوس	12
Tissot (Ch.), op cit, p45. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p87	3م-4م	<i>L. CORNELIUS LENTULUS</i> كورنيليوس لونتولوس	13
Tissot (Ch.), op cit, p46. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p88	6م أو 5م	<i>CN. CORNELIUS LENTULUS COSSUS</i> كونيليوس لونتولوس كوسوس	14
Tissot (Ch.), op cit, p47. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p93	14م-15م	<i>L. NONIUS ASPRENAS</i> ل. نونيوس أسبرناس	15
Tissot (Ch.), op cit, p49. Pallu De Lessert (A.C),	15م-17م 15م-16م	<i>L. AELIUS LAMIA</i> ل. أيليوس لاميا	16

op cit,p97			
Le Bohec (Y), la 3 L, p124..	17م-16م	<i>A. VIBIUS HABITUS</i> ويبيوس هابيتوس	17
Tissot (Ch.), op cit, p50. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p100	18م-17م	<i>M. FURIUS CAMILLUS</i> م. فوريوس كاميلوس	18
Tissot (Ch.), op cit, p50. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p101	21م-18م	<i>L. APRONIUS</i> ل. أبرونيوس	19
Tissot (Ch.), op cit, p52. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p105	23م-21م	<i>Q. IUNIUS BLAESUS</i> ك. يونيوس بلايسوس	20
Tissot (Ch.), op cit, p52. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p109	24م-23م	<i>P. CORNELIUS DOLABELLA</i> كورنيليوس دولابيلا	21
Tissot (Ch.), op cit, p53. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p112	29م-27م	<i>G. VIBIUS MARSUS</i> ويبيوس مارسوس	22
Le Bohec (Y), la 3 L, p124.	31م	بروقنصل مجهول اسمه	23
Le Bohec (Y), la 3 L, p124.	35م-34م	<i>SER. CORNILIUS CETHEGUS</i> كورنيليوس كيثيريغوس	24
Le Bohec (Y), la 3 L, p124.	36م-35م	<i>RUBELLIUS BLANDUS</i> روبليوس بلاندوس	25
Tissot (Ch.), op cit, p56. Pallu De Lessert (A.C), op cit,p116	37م-30م؟ أو 38-33م	<i>M. IUNIUS SILANUS</i> م. يونيوس سيلانوس	26

جدول 5: البروقناصل قادة الجيش. (إنجاز الطالب)

من الأهمية بمكان الإشارة إلى البروقنصل سوليكيوس قالبا (*Sulpicius Galba*) الذي حكم المقاطعة مابين سنتي 44 و46م⁽¹⁾، أي بعد أن تم نزع صلاحية قيادة الجيش من البروقنصل، ورغم ذلك فقد أُعطيت له هذه الصلاحية كحالة استثنائية بعد أن نشأت الاضطرابات الناجمة عن غارات القبائل المحلية والانقسامات الداخلية⁽²⁾، يجعلنا هذا نعتقد بعدم كفاءة المفوضين العسكريين من جهة وقوة هجمات القبائل المحلية من جهة أخرى حتى دفعت بالسلطة الرومانية التعامل معها بإعادة إسناد الجيش إلى البروقنصل كما كان عليه الحال قبل حكم الإمبراطور كاليغولا. لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هنا هو إذا كان تعيين "قالبا" كبروقنصل بصلاحية قيادة الجيش وهذا لكفاءته الحربية دون شك؛ فلماذا لم يتم تعيينه مباشرة كمفوض عسكري يعمل تحت إمرته كامل الجيش؟ ، ربما يرجع ذلك إلى محاولة تجنب الصراع الذي يمكن أن يحدث بين المفوض العسكري والبروقنصل⁽³⁾!. ومهما يكن السبب وراء ذلك فإن مثل هذه الأحداث تبرز تجاوز السلطة الرومانية للقوانين التي تضعها، فقد تم التعيين خارج نظام الاقتراع (*Extra Sortem*)⁽⁴⁾ من جهة، ونقلت إلى البروقنصل قيادة الجيش من جهة أخرى.

(1) - Pallu De Lessert (A.C), op cit, p123.

(2) - Suétone, Vie des Douze Césars, Vie de Galba, 7.

(3) - Tacite, Histoires, IV, 48.

(4) - Suétone, Loc cit.

3- قادة الجيش من 37م إلى 68م :

تميزت هذه الفترة بتحييد قيادة الجيش وعزله عن البروقنصل ومنح كامل الصلاحيات العسكرية من قيادة الفيلق والوحدات المساعدة إلى مفوض عسكري تم تعيينه ابتداءً من طرف الإمبراطور كاليقولا، واستمر الأمر بعده.

حسب المصادر المتوفرة للتعرف على الشخصيات التي قادت الجيش في ولاية إفريقيا البروقنصلية بعد القرار الذي أصدره الإمبراطور كاليغولا؛ فإننا لا نستطيع التعرف إلا على ثلاثة شخصيات منهم، وهم : ويليوس باتركيلوس (*Velleius Paterculus*) و فاييوس فابيلوس (*Fabius Fabullus*) و كلوديوس ماكر (*Clodius Macer*)، وكلهم مفوضون إمبراطوريون خدموا بإفريقيا البروقنصلية نهاية حكم الأسرة اليوليوكلاودية.

- ويليوس باتركيلوس (*Velleius Paterculus*) :

تم التعرف على هذا المفوض عبر معلم ميلبي في الطريق الرابط بين روسيكادا وسيرتا⁽¹⁾، وقد استشكل على الباحثين أمر هذا المفوض من ناحيتين الأولى حول اشتباههم في كونه المؤرخ الروماني المعروف فيليوس باتركيلوس مؤلف كتاب التاريخ الروماني، والثانية كنتيجة للاستشكال الأول الذي وُلد بدوره ترددا في تأريخ فترة توليه مهامه بالمقاطعة.

إن ماينفي بقوة فرضية أن يكون هذا المفوض هو نفسه المؤرخ ويليوس هو أن هذا الأخير قد ذكر في كتابه التشريفات التي تحصل عليها⁽²⁾، ولم يذكر معها قيادته للفيلق الثالث الأوغسطي لا في إفريقيا ولا غيرها، وهو أمر لو حاز عليه لكان من أرفع المراتب التي لا يمكن أن يغفل عن

(1) -C. Velleio Paterculo leg(ato) Aug(usti) leg(ionis) III Aug(ustae), XXIX. CIL, VIII, 10311.

(2) - Velleius Paterculus, Histoire romaine, II, 124.

ذكرها والافتخار بها⁽¹⁾. فهل يمكن التخمين في أنه قاد الفيلق الأوغسطي بعد نشره لكتابه ؟
يجيب الباحث "بقار" عن هذا التساؤل بقوله أنه كان ليكتب هذا الإنجاز في جزء ثالث لكتابه
بعد توليه قيادة جيش إفريقيا⁽²⁾.

يعرض المؤرخ "بالو" النقاش حول المسألة باستفاضة، ثم ينتهي إلى افتراض أن هذا المفوض هو
حفيد المؤرخ ويليوس وأحد أبناء قنصل سنة 60م، ثم يفترض مجددا بنوع من التردد أن تأريخ قيادة
هذا المفوض للفيلق الثالث الأوغسطي يرجع لفترة حكم نيرون⁽³⁾.

من جهته حاول "كريستول" أن يناقش مسألة غياب لقب بروبريتور من النص الأثري لكونه
صيغة يستدل بها عن فصل صلاحيات البروقنصل عن المفوض الإمبراطوري، إذ أن غياب هذا
اللقب جعل بعض الباحثين يعتقد باستمرار سلطة البروقنصل على الجيش، فبين الباحث أن غياب
صيغة البرايتورية وُجدت في عدة نقائش حتى في فترات متأخرة عن قرار كاليغولا⁽⁴⁾.

– فابيوس فابيلوس (Fabius Fabullus) :

يشير "لوبهاك" إلى فابيوس في قائمة المفوضين التي أوردها بعلامة استفهام عن احتمالية كونه
مفوض إمبراطوري تولى قيادة جيش المقاطعة باستقلالية عن البروقنصل⁽⁵⁾، ويمكننا التعرف على
خدمته من خلال نص أثري يحمل مساره المهني، حيث ذكر فيه أنه قاد الفيلق الثالث الأوغسطي

(1) -Renier (M.L), Bulletin Mensuel de L'Académie des Inscriptions, Revue Archéologique, 6^{ème} Ann., v.30, 1875, p393.

(2) – بقار (أسامة)، الجيش الروماني في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا (27ق.م-303م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم،
جامعة الجزائر2، الجزائر، 2022، ص 256.

(3) – Pallu De Lessert (A.C), op cit, p318.

(4) – Christol (M) Une inscription du musée de Philippeville (Skikda) relative à l'aménagement de la route entre Rusicade et Cirta (CIL, VIII, 10311 et p. 2138) : Caius Velleius Paterculus, légat de l'empereur, Antiquités africaines, 49,2013, pp 22-25.

(5) - Le Bohec (Y), op cit, p124.

برتبة بروبريتور⁽¹⁾، واستنادا على رواية للمؤلف تاكيت تذكر قيادة هذا المفوض للفيلق الخامس المقدوني في أحداث سنة 69م⁽²⁾. يرى "بالو" أن النص الأثري الذي يخلد مسار فاييوس يجب أن يكون مؤرخا قبل السنة المذكورة لأنه ذكر توليه قيادة الفيلق الجرمانى الثالث عشر والفيلق الأوغسطينى الثالث فقط دون أن يذكر فيلق مقدونيا⁽³⁾. في هذا السياق نجد ملاحظة في هامش مقدمة سجل النقائش اللاتينية تشير إلى وجود خطأ في كتابة النقيشة وهو متعلق بترتيب المسار المهني للمفوض⁽⁴⁾.

ذهب بعض الباحثين إلى افتراض مطابقة بين المفوض المذكور هنا وجندي من الفيلق الخامس عشر المذكور عند بلوتارخ والذي تمكن من قتل الإمبراطور غالبا "... بعد عدة جروح أصيب بها في فخذه وذراعيه، ذبح حنجرة غالبا جندي من الفيلق الخامس عشر، والذي يسميه معظم المؤرخين كاموريوس؛. ويطلق عليه الآخرون اسم تيرينتيوس، أو أركاديوس، أو فاييوس فابولوس..."⁽⁵⁾.

في غياب الأدلة الواضحة على تأكيد تاريخ مفوضية فاييوس على جيش الولاية الإفريقية باستثناء الكتابة الأثرية التي تثبت بوضوح توليه قيادة الفيلق الثالث الأوغسطينى وصعوبة تأريخها، فقد رجح الباحثون أن تكون توليته لمهامه في فترة حكم الإمبراطور نيرون دون أن يتم ضبطها بتاريخ معين⁽⁶⁾.

- كلوديوس ماکر (Clodius Macer) :

(1) - M(arcus) Fabius Fabullus Trib(unus) Militum Leg(ionis) XIII. Gem(inae) Leg(atus) Aug(usti) Provinc(iae) Africae Pr(o) Pr(aetore) Leg(atus) Aug(usti) Leg(ionis) XIII. Gem(inae) Sacr(um) Nym(phis). Archiv für österreichische Geschichte, v.34, Wien, 1865, p256.

(2) - Tacite, Histoires, III, 14.

(3) - Pallu De Lessert (A.C), op cit, p313.

(4) - CIL, VIII, XVI, note 4.

(5) - Plutarque, Vie de Galba, 27.

(6) - Pallu De Lessert (A.C), Loc cit.

تولى كلوديوس ماكر قيادة الفيلق الثالث الأوغسطي سنة 68م أي في السنة الأخيرة من حكم الإمبراطور نيرون، وعلى عكس المفوضين السابقين الذكر لفإن المصادر التي تؤرخ لهذا المفوض عديدة سواءً من حيث إثبات مفوضيته أو من حيث الفترة التي تولى فيها قيادته للجيش، فقد كان على رأس الفيلق الثالث الأوغسطي ووحداته المساعدة⁽¹⁾.

إن ما جعل بعض المؤرخين القدامى كبلوتارخوس وتاكيوس⁽²⁾ يذكرون ماكر في مؤلفاتهم هو ارتباطه بالأحداث التي جرت نهاية سنة 68م، حيث قام بقيادة تمرد ضد الإمبراطور نيرون بعد أن تخلى عن تأييده له، ونظم فيلقا خاصا سماه فيلق ماركيانا الأول (*Legio I. Macriana*) وأراد الاستقلال بمقاطعة إفريقيا⁽³⁾، وبعد وفاة نيرون وجد ماكر الجو مهيئا أكثر للتمرد ووجد الفرصة سانحة أمامه خاصة وأن حركات التمرد كانت منتشرة في ربوع الإمبراطورية أشهرها التمرد الذي قاده فيرجينيوس روفوس (*Verginius Rufus*) في بلاد الغال، هذا الأخير كان تحت قيادته فيالق جرمانيا⁽⁴⁾. قام ماكر بخطوة استراتيجية في محاولة تمرده بأن سارع إلى موانئ قرطاجة واحتجز السفن المحملة بالقمح والتي كانت متوجهة إلى ميناء أوستيا في روما، وعن مخطط هذا المفوض فإن بواسييه يتحدث بثقة عن أن نية ماكر كانت تتجاوز الاستقلال بالبروقنصلية فهو حسبته كان يعلن نفسه إمبراطورا، أو كان يريد الرجوع بالدولة الرومانية إلى النظام الجمهوري، وهو ما لاحظته من إحدى عمالاته النقدية التي يظهر على أحد الوجهين منها امرأة ترتدي قلنسوة الحرية وصورة النسر وعبارة " *L. Clodi Macri S. C. senatus consulto*"⁽⁵⁾، فهل كان تمرده بهدف التخلص من سلطة الإمبراطور والدخول في سلطة مجلس الشيوخ؟. حسب ذات المؤرخ يشير

(1) – Masqueray (E), Bulletin de correspondance africaine 5ème Ann., Fasc.I-II, Imprimerie De L'association Ouvrière, P. Fontana Et Cie, Alger, 1886, p136 .

(2) - Plutarque, Vie de Galba, 7, 14 ; Tacite, Histoires, I, , 7, 37, 73.

(3) – Monthly Numismatic Circular, vol.XXIII, Piccadilly, London, 1915, p425.

(4) - Plutarque, Vie de Galba, 7 .

(5) - Boissière (G), op cit, pp305-306.

إسقاط لقب بروبراتور (المنسوب الإمبراطوري) وتعويضه باللقب السابق لحاكم المقاطعة فترة الجمهورية، وإسقاط إسم أوغسطس؛ ماهو إلا تعبير عن زوال الإمبراطورية في نظر ماكر⁽¹⁾.

في خضم هذه الأحداث السياسية تظهر لنا بوضوح الأهمية الاستراتيجية التي كانت عليها مقاطعة إفريقية البروقنصلية في تلك الفترة (وفي الفترات اللاحقة)، إذ أنه فضلا عن قرب المقاطعة جغرافيا من روما فإن ثراءها كان يسهل عملية التجنيد، وهو الأمر الذي يفسر كثرة المسكوكات التي ضربها ماكر، ومن جهة أخرى فقد استطاع أن يضغط على روما بأن هددتها في أمنها الغذائي بعد أن راح يمنع عنها إمدادات القمح⁽²⁾، ويدخلها في مجاعة⁽³⁾.

خلقت مسألة تأسيس ماكر لفيلق ماركيانا نقاشا بين الباحثين من جهة أصل الفيلق، أهو نفسه الفيلق الأوغسطي الثالث الذي كان يقوده أم هو فيلق مستحدث عن طريق التجنيد أم أنه مزيج من الفيلق النظامي والمجندين، فبواسيه يرى بأن فيلق ماركيانا ماهو إلا الفيلق الأوغسطي الثالث مع تغيير في الاسم فقط⁽⁴⁾، لأنه بعد مقتل ماكر قام غالبا بحل فيلق واحد فقط أعاد فيتيليوس تشكيله⁽⁵⁾. وأعاد له تسميته القديمة⁽⁶⁾. غير أن ما نجده عند تاكيت في موضع آخر يجعلنا نتمهل في قبول افتراض بواسيه، فالمؤرخ الروماني يذكر أنه عند مقتل ماكر كانت هناك "فيالق" "شهدت إفريقيا وفيالقها مصرع كلوديوس ماكر"⁽⁷⁾. فإن كان مانقله تاكيت دقيقا فالفيلق الذي قام بحله غالبا هو فيلق آخر ليس الفيلق الأوغسطي الثالث وأن ما أعاد فيتيليوس تنظيمه هو الفيلق الذي استحدثه ماكر (الماركيان).

(1) - Ibid, p483.

(2) - Plutarque, Vie de Galba, 7 .

(3) - Tacite, Histoires, I, 73.

(4) - Boissière (G), op cit, p483.

(5) - Tacite, Histoires, II, , 97.

(6) - Boissière (G), Loc cit, p484.

(7) - Tacite, Histoires, I, , 11.

يذهب الباحث "بقار" إلى كون الفيلق المسمى ماركيانا الأول للمحررين "فيلقا مستحدثا تم إنشاؤه عبر عمليات التجنيد من العنصر المحلي وقد غطى تكاليف مرتبات ألك الجنود عبر سك العملة⁽¹⁾. وهو الرأي الذي نميل إليه وترجحه القراءة الدقيقة لفقرات تاكيت.

. خلف كلوديوس ماكر العديد من العملات النقدية التي تحمل اسمه ومفوضيته على الفيلق الثالث الأوغسطي وكذلك سك عملة عليها اسم الفيلق الذي أنشأه بعد حركة تمرده⁽²⁾.

(1) – بقار (أسامة)، المرجع السابق، ص 263.

(2) - LEG I MAC. ; L. CLOD. MACRI . LIBERATRIX. ; MACRIANA. LIB. LEG. ; MACRIANA LIB LEG I. Akerman (H.Y), A Descriptive Catalogue Of Rare And Unedited Roman Coins, Vol.1, Effingham Wilson , Royal Exchange, London, 1834, pp167-168.

III- الفيلق الأوغسطي الثالث ودوره في المقاطعة:

إن البحث في تاريخ نشأة جيش مقاطعة إفريقيا بداية العهد الإمبراطوري مسألة استشكلت كثيرا على الباحثين إذا ما تم ربطها بالفيلق الثالث الأوغسطي، إذ لا يعرف على وجه التحديد التاريخ الذي تم فيه إنشاء هذا الفيلق العسكري⁽¹⁾.

1- نشأة الفيلق الأوغسطي الثالث:

يمكن تتبع الإشارات الدالة على وجود جيش روماني في المقاطعة منذ عهد قيصر وبعده أوكتافيوس أو حتى إلى فترة ماريوس إذا أردنا التدقيق أكثر، لكن مع اقتران المقاطعة عسكريا بالفيلق الثالث الأوغسطي فإن تضيق مجال البحث وفتوته وربطها بآخر الأحداث العسكرية قبل إعلان الإصلاح الإمبراطوري من طرف أوغسطس، وبأخذ الفترة التي يمكن للجندي أن يقضيها في خدمته العسكرية في عين الاعتبار؛ فإن سنة 36 ق.م تبدو أنسب تاريخ يبدأ الباحث منه تتبع إعادة تشكيل جيش المقاطعة؛ أين استقرت شؤون مقاطعتي إفريقيا لأوكتافيوس، فقبل هذا التاريخ بسنوات قليلة وإلى غاية أواخر سنة 37 ق.م كان تحت قيادة ليبيدوس في مقاطعتي إفريقيا جيش قوامه إثنان وعشرون فيلقا بالإضافة إلى الفرسان⁽²⁾، قاد إثنى عشر فيلقا منها إلى صقلية في نفس السنة حينما حاول الاستيلاء عليها⁽³⁾، ولأن أغلب جنوده تخلوا عنه وأعلنوا ولاءهم لأوكتافيوس فإن الخسائر التي طالت تعداد جيشه قليلة نسبيا. فهل نستطيع القول أن الفيلق الثالث الأوغسطي تكون ابتداءً من جيوش ليبيدوس؟. يصعب الجزم بالإجابة خاصة بعد عملية تنظيم الجيوش وحل عدة فيالق من طرف أوغسطس.

(1) - Halgan (C), op cit, p267.

(2) - Appien, Guerres civiles, V, 123.

(3) - Ibid, 98, 126.

تتجه افتراضات المؤرخين حول المسألة في نفس السياق وتدور في مجملها حول نفس الفرضية تقريبا، حيث يرى مومسن أن تأسيس هذا الفيالق يرجع ربما إلى قيصر أو إلى ابنه أوكتافيوس خلال الحروب الأهلية التي خاضها ضد أنطونيوس⁽¹⁾، وفي سياق متصل يميل فايغل (Fiegl) إلى أن تأسيس هذا الفيالق كان قبل إعلان قيام الإمبراطورية من طرف أوغسطس، أي فترة الحكم الثلاثي بين أوكتافيوس وأنطونيوس وليبيدوس والحروب الأهلية، ويناقش المسألة بالاستدلال على وجود ثلاث فيالق تحمل الرقم ثلاثة وهي إشارة إلى إنشائها فترة الحكم الثلاثي، ثم لما انفرد أوكتافيوس بالحكم وبعد تلقيه بأوغسطس أعطى لقبه لأحد تلك الفيالق التي ساندته في حروبه⁽²⁾. وحسب كانيا (Cagnat)⁽³⁾ فإن دعم هذا الفيالق له هو ما جعله يتلقب بلقبه.

من جهة أخرى يرى المؤرخ المختص في الدراسات العسكرية الرومانية لوبواك (Y.Le bohec)⁽⁴⁾ أن إشارات متواترة دلت على وجود عدة فيالق في مقاطعة إفريقيا منذ 19 ق.م، ويقترح سيم (R.Syme) وجود ثلاثة فيالق قبل ذلك التاريخ، واستمرت بعده إلى غاية سنة 6م إذا افترضنا أنه لم يغادر أحدها إلى إسبانيا سنة 19 ق.م ليبقى في إفريقيا بعد سنة 6م فيلقان أحدهما هو فيلق فولميناتا الثاني عشر (XII Fulminatae)⁽⁵⁾. والحقيقة أن وجود ثلاثة فيالق فترة أوغسطس أمر أنكرته نصوص المؤرخين الكلاسيكيين، فكل من تاكيت⁽⁶⁾ وديون كاسيوس⁽⁷⁾ لا يذكران وجود هذا العدد من الفيالق.

(1) - CIL, VIII, XIX.

(2) - Fiegl (M.M), Historia legionis III Augustae, Draeger, Berlin, 1882, pp7-8.

(3) - Cagnat (R), op cit, p140..

(4) - Le Bohec (Y), op cit, p340.

(5) - Syme (R), Some Notes on the Legions under Augustus, JRS, Vol.23, 1933, p25.

(6) - Tacite, Annales, IV, 5.

(7) - Dion Cassius, Histoire romaine, LV, 23.

يمكن اعتبار أن الفيلىق الثالث الأوغسطينى تم تشكيله بعد دمج عدة فيالق خلال عملية التنظيم العسكري التي قام بها الامبراطور أوغسطس مع سنة 27 ق.م⁽¹⁾، وأنه لم يكن معروفا قبل هذه السنة باسمه. غير أنه مامن دليل يعتمد عليه لتحديد التاريخ الفعلي لبداية وجود هذا الفيلىق في المقاطعة أو ما إذا تم تشكيله على أراضيها أو استقدم من مقاطعة أخرى.

2- تمرکز الفيلىق:

يرجع تاريخ أقدم إشارة دلت على تواجد هذا الفيلىق في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية إلى سنة 14م من خلال نقيشتان⁽²⁾ عثر على الأولى في قابس وعلى الثانية بين قفصة وقابس، من خلال أعمال شق طريق عسكري يربط المعسكرات الشتوية لتيفاست (*Théveste*) بمركزين استراتيجيين في أقصى الجنوب⁽³⁾.

استنادا على هذا؛ رجح الكثير من الباحثين أن معسكر الفيلىق الثالث الأوغسطينى كان في تيفاست أو بالقرب منها منذ بداية عهد تيبيريوس، حيث لم تسجل الكتابة تأليها لأوغسطس ولا تعيينا لاسم الإمبراطور تيبيريوس على الشكل المعتاد فيما بعد⁽⁴⁾، ويدعم مومسن هذا الافتراض وأن معسكر الفيلىق استمر بتيفاست إلى غاية الأسرة الفلافية على الأقل استنادا على معطيات أثرية أهمها النقيشتان التي سبق ذكرهما⁽⁵⁾، لكن شواهد أثرية وتاريخية أخرى جعلت بعض الباحثين يفترضون وجود المعسكر في مناطق غير تبسة، مثل ثالا (*Thala*) وحيدرة (*Ammaedara*) خاصة وأن تلك الشواهد أقدم تاريخيا⁽⁶⁾.

(1) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), op cit, p162.

(2) - CIL, VIII, 10018, 10023.

(3) - Halgan (C), op cit, p268.

(4) - Robert (Ch), Inscriptions antiques provenant de l'ancien Byzacium, Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, Libraire De La Société, Paris, 1878, p176.

(5) - CIL, VIII, Tacapis Capsam, p 860. ; CIL, VIII, XXI.

(6) - De Pachtère (F.G), Les camps de la troisième légion en Afrique au premier siècle de l'empire, C.R. Acad. Inscr., 60^e année, N. 3, 1916, p274.

يستند دوباشار (De Pachtère) في نفيه أن تكون تبسة مركزا للفيلق إلى أنها كانت على عهد تيبيريوس على الأقل جزءا من أراضي قبائل الموسولاميين، فمن غير الممكن التفكير في أن يقيم الرومان معسكر جيشهم في عمق أراضي عدوهم، ثم أن النقائش التي خلفها الفيلق في حيدرة أقدم تاريخا من التي خلفها في تبسة⁽¹⁾.

يرجح دوفال بثقة تركز الفيلق الأوغسطي الثالث في حيدرة منذ نهاية عهد أوغسطس، مستندا إلى أن الموقع الاستراتيجي للمنطقة لا يجعلنا نفكر في مكان آخر، بالإضافة إلى وجود مقبرة عسكرية ترجع إلى النصف الأول من القرن الأول الميلادي، والطريق الذي شقه الجيش بين حيدرة وقابس هو بمثابة دعم للنفوذ الروماني نحو الجنوب⁽²⁾. وهو نفس الاتجاه الذي تبناه الباحث "بجاوي" في مقال مشترك حيث يؤيد تركز الفيلق في حيدرة إلى غاية سنة 75م⁽³⁾.

بالاعتماد على دراسة الطرق والمعالم الملية يرى "سلاما" أن حيدرة كانت مقرا لتمرکز الجيش منذ سنة 6م⁽⁴⁾. في حين ترى الباحثة "روكا" أن سنة 6م تمثل تواجد الفيلق بمقاطعة البروقنصلية، وبعد معارك ضد الجيتولين والموسولاميين خرج فيها الجيش الروماني منتصرا بقيادة القنصل كورنيليوس لونتولوس (C.Cornelius Lentulus) نقل المقر من قرطاجة نحو الغرب إلى "سيدي علي مديوني" على بعد 8 كم من مكثر بشكل مؤقت، ليتحول مرة ثانية إلى حيدرة⁽⁵⁾.

(1) - De Pachtère (F.G), op cit, pp 277-278 .

(2) - N. Duval, Ammaedara, Ens.Ber., 4, 1986, p593 .

(3) - Baratte (F), Bejaoui (F), Les fortifications byzantines d'Ammaedara, C.-R. Acad. Inscr., 154e année, n°. 1, 2010, p,513.

(4) – Salama (P), Anomalies et aberrations rencontrées sur des inscriptions milliaires de la voie romaine Ammaedara - Capsa – Tacapes, Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, Bd. 149, 2004, p245.

(5) – Rocca (E), Le rôle de la III^e Légion Auguste dans l'aménagement du territoire et de la colonie d'Ammaedara (Haïdra), L'Africa Romana, 19, v.1, Carocci Editore, 2010, p566.

اعتمد الباحثون على تحليل عبارة وردت في خطاب الإمبراطور هادريان خلال زيارته للامبار سنة 128م حيث أنه تحدث عن تغيير معسكر الفيلق الأوغسطي الثالث مرتين وإنشاء معسكر جديد. وبهذا يكون تغيير المعسكر الأول حدث من حيدرة - في تونس حاليا - نحو تيفاست (تبسة حاليا) والثاني من تيفاست إلى لامبار⁽¹⁾. لكن أين تم إنشاء المعسكر الجديد الذي تحدث عنه هادريان ؟ يمكن افتراض أن قرطاجة كانت أول معسكر ثم نقل المعسكر للمرة الأولى نحو حيدرة وللمرة الثانية نحو تبسة ثم تم إنشاء المعسكر الجديد في لامبار .! فرضية مقبولة من حيث الطرح لكن الأدلة الأركيولوجية والحفريات المقامة في قرطاجة ومحيطها تجعل منها فرضية مستبعدة بشكل لا يُحتاج معه نقاش.

في دراسة قيمة له حول عمليات الكنترة المنجزة في القرن الأول الميلادي في إقليم قابس؛ قام "ديكرامر" رفقة مجموعة من الباحثين⁽²⁾ بكشف أثري هام في ضواحي منطقة "بلاد سقي" تضمن عمليات كنترة واسعة وعدة معالم ميلية، فلم يترك مجالا للشك بكون حيدرة هي المعسكر الأول للفيلق الأوغسطي الثالث. وفي دراسة حديثة للباحث "بقار أ."⁽³⁾ حول جيش إفريقيا البروقنصلية ناقش فيها بإسهاب معسكرات الفيلق وتبعها بدقة معتمدا على المعطيات الأثرية، خلص فيها كذلك إلى كون حيدرة ظلت معسكرا للفيلق الأوغسطي الثالث كامل فترة الأسرة اليوليوكلاودية، ولم ينزع عنها إلا مع سنة 75م.

(1) - Syme (R), Notes sur la légion IIIa Augusta, Revue des Études Anciennes, T. 38, n°2, 1936, p182 .

(2) - Decramer (L.R), and others, Approche géométrique des centuriations romaines. Les nouvelles bornes du Bled Segui, Histoire & Mesure, vol.17, n°1/2, Ehess, 2002, pp109-162.

(3) - بقار (أسامة)، المرجع السابق، ص ص 117-130.

3- دور الفيلق:

كان للجيش دور هام في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية حيث مثل أداة استباب الأمن وحفظ النظام بها، ورغم أن المقاطعات السيناتوروية لم يكن يترك بها قوام كبير من الجيش يصل إلى حجم الفيالق، سوى ما دعت الحاجة إليه كحفظ النظام العام، إلا أن إفريقيا البروقنصلية شذت عن غيرها من المقاطعات الخاضعة لمجلس الشيوخ، فمع أنها كانت ولاية مرومنة إلى حد بعيد إلا أن القبائل المحلية المتاخمة لحدودها الغربية والجنوب-غربية ظلت دائما مستعصية على الدخول في "السلم الروماني" ورفضت الخوع للقوانين الرومانية، فالاحتلال مهما صُيغ بأثواب الحضارة والسلم وغيرها يبقى في نظر الأمة المحتلة عدوا تجب مقاومته وينبغي صده .

وفي هذا العنصر من البحث سأحاول التطرق لدور الفيلق الأوغسطي الثالث في المقاطعة خلال الفترة الزمنية المدروسة، باختلاف تلك الأدوار مع التركيز على أهمها وهو التوسعات وإيقاف الثورات.

أ- إخماد الثورات ما بين 27 ق.م و 14م:

لم تستقر الأمور السياسية تماما لحاكم مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، فقد واجه العديد من البروقناصل ثورات القبائل المحلية ولعل أشدها وأشهرها ثورات الجيتول والموسولاميين⁽¹⁾، ونستطيع تتبع تلك الثورات من خلال سجل الانتصارات الكابيتولينية في روما وفي سجل الانتصارات الباربارينية، غير أن ذلك لا يتأتى بشكل دقيق ففي العديد من تلك التسجيلات لا نعثر على تسمية القبائل التي انتصر عليها البروقنصل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مثل هذه

(1) - يرى بن عبو (Bénabou) بأن الموسولاميين ليسوا مجرد قبائل منتشرة، بل شكلوا كنفدرالية كانت مدينة ثالا

(Thala) مجالا لها. Bénabou (M), La Résistance Africaine A la Romanisation, édition La

Découverte, Paris, 2005, p76.

التخليدات التي سجلها الرومان عن أنفسهم لا تخلد إلا انتصاراتهم ومن هنا قد يغيب عنا المعارك التي انهزم فيها الجيش الروماني.

خلد اسم بايتوس أول حاكم على البروقنصلية (بداية النظام الإمبراطوري) نتيجة انتصاره على قبائل نجهلها⁽¹⁾، وذلك سنة 28 ق.م، فإذا سلمنا بفرضية تركز الفيلق الأوفسطي الثالث في حيدرة ابتداءً من سنة 6م⁽²⁾ فيجعلنا هذا نعتقد بأن معسكر الفيلق لا يزال في هذه المرحلة في قرطاجة أو في هيبوريجيوس ربما، ويقودنا هذا الافتراض إلى أن انتصار البروقنصل كان ضد قبائل على تخوم المقاطعة الغربية أو في وسط المقاطعة نحو الجنوب.

تولى البروقنصل قائد الجيش أكيليوس غلابريو حملة حوالي سنة 25 ق.م توج على إثرها بالنصر وخلد اسمه في سجل المنتصرين⁽³⁾، وإن كانت القبائل التي حرك جيشه نحوها نجهل نطاقها، فالباحث "بقار" يرجح أن تكون على تخوم البروقنصلية من جهة الجنوب وإقليم طرابلس وصولاً عند جنوب كيرتا والأوراس حتى الغرب (الجزائري)⁽⁴⁾، ويبدو لي أن تحرك الفيلق أو حتى مفارز منه فقط نحو الغرب أمر يحتاج إلى مزيد من التثبت في قبوله، فإذا سلمنا بذلك يصبح ترك البروقنصلية مركز حكم الرومان في بلاد المغرب القديم دون جيش أو بعدد قليل منه والتحرك لمناطق بعيدة أمر فيه مغامرة خصوصاً وأن قبائل الجيتول والموسولام لم تتوقف تحرشاتها على تخوم المقاطعة.

لم تكد أمور المقاطعة تستقر حتى بدأت إغارات القبائل من جديد، وهذا ما نستشفه من قيادة القنصل سمرونيوس لحملة حوالي أكتوبر سنة 21م، بعد أن خلد اسمه في سجل الانتصارات الباربارينية⁽⁵⁾، غير أننا نجهل أيضاً تسمية القبائل التي أخضعها، فيما يرجح "بقار"⁽⁶⁾ أن تكون

(1) – CIL, I, p478.

(2) – Rocca (E), op cit, p566.

(3) – PIR, I, A. 71, 1933.

(4) – بقار (أسامة)، المرجع السابق، ص 662.

(5) – CIL, I, p478.

(6) – بقار (أسامة)، المرجع السابق، ص 662.

انتفاضة من طرف المور والجيتول ضد يوبا الثاني، ويميل " كولتلوني-ترانوي" إلى استبعاد فرضية قيام هذا البروقنصل بتدخل عسكري في موريطانيا لانتفاء الأدلة على ذلك، كما يرى أن هذه الحملات تبقى مجهولة من حيث كونها حملات هجومية أم دفاعية، حملات توغل وتوسع أم مجرد رد لهجمات القبائل المحلية⁽¹⁾.

بعد حوالي سنتين تحرك الفيلق الأوغسطي الثالث مجددا، هذه المرة بقيادة البروقنصل بالبوس حوالي سنة 20م، وعلى عكس الحملات السابقة فإن هذا التدخل العسكري يرويه لنا بلينيوس في كتابه الطبيعي، حيث جاء فيه : "...وعاصمة الجرمنتين (Garamates) ذائعة الشهرة جاراما (Garama)، جميع مناطقها أخضعها القوات الرومانية وانتصر عليها كورنيليوس بالبوس وهو الوحيد من بين جميع الأجانب الذي شُرف ومنح حق المواطنة..."⁽²⁾. في حين يذكر بلينيوس حملة بالبوس ويشير إلى سقوط عاصمتها جرمة، يفترض المؤرخ "ديزانج" (J. Desanges) أن حملة البروقنصل شملت أيضا صبراتة وغدامس (Cidamus) عاصمة فزان⁽³⁾ يذهب "ه. لوط" إلى أبعد من ذلك بكثير إذ يفترض أن الحملة تجاوزت طاسيلي ناجر وأهقار لتصل إلى غاية النيجر، يستغرب كامبس من طول المسافة المقطوعة وقصر المدة الزمنية (أقل من سنة) وعدم إشارة بلينيوس لمثل هذه الرحلة، ويُبقي مجال الحملة مفتوحا على بلاد الجرمنتين والغرامنت وبلاد الجيتول بين الجريد وجنوب الأوراس⁽⁴⁾، ويجعلها باحثون آخرون حتى الحضنة⁽⁵⁾.

بعد فترة من الاستقرار ميزت مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، سجل لنا فيليوس باتريكيلوس تكريم البروقنصل باسينوس روفوس عقب تحقيقه النصر في إفريقيا⁽⁶⁾، يحتمل أن يكون هذا النصر

(1) – Coltelloni-Trannoy (M), Le royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée (25 av. J.-C. - 40 ap. J.-C), Études d'Antiquités africaines, n°2, 1997, CNRS Edition, p48.

(2) – بلين الكبير، التاريخ الطبيعي، ك.5، 5، 36.

(3) – Desanges (J), Garamantes, Ens.Ber., 19, 1998, pp2969-2971.

(4) – Camps (G), Dasibari, Ens.Ber., 15, 1995, pp 2233-2234.

(5) – Troussset (P), and others, Fezzân, Ens.Ber., 18, 1997, pp 2777-2817.

(6) – Velleius Paterculus, Histoire romaine, II, 116.

قد حقق خلال فترة ولايته سنة 3م، لكن لا يُعلم على وجه التحديد المنطقة التي استهدفها حملته⁽¹⁾، غير أنه يمكننا أن نفترض بأن جيشه شارك في معارك كبيرة أو ضد تحالف للقبائل المحلية وذلك من خلال قراءة لقب "إمبراطور إفريقيا" (*Imperatore Africam*) في إحدى النقائش⁽²⁾. ويفترض "لوبوهاك" أن هذا الانتصار كان بلا شك ضد قبائل الغرامنت⁽³⁾.

عقب انتصار البروقنصل السابق لم ينجح كورنيليوس لونتوس بروقنصل سنة 4م في إخضاع قبائل الناسامون، وانتهى به الأمر مقتولا⁽⁴⁾. ويبدو أن القبائل تمكنت في العديد من المرات قتل القادة الرومان مثلما يرويهِ ديون كاسيوس عن قبائل الجيتول الراضين الانصياع للقوانين والسلطة الرومانية⁽⁵⁾.

تولى البروقنصل كوسوس كورنيليوس لونتوس قيادة الجيش سنة 5م⁽⁶⁾، واستطاع أن يعيد الانتصار إلى الرومان بعد مقتل البروقنصل كورنيليوس لونتوس، وقد سجل عدة مؤرخين انتصاره هذا في كتبهم، حيث نجد عند فيليوس : "...حصل باسيانوس وكوسوس اللذان اكتسبا شهرة بمزايا مختلفة، على نفس المكافأة"⁽⁷⁾. وعند فلوروس : "...لم تكن هناك حروب بقدر ما كانت متاعب. تم قمع ثورات الموسولاميين والجيتول، جيران (بلاد) السيرت ، من طرف كوسوس، الذي حصل على لقب المنتصر على الجيتول ... " ثم يضيف : "...عهد بمهمة إخضاع المرمايد والغرامنت إلى كيرينيوس الذي كان من الممكن أن يعود هو أيضا بلقب المنتصر على المرمايد لكن انتصاره كان بشكل أكثر تواضعًا."⁽⁸⁾ من هذه الإشارة نفهم أنه تم تنظيم حملتين

(1) – Tissot (Ch.), op cit, pp44-45.

(2) – CIL, VIII, 16456.

(3) – le Bohec (Y), op cit, p339.

(4) – Coltelloni-Trannoy (M), op cit, p52.

(5) – Dion Cassius, Histoire romaine, LV ; 28.

(6) - Pallu De Lessert (A.C), op cit, p88.

(7) – Velleius Paterculus, Histoire romaine, II, 116.

(8) – Florus, Histoire romaine, IV, 12.

يمكن أن تكونا متزامنتين إحداهما بقيادة البروقنصل ضد الموسولاميين والجيتول كان الانتصار فيها ساحقا للفيلق الأوغسطي الثالث، بينما وُجّهت الحملة الثانية بقيادة كيرينيوس نحو المرماريد والغرامنت بدرجة أقل، ولم تكن ناجحة إلى حد كبير.

بينما نجد عند ديون كاسيوس : "...غضب الجيتوليون من الملك جوبا، وازدراء طاعة الرومان فثاروا ضده ، ودمروا الأراضي المجاورة ، وقتلوا العديد من القادة الرومان الذين وقفوا في وجههم؛ باختصار، نمت قوتهم لدرجة أن خضوعهم أكسب كورنيليوس كوسوس نياشين الانتصار ولقب المنتصر.." (1).

من خلال النصوص الثلاثة نستخلص أن الأوضاع في هذه الفترة عرفت اضطرابا كبيرا تمثل في هجومات قبائل الموسولاميين والغرامنت والمارماريد وثورة الجيتول على يوبا الثاني، الأمر الذي استدعى جيش إفريقيا البروقنصلية لرد هذه الهجمات وإخماد ثورة الجيتول، وبذكر هذه القبائل يمكننا أن نتصور اتساع مساحة الإقليم الذي تدخل فيه الفيلق الثالث الأوغسطي إذ يمتد من السيرت الكبير شرقا إلى إقليم الحضنة غربا !.

بعد هذه الحملة الواسعة التي قام بها الجيش والتي حافظ من خلالها على حدود المقاطعة وأمنها من تحرشات القبائل وأخذ ثوراتهم؛ هدأت الأوضاع نسبيا، هدوء اندلعت بعده أكبر ثورة في فترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية.

ب- مواجهة ثورة تاكفاريناس:

لم يلبث حاكم البروقنصلية فوربوس فاميلوس المعين سنة 17م (2) في الأوضاع المستقرة حتى اندلعت في المقاطعة ثورة تاكفاريناس، وفي الحقيقة رغم أن بعض المؤرخين القدامى على غرار تاكيت تحدثوا بشكل عرضي عن هذه الثورة، إلا أننا لا نجد عندهم ذكرا لأسبابها، فتاكت وهو

(1) – Dion Cassius, Histoire romaine, LV ; 28.

(2) - Pallu De Lessert (A.C), op cit, p100.

أكثر من روى عنها لم يبين الأسباب المباشرة التي جعلت تاكفاريناس يقود ثورة ضد القوات الرومانية، حيث ينقل لنا: "في نفس السنة بدأت الحرب في إفريقيا ضد تاكفاريناس، كان نوميدياً، فاراً من الجيوش الرومانية، حيث عمل كمساعد، جمع في البداية فرقاً متجولة معتادة على السرقة من أجل الغنائم، من سرعان ما عرف كيفية تنظيمهم وترتيبهم تحت الراية وتوزيعهم. أخيراً، أصبح من زعيم المغامرين قائداً للموسولامين..."⁽¹⁾.

إذن لسنا نعرف السبب الذي جعل تاكفاريناس يترك صفوف الجيش الروماني ويفتح هذا المجال للافتراض، يستنتج "م.الهادي حارش" أن السبب وراء ذلك هو سياسة الرومان تجاه مواطنيه، إذ يشير بعض المؤرخين إلى عمليات توزيع الأراضي التي قام بها الإمبراطور أوغسطس ومن بعده خلفه تيبيريوس على النازحين من إيطاليا، وهي ربما الأراضي التي طالب تاكفاريناس بإرجاعها إلى أصحابها كشرط لإيقاف الثورة وتكون بالتالي هذه المشاريع الاستيطانية من بين الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة⁽²⁾. ويؤيد فانكر (Vanacker)⁽³⁾ هذا الطرح مستدلاً بخطاب تاكفاريناس للقبائل المحلية "فعلى كل من فضل الحرية على العبودية؛ الانقضاض عليهم"⁽⁴⁾ الذي يوحي بالدوافع الحقيقية للثورة. لكنه لا يرى بأن الاستيطان الإيطالي كان سبباً في قيام الثورة، إذ حسبه لم يتم إنشاء مستعمرات في هذه الفترة. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الباحثين الذين عللوا أسباب الثورة بأنها صدام بين حضارتين، حضارة البداوة والتنقل التي لم

(1) – Tacite, Annales, II, 52.

(2) – حارش (م.الهادي)، ثورة تاكفاريناس (17م-24م)، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 1، مج 6، جامعة الجزائر 2، 1995، ص ص 129-130.

(3) – Vanacker (W), Adhuc Tacfarinas" Causes Of The Tiberian War In North Africa (Ad Ca. 15-24) And The Impact Of The Conflict On Roman Imperial Policy, Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, bd.64, H.3, 2015, p338.

(4) – Tacite, Annales, IV, 24.

تستطع التأقلم مع نمط الحياة المدنية المرتكزة على الاستقرار، وأن الحرية التي طالبت بها القبائل هي حرية التنقل.⁽¹⁾

قاد كاميليوس الفيلق الأوغسطي الثالث والقوات المساعدة وواجه به جيش تاكفاريناس الذي تكون من النوميدي والمور الذين فاق عددهم تعداد الجيش الروماني، لكن البروقنصل استطاع هزيمتهم⁽²⁾.

إن مايمكن أن نسجله كملاحظة عن الرواية غير الدقيقة لتاكيث هنا، إذ لا يقدم تفصيلا يتعلق بتعداد الجيوش أو حتى مكان المعركة وخط سير الحملة، هو أن الجيش الروماني ابتداءً لهجوم وذلك بسيره نحو جيش تاكفاريناس مايوحي أن قوات هذا الأخير كانت قد أقامت لها مركزا مايترتب عنه تأمين منطقة واسعة خارج نفوذ السلطة الرومانية، فهل استطاع تاكفاريناس افتكاك إقليم من البروقنصلية والاستقلال به أم تركز على تخوم المقاطعة؟، لسنا نعلم ذلك لكون مكان المعركة مجهول بالنسبة لنا، غير أنني أميل إلى هذا الافتراض الأخير لسببين وجيهين، أولهما : ليتمكن تاكفاريناس من التسبب في خسائر للجيوش الرومانية أو المدن الرومانية بأقل الأضرار كان سيحتاج إلى الفرار بعيدا عن التحصينات الدفاعية الرومانية، والثاني هو أن جيشه ما يزال في بدايته فهو محتاج لوقت أطول ليكون جيشا نظاميا يستطيع من خلاله التوغل داخل المقاطعة ويجيد تأمين نفسه من الحصار الذي قد يُضرب عليه، خاصة جيش حليفه مازيبا (Mazippa) الذي كان على غير الجيوش المنظمة، يعتمد على أسلوب المناورة بفرق الفرسان الخفيفة وأسلوب "الكر والفر"⁽³⁾.

(1) – Charlesworth (M.P), Tiberius, Ch.19, The Cambridge Ancient History, vol.10, Combridje Univ. Press, 1934, p644.

(2) – Tacite, Annales, II, 52.

(3) – Bénabou (M), op cit, p78.

في فترة البروقنصل أبرونيوس مابين سنتي 18-21م، جدد تاكفاريناس حربه، فأغار على المدن وتمكن من الحصول على كثير من الغنائم، وهو أمر دون شك سيقوي جيشه ويزيد من طموح أفراد جيشه، كما أنه سيحفز المزيد من النوميدي على الانضمام إليه وتحقيق المكاسب، بعدما أُجبروا على ترك أراضيهم. تمكن من حصار كتبية أو مفرزة من الفيلق الثالث الأوغسطي قرب نهر باغيدا (*Pagida*) وقتل الكثير منهم فيما فر عدد منهم⁽¹⁾، لكن البروقنصل تمكن قرب مدينة ثالا من هزيمة جيش تاكفاريناس، وتمكن القائد أبرونيوس كاسيانوس (*Apronius Caesianus*) من مطاردة الفارين منهم إلى تخوم الصحراء⁽²⁾. واحتفل الرومان بهذا الانتصار وخلد اسم البروقنصل أبرونيوس في نقيشة تكريماً له⁽³⁾.

تجددت غارات تاكفاريناس مجدداً ربما أواخر سنة 20م، حيث عين الإمبراطور بنفسه البروقنصل بلايسوس⁽⁴⁾، ويبدو أن البروقنصل السابق الذي تمكن من هزيمة تاكفاريناس قرب مدينة ثالا لم يستطع هذه المرة إخماد الثورة، ومن الأهمية بمكان أن أشير هنا إلى السفارة التي بعث بها تاكفاريناس إلى الإمبراطور تيبيريوس؛ والتي خيره فيها بين إعادة الأراضي التي افتكها الرومان أو استمرار الحرب⁽⁵⁾. رسالة كان يمكن أن تُوجه للبروقنصل!، لكن انخراط تاكفاريناس في صفوف الجيش الروماني وإطلاعه على النظم والقوانين الرومانية جعله يعي أن البروقنصل ماهو إلا أداة لتسيير مصالح الإمبراطور والدولة الرومانية الرامية إلى احتلال كامل المنطقة تدريجياً، فكانت هذه الرسالة إيذاناً صريحاً برفض الاحتلال. يستنكر تاكيت هذا العرض الموجه إلى شخص الإمبراطور ويستغرب من قدرة مجموعة من "الصوص والمتمردين" مفاوضة الإمبراطور والشعب الروماني⁽⁶⁾.

(1) – Tacite, Annales, III, 21.

(2) – Tacite, Annales, III, 32, 72.

(3) – CIL, X, 7257.

(4) – Tacite, Annales, III, 20.

(5) – Ibid, 73.

(6) – Ibid.

تم رفض العرض المقدم إلى الإمبراطور الذي أمر البروقنصل بلايسوس برصد مكافأة لمن يمكن الجيوش الرومانية من تاكفاريناس ومنح العفو لمن ينسحب من جيوشه، وشرع البروقنصل على إثر ذلك في التحضير للحرب بتوزيع قواته إلى ثلاث وحدات، على ثلاث جبهات الأولى بقيادة كورنيليوس سكيبيو (Cornelius Scipio) في ناحية مدينة لبدة والمنافذ المؤدية إلى بلاد الغرامنت، والثانية بقيادة ابن البروقنصل في المناطق المحيطة بمدينة سيرتا، فيما بقي هو في الوسط، وقسم كل وحدة إلى ثلاث مفارز على رأس كل واحدة منها قائد مائة⁽¹⁾. هذه الخطة الحربية أثقلت من تحركات تاكفاريناس فيما مكنت الجيوش الرومانية من المراقبة الجيدة لها، مراقبة أدت إلى التمكن من أسر شقيق تاكفاريناس بالاستعانة بمن يمتلكون الخبرة في الصحراء⁽²⁾، بعد أسر شقيقه أوقف تاكفاريناس نشاطه مؤقتاً.

اعتبر الرومان ذلك بمثابة النصر لأن الأوضاع قد هدأت نسبياً وكان ذلك بالنسبة لهم إعلاناً بالقضاء على الثورة وإخماد التمرد، فتم تكريم البروقنصل بلايسوس ومنحه أوسمة النصر من طرف الإمبراطور تيبيريوس⁽³⁾.

لم تنته الحرب بالنسبة لتاكفاريناس، فقد عمل على توسيع مجال الحرب بعد أن حالف ملك الغرامنت، ومارس حرب الدعاية بأن نشر إشاعات حول انسحاب الجيوش الرومانية، وأن الدولة الرومانية سبق وأن هزمتها دول أخرى، كما راح يحرك في القبائل نزعة الحرية، فبعد أن جمع القوة الكافية من الجنود النوميدي والغرامنت والمور توجه بجيشه نحو مدينة ثوبوسكوم (Thubuscum).

لم يكن لدى البروقنصل دولابيلاً تعداد الجيش الذي كان للبروقنصل السابق (بلايسوس)، بسبب سحب الفيلق الإسباني التاسع من طرف الإمبراطور تيبيريوس بعد أن لاحظ هدوء

(1) – Tacite, Annales, III, 74.

(2) – Ibid.

(3) – Velleius Paterculus, Histoire romaine, II, 125.

الأوضاع في المقاطعة⁽¹⁾. فقام البروقنصل بتقسيم الجيش إلى أربع وحدات، وازداد تعداداه بعد انضمام الملك بطليموس ابن يوبا الثاني وقواته، وتمكنوا من فك الحصار عن المدينة⁽²⁾.

بعد أن تم إجلاؤه عن مدينة خميسة (ثوبوسكوم)، عسكر تاكفاريناس بجيشه في أوزيا (Auzia)، أين باغتتهم الجيوش الرومانية واستطاعت قتل العديد من الجنود النوميديين من بينهم قائد الثورة تاكفاريناس، كما وقع ابنه في الأسر⁽³⁾.

من خلال ماسبق يمكن لنا أن نعتبر الفيلق الأوغسطي الثالث من أقوى الفيالق الرومانية على الأقل في هذه الفترة، رغم أنه احتاج عدة مرات إلى الدعم والمساندة ليحرز انتصارا كبيرا، فقد تلقى الدعم من الفيلق الاسباني التاسع ومن الملكين يوبا الثاني ثم ابنه بطليموس ليتمكن من إخماد الثورة التي لم تكن كسابقاتها من الغارات أو التحرشات، فاستطاع مواجهة تحالف جميع القبائل المحلية.

لعب الجيش دورا هاما في الحفاظ على المقاطعة الرومانية إذ لم نلاحظ تراجعاً في حدودها، بل على العكس من ذلك فقد كانت تقدمات الجيش وخطوطه الدفاعية تضم إليها كل مرة مناطق جديدة، كما يلاحظ أن مجال حركة جيش البروقنصلية كان يمتد حتى مملكة موريطانيا غربا وحتى حدود قوريناية غربا، فيما اكتفى بتحسينات دفاعية على تخوم الصحراء، كما لعب دورا هاما في توسيع شبكة الطرق بالمقاطعة وربط مدنها ببعضها لغرضين أولهما تسهيل حركة وتنقل الجيوش ولإنعاش الحركة التجارية بين تلك المدن.

(1) – Tacite, Annales, IV, 23.

(2) – Ibid, 24.

(3) – Ibid, 25.

الفصل الرابع:

إقتصاد البروقنصلية على عهد أوغسطس وخلفائه.

I- النشاط الزراعي.

II- النشاط الحرفي.

III- النشاط التجاري.

IV- تموين روما عبر فرض الضرائب

I- النشاط الزراعي:

مثلت الأرض بالنسبة للرومان أكبر ثروة يمكن اكتسابها، لذلك ليس من المستغرب أن تضم طبقة كبار ملاك الأراضي، و لم تقتصر نظم السلطة الرومانية على توجيه الرأسمالية الرومانية لخدمة مصالح الجيش البري فحسب بل تعدى ذلك إلى توجيه النشاط الاقتصادي للفرد الروماني و جعلته يقتصر على خدمة الأرض في الأساس دون الالتفات إلى التجارة، و ما يدعم و جهة النظر هذه هو ما أورده كاتو الأكبر " أن الرومان إذا أرادوا أن يمدحوا شخصا بالصلاح لقبوه بالفلاح و المزارع الجيد لأنه من بين الفلاحين يولد أفضل المواطنين والجنود الشجعان و الزراعة لها فوائد شريفة على عكس التجارة فعلى الرغم من فوائدها فهي مهينة و محفوفة بالمخاطر⁽¹⁾، و في نفس السياق يذكر شيشيرون " أنه لا يوجد مهنة أفضل و أشرف بالنسبة للرجال الأحرار من الزراعة أما بالنسبة للتجارة فهي مفيدة ما دام التاجر صادقا"⁽²⁾، و قد كانت محصورة منذ عهد رومولوس على الأجانب و العبيد⁽³⁾، و هذا ربما هو الأمر الذي سمح بتزويد روما بالمنتجات التي تفتقر إليها.

لقد ظلت الزراعة الحرفة الأساسية بالنسبة لأشراف روما، و لكن هذا لم يمنعهم من امتهان التجارة بتوكيل عبيدهم أو الفقراء من الأحرار بهذه المهمة⁽⁴⁾، و ربما هذا ما أدى إلى تطلعهم إلى عائدات التجارة و خاصة بعد احتكاكهم بشعوب الجزيرة الإيطالية في خضم توسعات روما على حسابها، و لعل هذا ما شكل رأس مالية تجارية تحالفت مع الطبقة الشعبية المتوسطة و الفقيرة أو حتى من طبقة العبيد و دفعت بروما إلى الدخول في الحرب البونية الأولى و ساهمت في تمويل

(1) - Caton l'Ancien, De l'agriculture, I, préf, trad. de M. Nisard, edit., Firmin Didot frères fils et cie, Paris, 1877.

(2) - Cicéron, Des devoirs, I, 42, trad., J. L. Burnouf, edit., Jules Delalain, Paris, 1861.

(3) - Denys d'Halicarnasse, Les Antiquités romaines, I, 28, 1, 2, trad., François Bellanger, édit., P.N. Lottin, Paris, 1723.

(4) - Jean-Marie Pardessus, Collection de lois maritimes antérieures au XVIIIe siècle, t. 1, edit., Imprimerie royale, Paris, 1828, p 55. ; Theodor Mommsen, Histoire romaine, Vol. 2, op cit, p 158.

مشروع بناء أسطول حربي على أمل الحصول على امتيازات مادية في صقلية بعد نهاية الحرب، و ربما ما يدعم هذا هو التردد الذي حصل داخل مجلس الشيوخ عندما طلب منه الممارتيون التدخل في ميسينا⁽¹⁾.

ولما كانت أراضي المغرب القديم خاصة أراضي البروقنصلية منها تمتاز بالاتساع وبخصوبة التربة التي تنتج مختلف المزروعات خاصة لاسيما القمح الوفير، وتزامنا مع القوانين الرومانية التي شجعت على الهجرة نحو الأراضي الإفريقية والاستيطان مع فائدة امتلاك أراضي بها؛ فقد كان للنشاط الزراعي أولوية قصوى على حساب بقية الأنشطة الاقتصادية، خاصة إذا ما علمنا أن أكثر المستوطنين كانوا جنودا قدامى أرهقتهم الحروب وكثرة السفر والتنقل فكان الاستقرار ورعاية الأرض بالنسبة لهم عيشا رغيدا، فزاد حماسهم لهذا النشاط وولد رغبة في توسيعه بعد معانيته واكتساب الخبرة الفلاحية.

فضلا عن المستوطنين من الطبقة العليا للمجتمع الروماني من الأرستقراطيين والنبلاء وكبار الموظفين الذين امتلكوا أراضي في روما ورغبوا في توسيع نشاطهم في باقي أملاك الشعب الروماني بعد مصادرتها من ملاكها الأصليين وفق قوانين وتشريعات سنتها السلطة الرومانية لأن روما حسب العربي عقون لا تخطو خطوة دون أن تكون مدعمة بقوانين صادرة عن هيئتها التشريعية⁽²⁾، فكان استيلاؤها على الأراضي الإفريقية مشرعا له من طرف مجلس الشيوخ الروماني.

1- تشريع اغتصاب الأراضي :

بقدر ما كان لتدمير قرطاجة أثر إيجابي على روما تمثل في اكتمال سيطرتها وسيادتها على حوض البحر المتوسط، بقدر ما كان له أثر سلبي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في كامل القطر الإيطالي، فقد كانت بوادر تلك الأزمة تحتتمر منذ الحرب البونيقية الثانية حيث عانى

(1) - Polybius, les histoires, I, 11.

(2) عقون (م. العربي)، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 79.

الإيطاليون من إرهاب الحرب وتبعاتها بالإضافة إلى معاملتهم معاملة قاسية من طرف روما التي اعتبرتهم مجرد تابعين لها، ماترتب عنه التوزيع غير العادل للأراضي الزراعية لصالح الطبقة الأرستقراطية فتراجعت فئة الفلاحين الصغار مقابل استحواذ الملاك الكبار على الأراضي الواسعة⁽¹⁾، وقد اصطلح المؤرخون على هذه الأزمة بالمسألة الزراعية (*question agraire*) للتعبير عن عمق الأزمة الاقتصادية نتيجة تراجع الزراعة فانجر عنها قلة المؤونة للمواطنين الرومان الذين أصبحوا عبارة عن طبقات اجتماعية بينها فوارق كبيرة.

ضف إلى ذلك توسع الرقعة الجغرافية للجمهورية الرومانية بعد سلسلة الحروب في الشرق والغرب، الأمر الذي رفع تعداد سكان مدينة روما سواء من النازحين أو من العبيد الذين تم استقدامهم للعمل في المزارع والضياع الكبيرة ماترتب عنها مشاكل في الإسكان وتوفير الغذاء⁽²⁾.

لقد حاول السياسيون في روما امتصاص هذه الأزمة والتقليل من انعكاساتها التي أصبحت تهدد استقرار روما، فعملوا على سن عدة قوانين لهذا الغرض، الهدف منها امتصاص الفقر والبطالة والبحث عن حلول لها خارج روما، أي في المستعمرات القريبة ومستعمرات ما وراء البحر.

لم تكن السلطة الرومانية في أغلب الأحوال تُقدم على أمر سياسي أو إداري إلا قبل عرضه على التصويت لدى مجلس الشيوخ لإعطائه الصبغة الشرعية فيصبح قانونا نافذا يستمد قوته من الشعب ظاهريا ويكون أداة تحصيل الفائدة للسلطة وأصحاب النفوذ من الأرستقراطيين وكبار الموظفين، فقد خضعت الأراضي الإفريقية لتنظيم عدة قوانين سنت في كل مرة أو تم تعديلها وفق ماتقتضيه المصالح الشخصية والعامة ثم وفق الظروف السياسية والاجتماعية، وتمثلت تلك القوانين في :

(1) - Clavé (Y), Teyssier (É), op cit, p70.

(2) - Ibid.

- قانون روبريا (*Lex Rubria*) سنة 123 ق.م:

جاء قانون روبريا في مقدمة تلك القوانين وهو يعبر عن بداية الإهتمام الروماني الفعلي في إستغلال أراضي الولاية الإفريقية وتغير نظرتهم إلى أراضي الدولة القرطاجية التي وصفت عاصمتها بالأراضي الملعونة فحُرِّم الإستيطان بها، وتجدد الإشارة إلى الإصلاح الزراعي المتمثل في قانون سمبرونيا (*Lex Sempronia Agraria*) وهو قانون فلاحي جاء به تيريوس كراكوس (*Tiberius Sempronius Gracchus*) بعد أن تمكن من إقناع الجمعية القبلية ومجلس الشيوخ باستصدار قانون يحدد الملكية الزراعية حيث ينص مشروع القانون على ألا تتجاوز ملكية الفرد من الأراضي 500 يوجرة (*Iugera*) ⁽¹⁾ أي حوالي 250 هكتارا، كما استطاع تيريوس تكوين لجنة سميت لجنة الإصلاح الزراعي الثلاثية (*Triumviri Agris Indicandis assignandis*) عام 133 ق.م لتشرف على تطبيق ذلك الإصلاح الزراعي وإعادة توزيع الأراضي على صغار الفلاحين في إيطاليا والذين كانوا يثقلون كاهل الدولة ويشكلون مصدر شغب كبير لمجلس الشيوخ في روما، وقد اصطدمت محاولة تيريوس تلك بتيار كبار الملاك والذين كان من بينهم أعضاء في مجلس الشيوخ وشملمهم الإصلاح فأرغموا على التخلي عن الأراضي العامة (أراضي الشعب) ⁽²⁾، فتم إفشال المشروع وانتهى باغتيال صاحبه ورمي جثته في نهر التيبر ⁽³⁾.

تم وأد مشروع تيريوس لكن بقيت أفكاره الإصلاحية، حيث جاء أخوه كايوس كراكوس (*Gaius Gracchus*) بمشروع إصلاح إستيطاني (*Lex Rubria*) سنة 123 ق.م ⁽⁴⁾، الذي أقر

(1) - البوجرة : وحدة رومانية لقياس مساحة الأرض تساوي حوالي 25 آر.

(2) - شيني (م.البشير)، الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 122-123.

(3) - Clavé (Y), Teyssier (É), op cit, p70.

(4) - الحداد (أحمد)، التاريخ السياسي و الإقتصادي لولاية إفريقية البروقنصلية 27 ق.م - 235م، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا، 2002، ص 107.

تأسيس أول مستعمرة رومانية على حدود الأراضي القرطاجية⁽¹⁾، تأوي ستة آلاف (6000) من الفلاحين الرومان⁽²⁾، عُرفت باسم يونونيا⁽³⁾ (Iunonia) وقد كانت ذات طابع زراعي، حيث تم منح كل واحد منهم حصة كبيرة تبلغ حوالي 200 يوجيرة لتكون ملكا خاصا معفي من الإيجار⁽⁴⁾.
لقد رأينا في خضم الحديث عن الوصف الجغرافي لسهول البروقنصلية أهمية سهل المجردة وخصوبة أراضيه، لذا فقد كان مجال الاستيطان يتركز بنسبة كبيرة في هذا السهل وبالقرب منه.

بقدر ما كان الهدف من هذا المشروع استغلال "أراضي الشعب الروماني" الإفريقية بعد ربح من الزمن ظلت فيه بعيدة عن المشاريع الاستيطانية، كان له هدف آخر تمثل في تخفيف عبء الفقراء ومسؤولية الإنفاق على غذائهم من خزينة الدولة الرومانية، وربما أيضا امتصاص التزايد السكاني وتخفيف الهجرة من الريف الإيطالي إلى العاصمة روما، فضلا عن إرضاء الجنود المحاربين وكبار الموظفين والأرستقراطيين بضمان الحفاظ على أراضيهم الواسعة - أراضي الشعب الروماني - وعدم التخلي عن أجزاء منها لصالح الشعب كما كان يرمي تيبيريوس كراكوس من مشروعه.

- قانون توريوس (Lex Thorius) سنة 111 ق.م:

بعد فترة قصيرة على طرح مشروع كراكوس جاء قانون توريوس لسنة 111 ق.م⁽⁵⁾، وقد سبقت الإشارة إلى هذا القانون في الفصل الثاني وهو واحد من أهم إصلاحات روما في المجال الزراعي، ومن أهم الوثائق في تاريخ القوانين والإصلاحات الزراعية العائدة إلى عهد الجمهورية الرومانية، تطرقت فقراته من 43 إلى 95 إلى وضعية أراضي إفريقيا المحتلة⁽⁶⁾.

(1) - المحجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص 61.

(2) - شنييتي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 117.

(3) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), T9, Op cit, p465.

(4) - jean peyras, op cit, p17.

(5) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 206.

(6) - Peyras (J), op cit, p3.

يقدم لنا هذا القانون لمحة عامة حول وضعية الأراضي الإفريقية لدى الدولة الرومانية ، حيث وضح أصناف ملكية الأرض:

- الأراضي التي تم بيعها إلى الخواص، الذين كان أغلبهم دون شك من كبار المضاربين الرومان⁽¹⁾.

- أراضي تسمح السلطة للأفراد باستغلالها مقابل دفع ضريبة⁽²⁾، مع إعطائهم حق التوريث شرط أن يستمروا في زراعتها وتبقى ملكيتها القانونية للشعب الروماني⁽³⁾.

- أراضي المغلوبين (*Stipendium*) والتي فرضت عليها "ضريبة الشعوب المغلوبة"⁽⁴⁾.

- أراضي الملك ماسينيسا وورثته⁽⁵⁾.

- يضاف إليها أراضي المدن الحرة المعفاة من الضرائب مثل⁽⁶⁾ أوتيكا (*Utica*) وسوسة (*Hadrumetum*) وثابسوس (*Thapsus*) و لمطة (*Leptis Minus*) و أوسلة (*Uzalis*) وأشولا (*Achulla*) و ثيوداليس (*Theudalis*).

- قانون أبوليا (*Lex Appuleia*):

جاء بهذا المشروع القنصل أبوليوس ساتورنينوس (*Lucius Appuleius Saturninus*) سنة 103 ق.م/100 ق.م؛ منح من خلاله جنود القائد ماريوس الحق في تأسيس مستعمرات في الأراضي التي اعتبرت ملكا للشعب الروماني (*Ager Publicus*) فؤزعت الأراضي⁽⁷⁾.

(1) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), T9, Op cit, p466.

(2) - خنيش (عبد الفتاح)، المرجع السابق، ص 96.

(3) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 207.

(4) - Mommsen (Th.), Marquardt (J), T9, Op cit, p466.

(5) - Gsell (S), H.A.A.N, t.7, op cit, p80.

(6) - Johnson (A.C.), and others, op cit, n. 51, p55.

(7) - Aurélius Victor, Les hommes illustres de la ville de Rome, 73,1.

2- إحصاء الأراضي وتقسيمها :

من أجل الاستفادة المثلى من الأرض الإفريقية فقد عمل الرومان على تقسيمها إلى مساحات زراعية مختلفة لايتساوى فيها الملاك الصغار مع الكبار، فضلا عن تحديد نوع المنتوجات المزروعة في تلك الأراضي لتجنب حدوث أي اضطراب في المحصول السنوي ومنه تهديد روما بمشاكل تتعلق بأمنها الغذائي، فجرى تقسيم الأراضي وفق وحدات رومانية ومساحات محددة.

تضمن الجيش الروماني فرقا للهندسة العسكرية وهم مهندسو المساحة وتمثلت مهمتها في إجراء عملية المسح (Arpentage)، وإيداع ملفاتها في مصلحة خاصة بها للاعتماد عليها خلال توزيع الأراضي على الطبقة الأرستقراطية وعلى قدماء الجيش لإنشاء المستثمرات الكبرى، وكذلك لإعداد الجداول الضريبية⁽¹⁾، وشُرع في عملية المسح في إفريقيا الرومانية منذ سنة 120 ق.م واستمرت إلى غاية 39م.⁽²⁾

أما عن مصير أصحاب الأراضي الذين اغتصبت منهم أراضيهم فقد كان إما التهجير نحو الجبال والمناطق الجرداء والمناطق الصحراوية أو أنهم تحولوا إلى عمال أجراء في أراضيهم لدى الملاك الجدد لأراضيهم، ومن النماذج التي يمكن عرضها في هذا السياق هو ماتعرضت له قبيلة الموسولامي (Musulamii) التي جردت من ملكية أراضيها وتم تهجير وإجلاء أفرادها⁽³⁾.

(1) عقون (م. العربي)، المرجع السابق، ص 79.

(2) - بيكار (ج. شارل) ، حضارة شمال إفريقيا (تريبوليتانيا- البروقنصلية - نوميديا - موريطانيا) خلال الفترة الرومانية، تر عقون (م. العربي)، ط1، المثقفون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص61.

(3) بن رحال (ي.)، مقاومة الأوراس للاحتلال الروماني ثورة تاكفاريناس نموذجاً (17م-24م)، حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد8، ج.4، الجزائر، 2014، ص 325.

أدى جشع الرومان للحصول على الأراضي الإفريقية إلى اصطدام الأرستقراطيين بالشعبيين وهو ما كان سببا في وفاة الأخوين كراكوس بعدما طالب الشعبيون بتوزيع الأراضي على طبقة البروليتاريا بنصيب 7.5 هكتار للفرد.

تم تشكيل لجان مكلفة بتوزيع الأراضي الإفريقية فاقتطعت تلك اللجان قسما كبيرا من الأراضي التي امتلكتها طبقة النبلاء ووزعوها عليهم، فتسبب هذا في اشتعال مواجهات عنيفة استرجع بعدها الأرستقراطيون احتكارهم للملكيات الكبيرة وشغلوا بها فلاحين من الأهالي عوض جلب عمال من إيطاليا⁽¹⁾.

استمر الوضع قبل سنة 27 ق.م على ما هو عليه من حيث توزيع الأراضي التي مثلت فيما بعد مقاطعة البروقنصلية، حيث تمثل كبار ملاكها في رجال مجلس الشيوخ بالدرجة الأولى، ثم العرش النوميدي باعتباره جارا للمقاطعة وكبادرة حسن نية، بالإضافة إلى المدن الحرة التي حالفت روما ضد قرطاج مثل أوتيكا فاحتفظت بأراضيها كجائزة على فعلها، وكذلك الأراضي التي حازها جنود ماريوس ومن ضمنهم عدد من الجيتول بعد وقوفهم إلى جانبه في حربه ضد يوغرطة⁽²⁾، أما بعد سنة 27 ق.م وإعلان أوغسطس عن قيام الإمبراطورية فقد تغيرت عملية تقسيم الأراضي، إذ سيكون للأسرة الإمبراطورية الحظ الأوفر من مساحات الأراضي والتي قدرت بحوالي السدس، واعتمادا على كتابات بعض الباحثين يمكن تقسيم الأراضي من حيث طريقة توزيعها إلى :

- أراضي الأسرة الإمبراطورية (*Patrimonium principis*) المستقلة عن باقي الأراضي وغير الخاضعة للضرائب، والتي يستفيد الإمبراطور وحده من فوائدها.

- أراضي الشعب الروماني: ليس للشعب الروماني منها غير اسمها، وتشمل :

(1) عقون (م. العربي)، المرجع السابق،، ص ص 80 - 81.

(2) نفسه، ص 81.

- أراضي البلديات المملوكة للطبقة الأرستقراطية من المستعمرين أو الأسر المحلية التي تميزت بالثراء⁽¹⁾. سواءً المرومنين منهم أو غير المرومنين⁽²⁾.

- بقية الأراضي : وهي أراضي يملكها أصحابها الأصليون إلا أنها غير معترف بملكيتها في القانون الروماني وتبقى تحت تهديد الحجز متى رأت السلطة الرومانية ذلك⁽³⁾، وهي في الغالب لا تتعدى أراضي رعوية أو أراضي غير خصبة⁽⁴⁾.

خضعت الأراضي الإفريقية المغتصبة إلى عمليات مسح عرفت بالكنتر (Centuria) وهي عملية إدارية هندسية تتمثل في مسح الأراضي يضطلع بها مهندسو المساحة بتخطيط الأراضي بخطين متعامدين الأول أفقي شرق-غرب يسمى بالديكومانوس الكبير (Decumanus) والثاني عمودي شمال-جنوب يسمى بالكاردو الكبير (Cardo Maximus)⁽⁵⁾، فيشكل تقاطع الخطوط مجموعات من الأراضي المربعة التي يبلغ ضلعها حوالي 710 م ومساحة الواحدة منها حوالي 50 هكتار، ويصاحب عملية التخطيط هذه عملية تخطيط الطرق ووضع العلامات المرقمة التي تبين الحدود واتجاهاتها⁽⁶⁾.

قد بدأت عمليات المسح تلك مباشرة بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م تحت إشراف اللجنة العشارية التي أوكلت إليها مهام النظر في مصير قرطاجة⁽⁷⁾، وقد وردت إشارة في قانون سنة 111 ق.م الزراعي أن إفريقية عرفت عملية مسح في المنطقة التي أسست فيها مستعمرة يونونيا سنة

(1) روستوفتزن (م)، المرجع السابق، ص 398.

(2) شنيبي (م. البشير)، التغيرات الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 67.

(3) عقون (م. العربي)، المرجع السابق، ص 80.

(4) شنيبي (م. البشير)، المرجع السابق، ص 67.

(5) - Caillemer (A), Chevallier (R), Les centuriations de l'« Africa vetus » Sous l'oeil d'Asmodée, Annales, ann.9, n°4, 1954, pp438-439.

(6) - عقون (م. العربي)، المرجع السابق، ص 82.

(7) - gsell, op cit, t.7, p14.

122 ق.م تحت إشراف كايوس كراكوس، ويرى "بشاري" هذا أمرا منطقيا إذ لا يمكن توزيع الأراضي حتى تحدد مساحة كل مستفيد، وأن عملية المسح لم تقتصر على أراضي المستعمرة بل شملت كل مقاطعة إفريقية باستثناء أراضي المدن الحرة، كما استنتج أن مدة مائة وخمسون يوما التي كلفت فيها لجنة مسح الأراضي هي مدة غير كافية لإتمام العملية لو كان عملها بدأ من نقطة الصفر⁽¹⁾.

كشف المسح الأثري أن عمليات المسح التي خضعت لها الأراضي الإفريقية لم تقتصر على قرطاج أو مستعمرة يونونيا فحسب، بل شملت مناطق عديدة من المقاطعة، فهناك آثار لعملية المسح في محيط قرطاجة والرأس الطيب والنفيضة (دار الباي بالقرب من سوسة) وشمال غرب سوسة بالقرب من الخندق الملكي وفي جنوب تونس قرب شط الفجاج (السفوح الشمالية لصحراء تونس) أنصاب تدل على المسح من عهد تيبيريوس⁽²⁾، وقد أظهرت هذه البقايا الأثرية في البروقنصلية أن الديكومانوس الكبير يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي فيمتد من من نقطة على الساحل تقع بين عناية وسكيكدة ويمتد إلى نقطة بسدر الصغرى بالقرب من قفصة، أما الكاردو الكبير فهو يقاطعه في زاوية مستقيمة بناحية تُهالة (الجنوب الغربي لليبيا) وينتهي عند الشمال الشرقي قرب رأس الطيب، ولأن الديكومانوس الكبير يتعدى حدود ولاية إفريقيا القديمة فإن قزال يفترض أن جزءا كبيرا من هذا التقسيم الكتوري كان بعد سنة 46 ق.م⁽³⁾ أي خلال حكم أوكتافوس ربما، لأنه اهتم بتدوين كل أوضاع الإمبراطورية التي ورثها فجرد بنفسه في سجل عدد المواطنين والحلفاء وعدد السفن وعدد الممالك والمقاطعات التابعة للإمبراطورية وحالة

(1) - بشاري (م.الحبيب)، المرجع السابق، ص 211.

(2) - Gsell, op cit, p17.

(3) - Ibid, p15.

الضرائب...⁽¹⁾، فمن اهتم بإحصاء كل هذا ليس من المستبعد عنه أن يأمر بعمليات مسح لتسجيل الأراضي.

3- أهم المزروعات:

إن كان بعض المؤرخين الغربيين يزعمون تأخر الإنتاج الزراعي من الأشجار المثمرة والزيتون والكروم (كما سيأتي) فإنهم يتفوقون على أن مقاطعة إفريقيا البروقنصلية اعتبرت كواحدة من بين أكثر المقاطعات الرومانية إنتاجا للقمح⁽²⁾، ولربما استمدت المقاطعة أهميتها بالنسبة لروما بما تستطيع توفيره من قمح.

أ- القمح:

أدرك أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية أهمية القمح كوسيلة للحفاظ على الأمن الاجتماعي وتوفير الاستقرار، فسعوا جاهدين إلى تحصيل المؤونة السنوية من الحبوب، ووزعوها بأسعار زهيدة أو بالمجان في فترات المجاعة، حتى أنهم ضمنوا تزويد المخازن بالقمح ثم راقبوا أسعاره⁽³⁾. وقد كان هذا منذ الفترة الجمهورية أين دعمت الدولة الرومانية هذه المادة الأساسية وسنت قوانين لأجل ذلك فكان الفقراء يتحصلون على حصصهم من القمح شهريا⁽⁴⁾.

(1) - Tacit, Les Annales, I, 11, Trad. J. L. Burnouf, Librairie De L. Hachette ET Cie, Rue Pierre-Sarrazin, Paris, 1859.

(2) - Leglay (M), Les Flaviens et l'Afrique, Mélanges de l'école française de Rome, t.80, 1, 1968, p206.

(3) - Daremberg (Ch), Saglio (E.), Dictionnaire Des Antiquités Grecques Et Romaines D'après Les Textes Et Les Monuments, Librairie Hachette Et Cie, fasc.1, Paris, 1873, p278.

(4) - Appien, Guerres civiles, II, 21.

بلغ عدد المستفيدين من هذا الدعم في عهد قيصر مائة وخمسون ألفن مستفيد، كانت إفريقيا الجديدة لوحدها تنتج سنويا 840,000 قنطار من القمح⁽¹⁾ لسد تلك الحاجيات، وتضاعف الإنتاج في فترة نيرون إلى عشرة أضعاف بما فيها حصة تريبوليتانيا ونوميديا⁽²⁾.

أوضحت المصادر الأدبية أن بلاد المغرب القديم قد دفعت ثمن تراجع الزراعة في شبه جزيرة إيطاليا بصفة عامة وروما بصفة خاصة، حيث تحولت إلى الممون الأساسي لروما بالموارد الزراعية الضرورية وفي مقدمتها القمح حتى أصبحت عبارة " إفريقيا خزان روما " شائعة الاستعمال⁽³⁾، فساهمت البروقنصلية بنسبة كبيرة في حصة روما السنوية من مادة القمح، لذلك خالفت العادة في أن لا تجعل جيشا بالمقاطعات السيناتورية واستثنت البروقنصلية من ذلك، ربما لأجل تأمين الإنتاج الزراعي من هذه المادة، إذ يمكن أن نفهم مما أورده تاكيت عن محاكمة شخصين تورطا في تزويد تاكفاريناس بالقمح من صقلية⁽⁴⁾ أن الجيش الروماني قد أحكم سيطرته ومراقبته لحركة هذا المنتج داخل البروقنصلية حتى اضطر تاكفاريناس إلى توفيره من خارج المقاطعة.

حرص الإمبراطور كلوديوس على تشجيع صناعة السفن لجلب القمح من إفريقيا البروقنصلية وغيرها من مقاطعات ما وراء البحار، وقدمت التسهيلات والاعفاءات للمتاجرين بهذا المحصول⁽⁵⁾ لضمان وصوله إلى روما، ونستطيع تصور قدر كميات القمح التي كانت تصل إلى روما من مقاطعة إفريقيا البروقنصلية بعد أن نلاحظ ما قام به المفوض الإمبراطوري "ماكر" قائد الفيلق الأوغسطي الثالث سنة 68 م، إذ في محاولة تمرده على الإمبراطور نيرون هدد روما بالجماعة⁽⁶⁾ بأن

(1) - بيكار (ج. شارل)، المرجع السابق ص ص 72 - 73.

(2) - نفسه، ص ص 72 - 73.

(3) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 185.

(4) - Tacite, Annales, IV, 13.

(5) - Suétone, Claude, 18.

(6) - Tacite, Histoires, I, 73.

قطع عليها إمدادات القمح⁽¹⁾.

ب- زراعة الزيتون:

حاولت الباحثة هنريات كامبس أن تنفي معرفة السكان المحليين لزراعة الزيتون في الفترة ما قبل الرومانية، ثم لما كانت الأدلة يصعب تجاهلها، خاصة المادية لمحت إلى تطوير الرومان لهذا النوع من الغراسة بقولها: " طور الرومان ووسعوا زراعة الزيتون في عموم أفريقيا"⁽²⁾ غير أن هذه الزراعة لم تكن زراعة واسعة كالقمح، وذلك لسببين؛ الأول هو فرض تخصيصات إجبارية من طرف الأباطرة على زراعة القمح لضمان التموين السنوي، والثاني هو منع غراسة الأرض زيتونا خارج إيطاليا لضمان احتكار تجارته وعدم انخفاض سعره⁽³⁾.

يمكننا أن نتصور ما كان بمقدور مدن البروقنصلية إنتاجه من الزيتون من خلال الضريبة العينية التي فرضها قيصر على مدينة لبدة حيث بلغ قدرها ثلاثة ملايين ليبرة من الزيت سنويا⁽⁴⁾. وهي كمية كبيرة يمكن أن نفترض قدرة مدن أخرى على إنتاج أضعافها خاصة المدن الواقعة في سهل مجردة والقرية منه.

ج - زراعة الكروم:

مارس السكان المحليون هذا النوع من الزراعة كغيره من المنتوجات الزراعية قبل الفترة الرومانية، وهو ماتحاول الدراسات الغربية نفيه، فنجد أحد الباحثين يشير إلى ذلك بقوله: جعل

(1) - Plutarque, Vie de Galba, 7.

(2) - كامبس (ف. هنريات)، الزيتون والزيت في أفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تر. عقون (م. العربي)، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 13.

(3) - Cicéron, De la République, III, 9, trad. Nisard (M), Imprimerie De L'institut De France, t.4, Paris, 1869.

(4) - كامبس (فابري هنريات)، المرجع السابق، ص 34.

الرومان هذه البلاد بستانا كبيرا بأشجار فاكهة ممتدة من سوسة إلى سفاقص⁽¹⁾، . فيتضح من هذا الرأي وغيره؛ الخلفية الإيديولوجية للمدرسة التاريخية الأوروبية وحرصها الملّح على الإشارة في كل مناسبة إلى الدور الحضاري الذي لعبه الرومان ومن خلفهم في الانعاش الحضاري للمنطقة وأهلها وتجاهل الأدلة التي تنفي ذلك. وقد سبق لنا الإشارة إلى محاولاتهم في هذا السياق من خلال محاولة إثبات تفحل المناخ في الفترة القديمة.

لم تعرف هذه الغراسة انتشارا واسعا بسبب منع زراعتها خارج روما كي لا تنافس انتاج هذه الأخيرة وتضمن الطبقة الأرستقراطية احتكاره⁽²⁾. فلا يمكن مقارنة هذا النشاط الزراعي بزراعة الحبوب والقمح، و ذلك ناتج عن اهتمام أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية وحرصهم على ضرورة تأمين حاجيات روما من الغذاء كونه وسيلة ضمان السلم الاجتماعي، من جهة، ومن جهة أخرى الحفاظ على مصالح الطبقة الأرستقراطية وازدهار تجارتها للنبيذ.

يمكن أن نخلص إلى أن الرومان اهتموا بالنشاط الزراعي أيما اهتمام، فنالت الزراعة النصيب الأوفر من منظومة الاستغلال الاقتصادي المطبقة على إفريقيا البروقنصلية، إذ عملوا على إحصاء الأراضي وتقسيمها تقسيما هندسيا، ثم طبقوا أنواعا مختلفة من الضرائب، كما أنشؤوا لغرض نقلها سلسلة من المخازن ليتم نقل المنتوجات الفلاحية إلى الموانئ لثقل من ثم إلى روما.

لقد ساهمت الزراعة في منطقة إفريقيا البروقنصلية في تغطية قسم كبير من حاجيات روما الغذائية وسد العجز الحاصل في إيطاليا عن تأمين الكميات اللازمة من الغذاء للمواطنين. خاصة القمح الذي كان يعتبر الغذاء الرئيسي، فنافس القمح الإفريقي القمح الإيطالي، كما تنافس أيضا كبار الملاك على حيازة الأراضي في المقاطعة، فأصبحت عبارة عن مستثمرات فلاحية كبرى يمتلكها كبار الأرستقراطيين الرومان، ولم يكن شعار " أراضي الشعب " (*Ager publicus*) إلا

(1) – Gauckler (P), op cit, p8.

(2) - Cicéron, De la République, III, 9..

شعارا زائفا استعملته السلطة الرومانية لتحفيز مواطنيها وجيشها على الاستمرار في ضم الأراضي خارج روما بينما لم يستفد منه إلا الأثرياء.

II- النشاط الحرفي:

يذكر "محمد الهادي حارش" أنه على الرغم من طغيان النشاط الزراعي في الولايات الإفريقية على باقي الأنشطة الاقتصادية الأخرى من حيث الإقبال على ممارسته، إلا أن هذا لم يعرقل حركة الصناعة في المنطقة¹ التي تؤكد الدلائل الأثرية على قدمها قدم الاستقرار البشري في المنطقة. ويشير عمار المحجوبي إلى أن حركة الاحتلال الروماني كان لها تأثير سلبي واضح على النشاط الصناعي في البروقنصلية إذ لم يُعرف ازدهار اقتصادي إلا مع نمو النشاط الزراعي²، ويضيف أنه منذ بداية القرن الأول الميلادي انبعثت المصانع وورشات الحرفيين من جديد في قرطاجة وضواحيها وغيرها من مدن المقاطعة³. ومن أهم الصناعات التي عرفت البروقنصلية خلال حكم الأسرة اليوليوكلاودية هي:

1- صناعة الفخار:

تعد مخلفات صناعة الفخار من بين أهم البقايا التي مكنت الأثريين من تتبع تطورها وهذا لصلابتها وسهولة تصنيفها⁴، وقد نشطت صناعة الفخار بمقاطعة البروقنصلية ومن دون شك كانت تحمل في طياتها السمات البونية على اعتبار أن أغلب أراضيها كانت تابعة لحدود الدولة

¹ - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 206.

² - عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 135.

³ - نفسه، ص 136.

⁴ - حمداش (فهيم)، الحياة الاقتصادية في إفريقيا البروقنصلية من خلال المواد الأثرية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد 10، مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، الجزائر، 2016، ص 71.

القرطاجية أو تأثرت بها، وقد تمثلت منتوجات صناعة الفخار بالدرجة الأولى في الأواني المنزلية والتماثيل والمصابيح والمزهريات وجرار التخزين وخاصة تلك المخصصة للزيت¹.

على الرغم من اقتصار المصنوعات الفخارية خلال القرن الأول الميلادي على وجه الخصوص على ما تنتجه المصانع الإيطالية²، غير أنه مع القرن الثاني الميلادي بدأت الورشات المحلية في إنتاج النموذج الإفريقي 1 والإفريقي 2 (*Africaine I/ Africaine II*) الذي كان يصنع في مدينة بيزاكينا ولمطة على وجه التحديد³، وقد امتاز بالجودة وتم تصنيفه إلى ثلاث أنواع هي:

- صنف A الذي أنتجته ورشات قرطاجة

- صنف C الذي أنتجته ورشات ما يعرف حاليا بسيدي مرزوق

- صنف D الذي أنتجته ورشات قرطاجة كذلك⁴.

هذا وقد أنتجت العديد من الورشات في مدينة حضرموت الخزف الروماني الذي تم التعرف عليه من خلال الطوابع التي تشير إلى اسم المدينة على القطع الخزفية⁵.

2- الصناعة النسيجية:

¹ - الجودي (حمومة)، الضرائب الرومانية في بلاد المغرب القديم منذ سقوط قرطاجة 146 ق.م إلى نهاية الاحتلال الروماني

430 م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، 2015، ص 26.

² - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، ص 206.

³ - عقون (م. العربي)، المرجع السابق، ص 123.

⁴ - كابلي (فاطمة)، الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم وآثرها على المجتمع، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، 2011، ص 55.

⁵ - Ameur (Y), Aspects de l'economie des Cites Portiaires du Byzacium, La Mediterranee L'Homme et la Mer, Actes du Deuxième Séminaire du Décembre 1999, Cahiers du C.E.R.E.S, n°22, Tunis, 2001, p 201.

تعكس الصناعة النسيجية إلى حد كبير مدى أهمية حرفة الرعي بالنسبة لسكان المغرب القديم، نظرا لما تجود به من مواد أولية لمزاولة هذا النوع من الصناعات وفي مقدمتها الصوف والجلود والأوبار، ومما لا شك فيه أنها تمتد بجذورها إلى ما قبل الاحتلال الروماني لأن المصادر المصرية والإغريقية واللاتينية كثيرا ما أشارت إلى لباس بعض القبائل التي استوطنت المنطقة.

لقد عرفت الصناعة النسيجية رواجاً في الامبراطورية الرومانية بفضل استعمال الصبغة الأرجوانية¹، والتي من دون شك بقيت من الموروث الفينيقي في مقاطعة البروقنصلية التي اشتهرت فيها صناعة النسيج في كل من مدينة مكثر وجزيرة جربة²، كما أشار الجغرافي سترابون إلى مدينة احتوت على مصانع للصبغة الأرجوانية " ويعقب السيرت بحيرة زوخوس (Zuchius) ذات محيط يبلغ أربعمائة مرحلة وعل ضفتها تقع مدينة بنفس الاسم بها مصانع للصبغ الأرجواني..."³

3- الصناعة التحويلية:

اشتملت الصناعات التحويلية على عصر الزيتون والذي عرف في إقليم منطقة البروقنصلية قبل الاحتلال الروماني، وقد عثر على نماذج متعددة من معاصر الزيتون في تراب المقاطعة تم استخدامها خلال الفترة الرومانية نذكر منها معاصر سبيطة⁴ وقرطاجة وهنشير⁵، والجدير بالذكر الإشارة أن استخراج الزيت كان ذا أهمية بالغة نظرا لتعدد استعمالات هذه المادة في التغذية

¹ - حارش (م. الهادي)، المرجع السابق، 206.

² - الجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 28.

³ - Strabon, Géographie, XVII, 3, 18.

⁴ - حمداش (فهيمة)، المرجع السابق، ص 69.

⁵ - Cagnat (R), Babelon (E), Reinach (S), op cit, Feuille 19, n°01.

والتطبيب والإضاءة وصناعة الصابون¹ وأستعمل كذلك في الحمامات²، ويحدثنا الجغرافي سيلاكس عن جزيرة باسم برايتشون يستخرج سكانها زيتا كثيرا من الزيتون البري³.

بالإضافة إلى استخراج الزيت عرفت مقاطعة البروقنصلية ازدهارا في انتاج صلصة السمك (*Garum, liquamen, muria, hallec*) أو ما يعرف بمرق السمك التي تعد كذلك من المواد الغذائية الأساسية سواء في بلاد المغرب القديم أو في ربوع الحوض الغربي للمتوسط، ففي الفترة الرومانية، كان الصيد البحري يمارس بهدف تحقيق غرضين اقتصاديين متميزين: استهلاك و بيع الأسماك الطازجة وتزويد مصانع الأسماك⁴ حيث كانت تصنع بأخذ أحشاء السمك التي يضاف إليها كمية من الملح وكمية أخرى من السمك الصغير المملح ثم يترك هذا الخليط مدة من الزمن تحت أشعة الشمس ثم يصفى بواسطة سلة والسائل الذي ينزل عبر ثقبها يستعمل في الطبخ⁵، وتشهد الكثير من البقايا الأثرية على أحواض صناعة هذا النوع من الصلصة في خليج قابس ومدينة نابل الواقعة جنوب شبه جزيرة رأس الطيب⁶، بالإضافة إلى مدينة زيوخوس التي حدثنا عنها سترابون والتي احتوت ورشا لتمليح الأسماك⁷.

كما عرفت المناطق الساحلية للبروقنصلية صناعة السمك المملح بمراكز تمليح الأسماك (*salsamenta*) بالقرب من الملاحات (*Salines*) التي تعرف نشاطا مكثف في فصل الصيف لتصنيع هذه المادة الغذائية لأنها تعتمد على درجة الحرارة المرتفعة لتجفيف السمك⁸، ومن مدن

¹ - حارث (م.الهادي)، المرجع السابق، 207.

² - Leschi (L), op cit, p53.

³ - Pseudo-Scyllax, Périple, 110.

⁴ - Brice (E), Les poissons et la pêche liés aux usines de salaisons sur le littoral atlantique à l'époque romaine, Aquitania, T.21, 2005, p402.

⁵ - Grimal (P), Monod (Th), Sur la véritable nature du « garum », R. É. A., T, 54, n°1-2, 1952, p30.

⁶ - Sternberg (M), op cit, p 136.

⁷ - Strabon, Géographie, XVII, 3, 18.

⁸ - مسعودي (أسيا)، المرجع السابق، ص 29.

البروقنصلية التي اشتهرت بتمليح السمك نذكر على سبيل المثال لا الحصر مدن لبدة الصغرى (*Leptis minus*) وغومي (*Gummi*) و روسبينا (*Ruspina*) وسوليكتوم (*Sullecthum*)¹

4- الصناعة الاستخراجية:

يقصد بها استخراج المعادن والمواد الحجرية، والتي مثلت مادة أولية لصناعة مواد الاستعمالات اليومية والعتاد الحربي والبناء، وقد تواجدت مناجم استخراج النحاس بالرغم من قلته في جبل الشوشية الواقع في الشمال الغربي لتونس الحالية وفي كودية سيدي سابي في الكاف²، بالإضافة إلى الحديد في منجم جبل جريسا بالقرب من قرطاجة و الرصاص من منجمي جبل الرصاص في شمال شرق تونس ومنجم هنشير الرصاص في جنوب شرق الكاف³، كما استخرج نفس المعدن من هيوريحيوس⁴.

خضعت إدارة المناجم منذ العهد الإمبراطوري إلى الدولة، حيث أدارتها شركات استثمارية تقدم للدولة مقدار من المال وأحيانا تؤجر للخواص مقابل دفع ضريبة على الانتفاع بموارد المنجم⁵.

استخرج الرخام من مقالع شمتو⁶ على وجه الخصوص وعثر على محاجر الجير في مدينتي لبدة الصغرى وثابسوس التي تدل عليه أفرانها هناك⁷. وكان الرخام يصنع في شكل قطع كبيرة تحمل

¹ - Ameer (Y), op.cit, p 205-206.

² - Tekki (A), Mines et carrières en Tunisie antique, Mines et carrières en Afrique du nord, De l'Antiquité à nos jours, Actes du colloque, Centre de Publication Universitaire, Tunis, 2020, pp 50-51.

³ - Ibid, pp 55, 58, 51.

⁴ - كابي (فاطمة)، المرجع السابق، ص 57.

⁵ - Leger (A), Les Travaux publics les mines et la métallurgie aux temps des Romains, Impremrie de l'école Centrale des Arts et Manufactures, Paris, 1875, p685.

⁶ - Callegarin (L), Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale (I er siècle av.-II e siècle de n. è.), Pallas, n° 68, 2005, p 178.

⁷ - Ameer (Y), op.cit, p 200.

اسم صاحب المنجم واسم القسم المستخرج منه وأحيانا أسماء الموظفين، ويترك في مخازن بالقرب من المحاجر ثم ينقل الى ميناء قرطاجة وطبرقة ومنه الى روما¹.

كانت ورشات التعدين تقع بين المساكن الحضرية ويشتمل العمل فيها على الصهر في الأفران والطرق باستخدام المطرقة والسندان²، وتضيف أن إدارتها تمت من طرف عائلات توارثت أصول هذه الصناعة أبا عن جد³، وربما هذا ما أكسبها ثقة الزبائن ولكن من الصعوبة بمكان في ظل شح المادة العلمية الأدبية والمادية التعرف على أسماء هذه العائلات أو محيط نشاطها.

5- صناعة الحلي:

تعتبر صناعة الحلي واحدة من الصناعات التي تعود بجذورها إلى فترة ما قبل التاريخ في كامل ربوع بلاد المغرب القديم في مواقع انتشار الحضارة العاترية، الأيبيرومغربية والقفصية، وهي تعتمد على معادن الذهب والفضة والبرونز والنحاس والأحجار الكريمة وشبه الكريمة والعقيق كموايد أولية لصناعة منتوجاتها المختلفة من عقود وأساور وأقراط⁴.

في هذا السياق يذكر "فنطر" أن هذا النوع من الصناعة مارسه حرفيون مختصون خلال الفترة القرطاجية يذكر منهم "بدعشترت ابن مسف" و"أرش ابن يتنبعل بن مسف" اللذان كانا مختصان في "نسك خرص" بمعنى سبك الذهب⁵، ومما لا شك فيه أن صناعة الحلي بقيت قائمة في مقاطعة البروقنصلية خلال حكم الأسرة اليوليوكلاودية وما بعدها على نفس النهج الذي كانت

¹ - مسعودي (أسيا)، المرجع السابق، ص 36.

² - كابلي (فاطمة)، المرجع السابق، ص 58.

³ - نفسه، ص 66.

⁴ - الجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 28.

⁵ - فنطر (م. حسين)، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف-منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، 1999، ص 217.

عليه في فترة ما قبل الاحتلال ، ولكن شح المادة العلمية في هذا المجال يحول دون بلوغ نتائج كافية حوله.

6- بناء السفن:

تعد صناعة السفن من بين الصناعات التي عرفت رواجاً في مقاطعة البروقنصلية باعتبار أن القرطاجيين أولوا اهتماماً كبيراً بتشكيل الأساطيل التجارية والحربية، المتكونة من عديد أنواع السفن، والتي أشرف على صناعتها جملة من الحرفيين ذوي الخبرة تقوم كل فئة بإنتاج جزء معين من السفينة حسب تعليمات المهندسين، من هياكل وسواري ومقدمات ومؤخرات ومجاديف وأسطح وسلالم ومراسي.....الخ.

أنتجت أحواض السفن في البروقنصلية دون شك نفس أنواع السفن السائدة الاستعمال في حوضي البحر المتوسط، سواء الطويلة منها المستخدمة للأغراض العسكرية والتي اعتمدت في حركتها على المجاديف¹، كالليورنا والثلاثية والرابعة والخماسية²، أو المستديرة الموجهة للخدمة التجارية والتي اعتمدت بالدرجة الأولى على الأشرعة في حركتها³.

وعن هذه الأخيرة يمكن التعرف على نماذج منها من خلال ما صورته بقايا الفسيفساء، كالتى عثر عليها في مكتب تجار مدينة قرطاجة ومدينة سلكتوم (*Sullectum*) بساحة الاتحادات المهنية بميناء أوستيا في روما⁴، أو ما عبرت عنه فسيفساء ألتيبوروس (*Althiburus*) التي عثر عليها في مدينة الكاف، وعلى الرغم من أنها مؤرخة بالفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين إلا أن ما تظهره من سفن من دون شك هي نفسها التي استخدمت خلال فترة حكم الأسرة

¹ - Aubet (M. E), *The Phoenicians and the West: Politics, Colonies and Trade*, edit, Cambridge University Press, Cambridge, 1993, p 149.

² - Auguste (J), *La flotte de César: études sur la marine antique*, edit, Firmin Didot, Paris, 1861, p 102.

³ - Gould (R.A), *Archaeology and the Social History of Ships*, edit, Cambridge University Press, Cambridge, 2000, p 135.

⁴ - بشاري (م.الحبيب)، المرجع السابق، ص ص 267-268.

اليوليوكلاودية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الكورييتا (*Corbitae*) والبونتو (*Ponto*) والكلاديفاتا (*Cladivata*)¹.

¹ - Duval (P. M)., 1949, La forme des navires romains, d'après la mosaïque d'Althiburus, Mélanges d'archéologie et d'histoire, t.61, Presses Universitaire de France, Paris, p. 134.

III- النشاط التجاري:

تمثل التجارة أحد أهم المؤشرات التي تعكس مدى تطور وازدهار النشاط الفلاحي والصناعي، وهي عامل أساسي لتحقيق التكامل بين هذين القطاعين من خلال تسويق البضائع وتوفير المواد الأولية سواء من الناتج المحلي أو الأجنبي.

وبناءً على هذه الاعتبارات ونظراً للطابع الاستغلالي الذي تميزت به الحركة الاستعمارية الرومانية بلاد المغرب القديم، نشطت الحركة التجارية للمقاطعات الإفريقية عامة والبروقنصلية خاصة على الصعيد الداخلي والخارجي من أجل تلبية حاجيات روما على وجه الخصوص. ولذلك عمل الرومان على تهيئة السبل والأساليب الضرورية التي من شأنها تسهيل التحكم في تجارة البروقنصلية¹.

1- الموانئ وشبكة الطرق في إفريقيا البروقنصلية ومساهمتها في الحركة التجارية:

1-1 - شبكة الطرق :

الطريق مرفق حضاري هام تقوم عليه الحياة الاقتصادية والمدنية ويعتبره الكثيرون جزء من الآلة العسكرية الرومانية وأداة أساسية للسيطرة²، حيث تم شق العديد من الطرقات من طرف الجنود الرومان لتفعيل الدور العسكري لهذه البنية واستخدامها في العمل على تطوير الحركة التجارية³.

تكونت الطرق الرومانية من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى أولاً الحجارة الصلبة ثم سرير من الحصى ثم أحجار غير منتظمة الشكل ، وفي بعض الأحيان تتكون الطرق من سرير من الرمل

¹ - كابلي (فاطمة)، المرجع السابق، ص 91.

² - عقون (م.العربي)، المرجع السابق، ص 127.

³ - Julien (Ch.A), Histoire de l'Afrique du nord: Des origines à 1830, edit, Payot, Paris, 2001, p 187.

من الأسفل الى الأعلى تعلوها حجارة صلبة وخلطة اسمنت من الرمل والحصى وعلى حواف الطريق ترصع الحجارة الخاصة بالبناء لكي تعمل على تماسك الطريق¹.

صنفت الطرق الرومانية إلى طرق عمومية (*Viae publicae*) وطرق خاصة (*Viae privatae*) وطرق عسكرية (*viae militare*) وطرق زراعية (*Viae agraria*) وطرق قروية (*Viae vicinale*)².

لقد كان للطريق أهمية بالغة في مجالات شتى باعتبارها احدى أهم البنى القاعدية التي ساعدت على:

- تثبيت دعائم التواجد الروماني في منطقة المغرب القديم، بتسهيل تحركات الجيش وتنقله من منطقة إلى أخرى بالإضافة إلى مراقبة ومحاصرة القبائل المحلية الثائرة³.
- ربط مختلف الأقاليم ببعضها البعض.
- المساهمة في بث الأمن.
- نقل البريد بسرعة وفي ظروف حسنة.
- المساهمة في نشر العادات والتقاليد والديانة الرومانية واللغة اللاتينية.
- تسهيل تنقل المسؤولين في مقاطعاتهم.
- ضمان نقل مختلف البضائع نحو الأسواق والموانئ⁴.

نظرا للأبعاد المتعددة لأهمية الطريق أنشأت السلطات الرومانية العديد من الطرقات في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، والتي يعود أغلبها إلى مرحلة ما قبل الاحتلال الروماني لتراب المقاطعة

¹ - Julien (Ch.A), op cit, p 188.

² - Daremberg, (Ch), Saglio (E), Dictionnaire des antiquités grecques et romaines d'après les textes et les monuments, Vol. 5, edit, Hachette, Paris, 1875, p 782.

³ - منصوري (خديجة)، التغيرات الاجتماعية والإقتصادية في موريطانيا القيصرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، الجزائر، 1997، ص 283.

⁴ - شارن (شافية)، المرجع السابق، ص 225-226.

وهي عبارة عن ممرات ومسالك وطرق استخدمها القرطاجيون لربط عاصمتهم بمختلف الأقاليم التابعة لهم وتأمين تجارتهم¹.

عمل الرومان دون شك على عدم إهمال هذه الطرقات وقاموا بصيانتها وإصلاحها وربطها بطرق جديدة، ومن أبرز الطرق التي مثلت شريان النشاط التجاري في مقاطعة البروقنصلية وحقت إلى حد كبير الاتصال بين معظم المناطق.

أ- ملحقات الطريق

أنشأ الرومان العديد من الملحقات التي وجدوا أنها ضرورية لكي يؤدي الطريق الدور الذي أقيم من أجله، ومن الأمثلة عن هذه الملحقات:

- الجسور :

هناك عدة أنواع من الجسور برزت من خلالها الفنون المدججة ببناء الطريق كالطريق المحمولة (Viaduc) ما بين جزيرتي قرقة وهي أهم عمل فني في طرق إفريقيا القديمة بالإضافة إلى الجسر العابر لوادي باجة في الطريق نحو هيبو ريجيوس المتفرعة عن طريق قرطاج-تيفست (Theveste) والتي أنجزت في عهد الإمبراطور تيبيريوس².

- المعالم الميلية :

دعمت الطرق بالمعالم الميلية التي كان الغرض منها إرشاد مستخدمي الطرق بتحديد المسافات بين المدينة والأخرى، وربما كان الفينيقيون أول من اهتم بوضع هذه المعالم على الطرقات، وقد شرعت سلطات الاحتلال الروماني في وضع هذه المعالم في بلاد المغرب بداية القرن الأول³.

¹ - Salama (P), Les Voies romaines de l'Afrique du Nord, edit, Gouvernement Général de l'Algérie, Alger, 1951, p 41.

² - عقون (م.العربي)، المرجع السابق، ص 131.

³ - شارن (شافية)، المرجع السابق، ص 238.

زيادة على المعالم الملية كانت الطريق مزودة بعيون الماء وأبراج المراقبة التي كان بعضها لغرض توفير الأمن أو صيانة الطرق ،هذا وقد وجد في الطريق محطات للبريد وادارة الأنونة ومخازن واسطبلات¹.

ب- أهم الطرق في إفريقيا البروقنصلية

لقد امتدت شبكة الطرقات في كل الاتجاهات من قرطاجة إلى تبسة وطريق من قفصة إلى قابس تم تدشينه رسميا بعد وفاة الإمبراطور أوغسطس سنة 14م على يد بروقنصل المقاطعة أسبويناس (Aspoenas)²، بالإضافة إلى الطرق من قرطاجة نحو أوتيكا (Utica) وبيزرت (Hippo Diarrhytus) ومن قرطاجة إلى الكاف ونابل ومن قرطاجة باتجاه حضرموت وثابسوس³. الطريق الساحلي الممتد من طبرقة (Thabraca) إلى برقة⁴، ومنه انطلقت شبكة من الطرق إلى الداخل لنقل السلع والبضائع نحو موانئ المقاطعة⁵.

وربطت الطرق حضرموت بتبسة وهنشير كتارة (Aquae regiae) وسيطلة (Sufetula) وكيلييوم (Cillium)، وحضرموت بكوريفا (Coreva) و Thuburbo majus إلى (Maxula)⁶، ضف إلى ذلك طريق قرطاجة إلى تيلبات (Thélpét) نحو تبسة ومن هذه الأخيرة إلى هيبو ريجيوس ومن شمتو إلى طبرقة⁷، وكذلك من باجة وبولا ريجيا إلى طبرقة ومن منطقة فزان في الجنوب إلى موانئ لبدة الكبرى (Leptis magna) وأويا (Oea) في الشمال⁸.

¹ - عقون (م.العربي)، المرجع السابق، ص 132-133.

² - Salama (P), op.cit, p 24.

³ - حمداش (فهيمة)، المرجع السابق، ص 324.

⁴ - Toutain (J), op cit, p 135.

⁵ - Decret (F), Fantar (M), op cit, p 220.

⁶ - Toutain (J), op.cit, p 135, 137.

⁷ - عقون (م.العربي)، المرجع السابق، ص 127، 129.

⁸ - Salama (P), op.cit, p 44.

لم تكن الطرق التي جلبت السلع والبضائع من مواطن الجيتول والغرامنت جنوب البروقنصلية خاضعة للرومان خلال حكم الأسرة اليوليوكلاودية حتى القرن الثالث الميلادي، ولكن هذا لم يمنع من وصول منتوجاتها إلى موانئ صبراتة (Sabrata) وأويا ولبدة الكبرى عبر المسالك التي تعود للتجار سُلوكتها¹.

تجدر الإشارة إلى أن الكثير من الطرق ساعدت على نشأة العديد من التجمعات السكانية بالقرب منها، حيث أقيمت الأسواق التي سهلت المبادلات التجارية، كما بنيت في عدة مدن بالقرب من الطرقات مخازن الحبوب التي كانت تحمل اسم (Horrea) نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مخازن قرطاجة² أوريا أغوستاي في أوتيكا و أوريا كايليا (Horrea Caelia) في هرقلية³.

1-2- الموانئ:

ضمت سواحل البروقنصلية خلال العصر الروماني العديد من الموانئ، كان بعضها تجاريا محضا وكان البعض الآخر عسكريا، ومما لاشك فيه أن جل هذه الموانئ كانت عبارة عن موروث فينيقي قرطاجي استغله الرومان من أجل التحكم في الموارد الاقتصادية للمقاطعة، وخاصة أنها تتصل بمراكز الانتاج الزراعي والصناعي بشبكة طرقات ممتدة إلى مختلف أقاليم البروقنصلية. ومن بين أهم الموانئ التجارية في هذه المقاطعة نذكر:

- ميناء قرطاجة:

¹ - Toutain (J), op.cit, p 140.

² - Ammien Marcellin, Histoires, XXXVIII, 1, 17, trad, Nisard, M., edit, Le Chevalier et Cie, Paris, 1851.

³ - Cagnat (R.), L'annonce d'Afrique, Mémoires de l'Institut de France, t.40, ed, Imprimerie nationale, Paris, 1916, pp. 20-21.

يذكر أوغست أودولنت (*Auguste A.*) أن موقع ميناء قرطاجة في الفترة الرومانية هو نفسه في العصر البوني وفي الوقت الذي وصل فيه كراكوس إلى الأراضي الأفريقية كان الميناء العسكري والميناء التجاري لا يزالان معترفًا بهما¹، وهذا ما يؤكد على أن السلطات الرومانية على الرغم من تدميرها للمدينة احتفظت بوظيفة الميناء الذي كانت تتردد عليه أنواع مختلفة من السفن التجارية ويتسع في جانبه العسكري إلى 220 سفينة حربية².

لعب ميناء قرطاجة دورا محوريا في تنشيط حركة التجارة الخارجية للبروقنصلية سواء مع روما أو جزر صقلية و سردينيا و شبه الجزيرة الإيبيرية، ويظهر ذلك من خلال بقايا الأمفورات المخصصة لنقل المواد الغذائية الاستهلاكية³.

- ميناء لبدة الكبرى:

تم إقامة هذا الميناء داخل حوض شبه مغلق في موقع محمي إلى حد ما من تأثير الرياح والعواصف البحرية، سمح خلال الفترة الرومانية بتصدير المنتجات من منطقة طربلس الغنية بمنتجاتها المتنوعة وخاصة تلك القادمة من جنوب البروقنصلية⁴، ولعل هذا ما دفع رياض حمروني بتصنيفه من حيث الأهمية مع ميناء قرطاجة⁵.

- ميناء طبرقة:

¹ - Audollent (A), Carthage romaine: 146 avant Jésus-Christ-698 après Jésus-Christ, edit, A. Fontemoing, Paris, 1901, p 219.

² - Appien, Roman History, the punic war frag, VIII, 96, tran, White, H., Harvard University Press, London, 1972.

³ - Hamrouni (R), A propos du réseau portuaire de l'Afrique romaine : cas du littoral tunisien, Africa et in Hispania. Études sur l'Huile Africaine, edit, UB, Barcelona, 2007, p 56.

⁴ - Laronde (A), Le port de Lepcis Magna, C.-R. Acad. Inscr., t. 132, n° 2, Paris, 1988, p 336, 339.

⁵ - Hamrouni (R), op.cit, p 56.

شكل خليج طبرقة المرسى الأساسي لميناء طبرقة المحمي ببحال الخميري التي شكلت حاجزًا ضد الرياح السائدة القادمة من الشمال الغربي، كما وفرت الجزيرة حماية إضافية ضد الرياح والأمواج¹، وقد اشتهر هذا الميناء بتصدير الموارد الزراعية والرخام² والأخشاب وحيوانات ألعاب السيرك³.

- ميناء بيزرت:

يتكون هذا الميناء من مرفأين أحدهما داخلي والآخر خارجي، فهذا الأخير يقع في خليج محمي طبيعيًا أما الداخلي فيقع في حوض بحيرة بيزرت⁴، تشير البقايا الأثرية التي عثر عليها في محيط المدينة أنها تعود إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، سيطر عليها أغاتوكليس عند نزول قواته سنة 301 ق.م في بلاد المغرب وحاول أن يتخذ منها قاعدة عسكرية لقواته⁵. يذكر كل من محمد فنطر و فرونسوا دوكري أنه عرف بتصدير الموارد الزراعية⁶.

- ميناء سوليكتوم:

أنشئ ميناء سوليكتوم داخل خليج محمي طبيعيًا من الرياح والأمواج برأس سلاكتا⁷ إلى الجنوب من مدينة المهدية⁸، وعن أهميته التجارية يذكر أناتول تولوت (Toulotte A.) أنه بينما كان التجار السوريون يترددون ببضائعهم على هذا الميناء كان تجار سوليكتوم يبيعون سلعهم في

¹ - Carayon (N), op.cit, p 428.

² - Decret (F), Fantar (M), op.cit, p 221.

³ - Toutain (J), op.cit, p 146.

⁴ - Bos (Ch), La marine qu'il nous fait, edit, Berger-Levrault, Paris, 1906, p 348-349.

⁵ - Carayon (N), Les ports phéniciens et puniques. Géomorphologie et infrastructures, thèse de doctorat en Sciences de l'Antiquité-Archéologie, Université Marc Bloch-Strasbourg II, Strasbourg, 2008, p 146.

⁶ - Decret (F), Fantar (M), Loc cit.

⁷ - Gadhoun (A), Le port de Sullecthum (Salakta), Actes des journées d'études sur Ksour Essef: Sullecthum, Salakta et ses environs à l'époque antique et médiévale, edit. Ksour Essef, Sousse, 2019, p 77, 78.

⁸ - Carayon (N), op.cit, p 887.

أوستيا¹، وربما خير دليل على ذلك فسيفساء مكتب تجار مدينة سلكتوم بساحة الاتحادات المهنية²، ومن دون شك كانت المنتجات القادمة من الشرق تتمثل في الحرير والعطور والمجوهرات الثمينة³.

بالإضافة إلى هذه الموانئ يذكر توتان (Toutin) قائمة لمجموعة أخرى من الموانئ هي: ميناء أوتيكا في بوشاتر وكلوييا أونيك (Clupea Aonic) في القليبية وكوروييس (Curubis) في كوربا، نيابوليس في نابل، وميناء أوريا كايليا في هرقله وحضرموت في سوسة، وروسيينا في مونيستير، وثابسوس بالقرب من رأس ديماس⁴.

وأشار كذلك إلى ميناء أشولا (Acholla) في بير العالية وروسباي (Ruspae) بالقرب من رأس كابوديا وطبرورا (Taparura) في صفاقس وثناي (Thaenae) في هارتين وتاكاب (Tacape) في قابس وغيتيس (Gighthis) في سيدي سالم بوغرة، ومينائي صبراتا وأويا في طرابلس⁵.

2- التجارة الداخلية:

مما لا ريب فيه أن التبادل التجاري داخل حدود افريقيا البروقنصلية خلال فترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية امتاز بالنشاط، نظرا للإنتاج الزراعي والصناعي المتنوع الذي توفره مختلف مناطق المقاطعة، إلا أنه من الصعوبة بمكان التعرف على طبيعة المبادلات التجارية بشكل دقيق ومفصل، نظرا لقلة المعلومات التي توفرها المادة العلمية مقارنة بالتبادل التجاري الخارجي وخاصة مع روما.

¹ - Toulotte (A), Géographie de l'Afrique chrétienne, edit, Notre-Dame des près, Paris, 1894, p 128.

² - CIL, XIV, 4549.

³ - Toulotte (A), op cit, p 128.

⁴ - Toutain (J), op.cit, p 144.

⁵ - Ibid, p 145.

حسب ما أشار إليه "بيار سلاما" فإن المبادلات التجارية الداخلية كانت تقوم عن طريق الأسواق التي ربطت الريف بالمدينة وزودت السكان بالمنتجات التي يحتاجونها¹، وفي هذا الصدد نشاطر "محمد العربي عقون" الرأي في أن كثافة شبكة الطرقات البرية في إفريقيا البروقنصلية كان لها دور بالغ الأهمية في تنشيط الأسواق وتسهيل التردد عليها²، كسوق الزيت والحبوب والأغنام في ثيسدروس (Thysdrus)³ وأسواق القمح في باجة و مكث و بوله ريجيا وسوق الزيتون في توفة⁴، كما وجد في القرى أسواق أقيمت في أروقة بها دكاكين للسلع التموينية المختلفة ومن الأمثلة عنها سوق لبدة الذي ضم الكثير من المحلات الصغيرة التي وجدت فيها نقوش احتوت على أسماء المحاسبين والمكايل والمقاييس⁵.

كما هي عليه الأوضاع حاليا فقد تم تنظيم الأسواق في تراب مقاطعة البروقنصلية بشكل دوري وذلك بالتنسيق مع السلطات التي تشرف على إدارتها، فعقدت الأسواق نصف الشهرية كسوق كازاي بيقوين⁶ وسوق عين كرمة⁷، كما تم تنظيم الأسواق في يوم بعينه من أيام الأسبوع حيث تقوم كل مدينة أو قرية بعقد السوق في اليوم الخاص بها⁸، حيث يقبل عليها التجار والفلاحون لبيع وشراء المنتجات الفلاحية والماشية والأواني والملابس والأقمشة⁹.

¹ - Salama (P), op.cit, p 47.

² - عقون (م.عربي)، المرجع السابق، ص 138.

³ - Hilali (A), Rome and Agriculture in Africa Proconsularis : Land and Hydraulic Development, Revue belge de philologie et d'histoire, t. 91, n° 1, Droz, Belgique, 2013, p. 120.

⁴ - Shaw (B), Rural Markets in North Africa and the Political Economy of the Roman Empire, Antiquités africaines, n° 17, edit, CNRS, 1981, Paris, p 37, 84.

⁵ - حمداش (فهيمة)، المرجع السابق، ص 71.

⁶ - CIL, VIII, 11451.

⁷ - Shaw (B), op.cit, p 37, 84.

⁸ - المجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 30.

⁹ - المحجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص 139.

3- التجارة الخارجية:

على غرار النشاط التجاري الذي كان مزدهرا داخل مقاطعة البروقنصلية ومدتها فقد نشطت الحركة التجارية الخارجية وذلك عبر استيراد وتصدير مختلف المنتجات.

أ- الصادرات:

يذكر "محمد العربي عقون" أن حصة الأسد من السلع والبضائع الإفريقية الموجهة للتصدير ابتداء من العهد الإمبراطوري كانت موجهة إلى الموانئ الإيطالية على وجه الخصوص، يقوم على نقلها مجموعة من الخواص يمتلكون المراكب (*Navicularii*) الخاصة بالشحن تحت إشراف وكيل الأنونة مباشرة¹، وقد تمثلت صادرات إفريقية البروقنصلية في:

- المواد الغذائية:

مثل القمح أهم مادة تجارية ضمن صادرات البروقنصلية إلى روما، لأنه الغذاء الأساسي لعامة الرومان²، ونظرا لنوعية القمح الإفريقي الجيدة الذي كان يعطي الموديس الواحد منه ما يعادل تقريبا 80 % من الدقيق و 20 % من النخالة³. كما زودت البروقنصلية الأسواق الإيطالية بالزيت الذي شكل مادة تموينية أساسية⁴، بالإضافة إلى السمك المملح ومرق السمك الذي استعمله الرومان يوميا في الطبخ مع اللحم والخضر⁵.

¹ - عقون (م.عربي)، المرجع السابق، ص 141.

² - الجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 31.

³ - مسعودي (أسيا)، المرجع السابق، ص 22.

⁴ - Toutain (J), op.cit, p 143.

⁵ - Grimal (P), op cit, p29.

ومن المواد الغذائية التي عرفت إقبالا كبيرا في أسواق روما، الكروم الذي تم تصديره في البداية مجففا وشرابا يسمى باسوم (Passum)¹، هذا واشتهرت موانئ البروقنصلية بتصدير فاكهة الرمان والتين²، هذه الأخيرة التي كانت محفزا على اندلاع الحرب البونيقية الثالثة³.

- الأخشاب:

مما لا شك فيه أن فئة من تجار البروقنصلية تخصصوا في تصدير الأخشاب إلى روما لصناعة السفن والآثاث والتدفئة كخشب البلوط والأرز والعفصية⁴، هذا النوع الأخير الذي استعمل في صناعة الأسرة والموائد ذات الرجل العاجية الأحادية التي وصل ثمن بعضها مليون سترس⁵.

- المواد المنجمية:

اشتملت الصادرات المنجمية الحديد والنحاس والرصاص، ناهيك عن تصدير الرخام بنوعيه الأحمر والأصفر الذي تشهد المنشآت العمرانية التي أنشئت في عهد أوغسطس على تصديره من البروقنصلية⁶. وكان الرخام يترك في مخازن بالقرب من المحاجر ثم ينقل الى موانئ التصدير من قرطاجة وتبرقة الى روما⁷.

- الصادرات الحيوانية:

صدرت موانئ البروقنصلية أنواعا متعددة من الحيوانات، من دون شك كانت عبارة عن أغنام ودواجن وخيول⁸، وكذا الحيوانات الخاصة بالألعاب التي شجعها الأباطرة وأقبل عليها

¹ - حارش (م.الهادي)، المرجع السابق، ص 209.

² - Aneur (Y), op.cit, p 199.

³ - Plin l'Ancien, XV, 20.

⁴ - حارش (م.الهادي)، المرجع السابق، ص 209.

⁵ - مسعودي (أسيا)، المرجع السابق، ص 28.

⁶ - Toutain (J), op.cit, p 139.

⁷ - Salama (P), op.cit, p 44.

⁸ - حارش (م.الهادي)، المرجع السابق، ص 210.

الجمهور الروماني بشغف مثل : الفيلة والأسود والفهود والديبة والنمور¹، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى قتل 3500 حيوان خلال ستة وعشرون يوما تم استيرادها من إفريقيا في عهد أغسطس بغرض التسلية⁽²⁾، كما تم أيضا ذبح ستمائة (600) حيوان ليبي على شرف احتفالات أخرى أقامها أوغسطس⁽³⁾.

- العبيد:

عرفت تجارة العبيد نشاطا واسعا بين الموانئ الإفريقية والإيطالية، نظرا لطبيعة الأعمال التي أسندت للعبيد والتي كانت تسد الكثير من الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية سواء في أشغال السخرة أو الخدمة في منازل وأملاك الخواص⁴، وقد خضعت تجارة العبيد للرسوم الجمركية حيث كان التاجر مجبرا بالتصريح بعدد العبيد، وكانت السلطات تعاقب من يخفي معلومات خاصة عن عبيده عند عملية البيع⁵.

ب- الواردات:

يذكر "محمد الهادي حارش" أن المؤرخين القدامى لم يولوا الاهتمام بالمنتجات التي كانت تستوردها المقاطعات الإفريقية⁶، وفيما يتعلق بالدراسات الحديثة التي اعتنت بالتجارة الخارجية في مقاطعة البروقنصلية فهي كذلك ركزت كما ذكرنا سابقا على المراحل التي تلت حكم الأسرة اليوليوكلاودية.

(1) - Toutain (J), op.cit, p 149.

(2) - Werner (E), op cit, pp180-181.

(3) - Dion Cassius, Histoire romaine, LIV, 26.

⁴ - مسعودي (أسيا)، المرجع السابق، ص ص 40، 41.

⁵ - نفسه، ص ص 43، 44.

⁶ - حارش (م.الهادي)، المرجع السابق، ص 210.

فيما يخص واردات مقاطعة البروقنصلية يشير "عمار المحجوبي" إلى العبيد وحيوانات السيرك وبيض وريش النعام من الصحراء¹، ويشير "بيار سلاما" إلى الحرير والجواهر المستوردة من المقاطعات الشرقية للإمبراطورية²، كما استورد تجار البروقنصلية الخمر من إيطاليا، حيث عثر على عدد من الجرار التي نقل فيها في قرطاجة، والأجر المصنع في روما وجدت آثاره في دوقة وحمم الدراجي³، كما تشهد البقايا الأثرية في كل من مدينة لبدة الصغرى و ثابسوس وحضرموت على استيراد الرخام والمصاييح والخزف من اليونان وآسيا الصغرى وسردينيا⁴.

IV- تموين روما عبر فرض الضرائب:

شكلت الضرائب بالنسبة للسلطة الرومانية موردا اقتصاديا أساسيا لتغطية احتياجات خزينة الإمبراطورية وسد حاجيات فقراء روما بالأغذية الأساسية التي حصلوا عليها مجانا أو بأسعار رخيصة، ومن أجل هذا سخر الرومان كل الوسائل لتحصيل الضرائب من مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، بإحصاء عدد سكانها وأملاكهم العقارية والمنقولة وطبيعة نشاطاتهم.

1- تحصيل الضرائب:

يذكر محمد العربي عقون أن المشرع الروماني منح امتياز تحصيل الضرائب إلى مجموعة من الخواص أطلق عليهم تسمية البولييكاني (*Publicani*)⁵، إلا أن القناصل والأباطرة الرومان انتزعوا منهم هذا الامتياز تدريجيا حتى أصبح تحصيل الضرائب يقوم به موظفون تابعون لأجهزة الدولة، ففي عهد يوليوس قيصر منع هؤلاء الخواص من تحصيلها في مقاطعة سوريا وأوكل المهمة إلى

¹ - المحجوبي (عمار)، المرجع السابق، ص 139.

² - Salama (P), op.cit, p 46.

³ - مسعودي (أسيا)، المرجع السابق، ص 50، 51.

⁴ - Aneur (Y), op.cit, p 209-210.

⁵ - عقون (م. العربي)، المرجع السابق، ص 145.

مسؤولين من طبقة الفرسان كان لهم خبرة في المجال المالي والتجاري¹، وفي عهد أوغسطس صدر قانون يحرمهم من تحصيل الضرائب التجارية وعلى عهد الإمبراطور تراجان عوض الخواص بموظفي البلديات².

قام هؤلاء الموظفون بتحصيل الضرائب في حدود ما يخوله القانون داخل حيز نشاطهم وعلى الطرقات وفي الموانئ للحصول على ضرائب السلع والبضائع، في المكاتب الجمركية في قرطاجة، وهيبوديارتيس، وسوسة، ولبدة الكبرى³.

2- أنواع الضرائب الرومانية في إفريقيا البروقنصلية:

أ- الضريبة على الأشخاص والمدن :

- ضريبة المهزومين (*Stipendium*):

تعتبر ضريبة المهزومين أول ضريبة فُرضت على ولاية إفريقيا مباشرة بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م، وقد اشتهرت بمصطلح (*Stipendium Civitates*) وتعني المدن المهزومة الخاضعة للضريبة، فصارت أراضيهم ملكا للشعب الروماني فينبغي عليهم دفع ضريبة سنوية⁽⁴⁾.

سبق لقيصر أن فرض ضريبة على المدن التي حالفت أعداءه، ففرض مليوني سيستروس على سكان مدينة تابسوس وثلاثة ملايين أخرى على مجلسها، بينما بلغت قيمة العقوبة المفروضة على

¹ - العبادي (م)، الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص ص 89-90.

² - مسعودي (آسيا)، المرجع السابق، ص 65.

³ - الحداد (أحمد)، المرجع السابق، ص 172.

(4) - سعد (ي.مجيد)، النظم الإدارية والمالية في ولاية إفريقيا الرومانية، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة المرقب، ليبيا، 2007، ص 147.

سكان مدينة حضر موت ثلاثة ملايين أيضا ومجلسها خمسة ملايين مع ضمان حماية مدينتهم وأملاكهم، أما سكان مدينة لبدة فقد فرض عليهم ضريبة عينية من زيت الزيتون بلغت ثلاثة ملايين رطل سنويا، وضريبة عينية أخرى من القمح غير معلومة يلتزم بتقديمها سكان ثيسدروس⁽¹⁾

أعتبرت الأرض الإفريقية طبقا للقانون الروماني ملكية خاصة بالشعب الروماني، ومن ثم كلما تم احتلال أراضي جديدة أدرجت ضمن ممتلكات الشعب، فهي بذلك تمثل مصدرا جديدا للثروة من خلال الضرائب التي ستفرض على أهاليها⁽²⁾. كما كان عليه الحال في المراحل الأولى من الاحتلال، إذ تركت قسما كبيرا من الأراضي في يد الجماعات المحلية الخاضعة لها تزرعها مقابل أجر أو ضريبة تدفع للسلطة الرومانية⁽³⁾.

- ضريبة الرأس (*Tributum Capitis*):

يتم دفع هذه الضريبة عند إنشاء مقاطعة جديدة أو إعادة تنظيمها وإحصاء سكانها⁴ يلتزم بدفعها كل فرد عن طبيعة نشاطه أو ممتلكاته الشخصية⁵.

- خدمات البريد العمومي وأعمال السخرة:

لقد توسعت السلطة الرومانية في مفهوم الضريبة، بفرضها مجموعة من الواجبات، رأت بأنه حق للدولة على الأفراد والجماعات، حيث أن ما يقدمه الأهالي من خدمات، إضافة إلى تسليم

(1) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 96.

(2) - مسرحي (جمال)، أوضاع الشرق الجزائري القديم من زوال المملكة النوميدية حتى الغزوات الوندالية 46 ق.م - 429 م "دراسة تحليلية حول الواقع السياسي والإقتصادي في ظل الاحتلال الروماني"، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة باتنة، الجزائر، 2018، ص 246.

(3) - الحداد (أحمد)، المرجع السابق، ص 172.

⁴ - Lémonon (J.P), Ponce Pilate, edit, Atelier, France, 2007, p 92.

⁵ - Edgard Marx, Essai sur les pouvoirs du gouverneur de province sous la République Romaine et jusqu'a Dioclétien, edit, E. Thorin, Paris, 1880, p 81.

الخيل والأعلاف وحتى الوجبات الغذائية لصالح الموظفين العموميين (*cursus publicus*)¹ وإذا تعذر عليهم ذلك يقدمون تعويضا ماليا، أما إذا عجزوا عن تقديمه يقومون بأعمال سخرة لصالح البريد².

– ضريبة الإرث: (*vicesimæ hereditatium*)

جاءت هذه الضريبة ضمن قانون فكونيا *lex Voconia* الصادر سنة 169 ق.م إلا أنها لم تدم طويلا حتى أعاد الإمبراطور فرضها³، تقدر بـ 5% يدفعها الورثة من جملة التركة التي يرثونها⁴ والقانون استثنى الأكثر قرابة أو في حالة كانت التركة – أقل من مائة ألف سسترس بالنسبة لمنطقة المغرب النقوش تشير إلى وجود هذه الضريبة في فترة تراجانوس، والمنطقة التي وجدت بها النقيشة هي لبدة ليبيا⁵.

ب – الضريبة على المنتوجات الزراعية :

– ضريبة الأنونة (*Annona*):

دفعت الحاجة السياسية حكام الدولة الرومانية إلى استحداث سياسة تضمن تموين المواطنين الرومان بالقمح كطريقة لشراء السلم الاجتماعي⁽⁶⁾، وتسمى آلية التموين تلك بالأنونة، إذ يدل المصطلح على المحصول السنوي الذي يجنيه المزارع في السنة (*Annus*)⁽⁷⁾، وقد استحدث الإمبراطور أوغسطس وظيفة برايفيكتيس الأنونة (*praefectus annonae*)⁽⁸⁾، وهو موظف

¹ - Rouche (M), Le Choc des cultures: Romanité, Chrétienté durant le Haut Moyen Âge, edit, Presses Universitaires du Septentrion, France, 2003, p 64.

² - الجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 80.

³ - Tanquerey (H), op.cit, p 46-47.

⁴ - Viollet (P), op.cit, p 94-95.

⁵ - الجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 94-95.

(6) – Daremberg (Ch), Saglio (E.), op cit, p278.

(7) – Ibid, p273.

(8) – Smith (W), op cit, p19.

مكلف بجمع الضريبة السنوية على المزارعين. لتملأ الدولة مخازنها من القمح ثم يجري توزيعه مجاناً أو بأسعار زهيدة، وغالبا ما كان يحدث ذلك في حالتين: حدوث المجاعة أو لتجنبها، أو في المناسبات والاحتفالات⁽¹⁾. ويعرف هذا النوع من التموين باسم التموين المدني (*Annona Civica*) تمييزاً له عن التموين العسكري (*Annona Militaris*) الخاص بالجند⁽²⁾ ، وقد شمل هذا التموين القمح إضافة إلى مواد أخرى كالخمر والزيت والتبن ولحم الخنزير والضأن.

عملت السلطة الرومانية على سن القوانين الرامية إلى تأمين تموين السوق الرومانية بالمواد الغذائية الأساسية كما عينت لأجل هذا الغرض موظفاً (الإيديليس) يعمل على مراقبة السوق وما يتم تداوله من منتجات ومراقبة جودتها وأوزانها⁽³⁾، للسماح للمواطنين الرومان بإقتنائها بأسعار منخفضة، كما فُرضت لهذا الغرض نُظم ضريبية كانت في الغالب على شكل جمع متكرر للمواد من مختلف المقاطعات، ولتغطية العجز الذي كانت تعانيه السوق الرومانية مثلت المقاطعات منذ العهد الجمهوري مخزناً تلجأ إليه روما، ولعل مقاطعات بلاد المغرب في مقدمتها⁽⁴⁾.

- ضريبة العشر (*Decuma*) :

كانت معظم الضرائب التي فرضها الرومان في ولاية إفريقية تؤخذ عينا لا نقداً، وسبب يرجع إلى أنه كان على الدولة الرومانية أن توفر المنتجات الغذائية من قمح وزيت، حيث وجدت أن

(1) – Henriette (P.D), La préfecture de l'annone, service administratif impérial d'Auguste à Constantin, E.F.R., Rome, 1976, p4.

(2) - مسعودي (آسيا)، المرجع السابق، ص 44.

(3) – Smith (W), op cit, p18.

(4) - (بشاري (م.الحبيب)، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 181.

هذا الأسلوب مناسب بأن تحصل روما على حاجاتها بأقل التكاليف⁽¹⁾. وغالبا ما كانت المادة المطلوبة تتمثل في القمح بالدرجة الأولى وكذا الشعير والزيت والنبيد والفواكه⁽²⁾.

التزم كل مزارع بنسبة من المحاصيل يدفعها بعد إحصاء المساحة المزروعة ونوع المزروعات وكمية البذور بالنسبة لكل سنة، فتكون بذلك ضريبة غير ثابتة وقابلة للتغيير بتغير الظروف السنوية، وحتى تجني روما كل ما تعتبره حقا لها فرضت على المزارعين ترك محاصيلهم بعد الدرس حتى يحضر مسؤول جباية الضرائب ليحدد الكمية التي تعود إلى الدولة⁽³⁾.

ومثال على ذلك الضريبة التي فرضها يوليوس قيصر على الأراضي النوميديّة المحتلة والتي تقدر بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون سنة 46 ق.م واستمرت في دفعها حتى عهد الإمبراطور أوغسطس أين تم إعفاؤها⁽⁴⁾، وأثناء معركته مع لابينوس (Labienus) كان يعاني من نقص في التموين فوصل مدينة أغار (جنوب غرب تونس الحالية) وقام بجولة عبر الحقول للتموين فعاد بكميات كبيرة من الشعير والزيت والخمر والتين وقليل من القمح⁽⁵⁾. ولسنا نعلم إن كانت هذه المؤن التي جلبها كانت في إطار مساعدة قُدمت له ولجيشه أم هو نسبة من الضريبة المفروضة على المدينة أم نهب واستيلاء عليها.

تجدر الإشارة إلى الحالات الاستثنائية التي كان يمكن فيها الإعفاء الضريبي على المدن في حالات الجذب الشديد أو الكوارث الطبيعية⁽⁶⁾.

(1) - سعد (ي. مجيد)، المرجع السابق، ص 150.

(2) - حسناوي ('صافية)، دور قانونا مانكيانا وهادريانا في الزراعة المغاربية القرنين الأول والثاني للميلاد، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015، ص 52.

(3) - بشاري (م. الحبيب)، المرجع السابق، ص 217.

(4) - أنديشة (أ. محمد)، المرجع السابق، ص 182.

(5) - يوليوس قيصر، المصدر السابق، 67.

(6) - Tacite, Annales, IV, 13.

ساهمت هذه الضرائب وغيرها⁽¹⁾ في ضمان تزويد روما بمؤونتها السنوية التي كانت تسد حاجياتها من الغذاء خاصة القمح، وهذه بعض الأمثلة على مقدار التموين السنوي الذي كانت تتحصل عليه:

- في عهد يوليوس قيصر و بالتحديد في سنة 46 ق.م أعلن بعد عودته منصرًا من حرب إفريقية سنة 46 ق.م بأن روما ستتحصل سنويا على مائتي ألف (200.000) موديس من القمح وثلاثة ملايين (3000000) رطل من الزيت⁽²⁾.

- في عهد الإمبراطور نيرون (54 - 68) م أصبحت المقاطعات الرومانية في إفريقية تضمن تموين روما لمدة 8 أشهر⁽³⁾.

ج- الضرائب التجارية:

- ضريبة البيع في المزداد (*centesima rerumvenalium*)

لتعويض خسائر الحرب الأهلية وتغطية التكاليف الإدارية المتزايدة باستمرار، اضطر أوغسطس للجوء إلى ضرائب جديدة. فاستحدث ضرائب على بيع البضائع ومبيعات المزداد العلني⁴، وقد طبقها حوالي سنة 6م حيث تُفرض على المبيعات في المزداد وعلى عقود الشراء⁵،

(1) - مثل الضرائب المفروضة على الزيوت والخمور وضريبة الخمس على الفواكه وضريبة الأرض حسب الخصوبة والمساحة. عقون (م.العربي)، المرجع السابق، ص 146.

(2) - Plutarque, Vie de César, 55.

(3) - Picard (G), Néron et le blé d'Afrique, C.-R. Acad. Inscr., Ann.1956, p69.

⁴ - Cagnat (R), Étude historique sur les impôts indirects chez les Romains jusqu'aux invasions des barbares, edit, Thorin. E., Paris, 1882, p 227.

⁵ - Tanquerey (H), Droit Romain: Des Impots Sur Les Mutations a Rome: Droit Français: de l'Impot Sur Le Revenu Des Valeurs Mobilières, Thèse de doctorat en histoire de droit, Faculté de droit de paris, edit, Arthur Rousseau, Paris, 1887, pp 117, 119.

وتفاوتت سياسة الأباطرة اتجاه هذه الضريبة، فهناك من عمل على خفضها مثل تيبيريوس أي جعل قيمة الرسم من 1% إلى النصف 1/2% بالمائة. وسرعان ما أعادها إلى 1% من جديد. وهناك من عمل على إلغائها لكنه سرعان ما تراجع مثل ما فعل كاليغولا¹.

- ضريبة بيع العبيد: (*quinta et vicesima venalium mancipiorum*)

ظهرت هذه الضريبة عند الرومان خلال الفترة الجمهورية حوالي القرن الرابع قبل الميلاد²، بلغت قيمتها 4% من سعر بيع العبيد³، أسقطها نيرون وعوضها بمبلغ يدفعه الشاري للبائع⁴.

- ضريبة العبور: (*Portorium*)

تدفع هذه الضريبة - الرسوم الجمركية - عن نقل السلع والبضائع من منطقة إلى أخرى من حدود السيطرة الرومانية في:

- حدود مختلف الولايات الرومانية .
- على أبواب المدن .
- على الطرق أو عند المرور بالجزر.
- عند دخول وخروج البضائع من الموانئ⁵ .

د- ضرائب أخرى:

¹ - Mommsen (Th), Marquardt (J), De l'organisation Financière chez les Romains, t. 10, trad, Vigié (A), edit, E. Thorin, paris, 1888, 351.

² - Viollet (P), Droit public: Histoire des institutions politiques et administratives de la France, t. 1, edit, L. Larose et Forcel, Paris, 1890, p 94.

³ - Maton (A), Principes de droit fiscal: Principes généraux, t.1, edit, Revue pratique du notariat belge, Bruxelles, 1891, p 62.

⁴ - Ernest (F.d.F), L'impôt dans les diverses civilisations, edit, Guillaumin et cie, Paris, 1897, p185.

⁵ - مسعودي (آسيا)، المرجع السابق، ص 54 - 55.

– ضرائب الأربعة الإفريقية العمومية: (*quatuor publica africae*)

تعددت الآراء حول ضبط المدلول الحقيقي لهذه الضريبة، فهناك من الباحثين من يرى أنها تدل على أربعة ضرائب من بينها ضريبة العبور¹، فيما يرى باحث آخر أن الضرائب الثلاث الأخرى هي الرسوم على بيع العبيد والبيع بالمزاد والضريبة على الإرث²، ومن جهة أخرى يرى غيران (Guérin) أنها تدل على المراكز الأساسية لتحصيل الضرائب في بلاد المغرب القديم وهي: إفريقيا البروقنصلية، نوميديا، بيزاسينا³، يشرف على تحصيل هذه الضرائب موظفون برتبة وكيل (*procurator*)⁴.

¹ - De Laet (S. J), Documents nouveaux concernant les « Quattuor Publica Africae », L'antiquité classique, t. 22, 1, Bruxelles, 1953, p 98.

(3) – الجودي (حمومة)، المرجع السابق، ص 96.

³ - Guérin (E), Des IV P. A. (Les quatre publica), Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, t. 11, edit, Leon, S., Alger, 1906, p 77.

⁴ - Mommsen (Th), Marquardt (J), op.cit, p 349.

خاتمة

خاتمة :

بعد دراسة مقاطعة إفريقيا البروقنصلية خلال فترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية خلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نجملها في النقاط التالية :

تميزت هذه المنطقة من بلاد المغرب القديم بخصائص طبيعية جعلتها محل الأطماع الرومانية منذ الحرب البونيقية الثانية على أقل تقدير.

نفت الأدلة التاريخية والعلمية تشابه مناخ المنطقة مع ما هو عليه اليوم، أي لم يكن مثلما هو من ناحية القحولة، وأنه كان مناخا رطباً مطراً، وهو ما ينفي ادعاءات المؤرخين الغربيين بأن المنطقة كانت قاحلة، ثم أسهمت انجازات الرومان وبراعتهم في ازدهارها، ولقد استعرضنا كيف دافع مؤرخو المدرسة الكولونيالية عن الاستعمار الروماني، وحاولوا توظيف النصوص التاريخية والإشارات الواردة بها إلى ماله علاقة بالمناخ، واستنتجوا من خلالها أن مناخ المنطقة لم يتغير نحو الجفاف بل كان جافاً بالأصل، وهو ادعاء خاطئ، ليس من ورائه إلا دعم فرضية وصول الحضارة إلى المنطقة مع الرومان ونفيها قبل ذلك ولو جزئياً.

شهد القرن الأخير من العهد الجمهوري عدة اضطرابات سياسية في روما، انجر عنها حروب أهلية كان لها كبير الأثر على بلاد المغرب القديم عامة وعلى مقاطعة إفريقيا المستحدثة محل قرطاجة بصفة خاصة، حيث أسفرت الحرب الأهلية بين قيصر وبومبي عن استحداث ولاية إفريقيا الجديدة على حدود الشرقية للولاية القديمة بعد مائة سنة كاملة عن إنشاء هذه الأخيرة.

عقب مقتل قيصر بفترة وجيزة اندلعت الحرب الأهلية الرومانية من جديد بين أوكتافيوس وأنطونيوس، ولم تكن ولايتي إفريقيا القديمة والحديثة الرومانيتين بمنأى عن تلك الأحداث، فقد مثلت جزءاً من مجالها الجغرافي فامتدت الصراعات إليها، وكان تغير الحدود الجغرافية وتوسيع نفوذ

الرومان في إفريقيا على حساب الأراضي النوميديّة أهم انعكاسات الحروب الأهلية الرومانية على المنطقة بشكل عام.

انتهى صراع القناصلة الرومان بمعركة أكتيوم، وقُتل أوكتافيوس رتبة الإمبراطور بلقب أوغسطس فدخلت الدولة الرومانية بذلك مرحلة جديدة تميزت بالتخلي عن النظام الجمهوري وتعويضه بالنظام الإمبراطوري الذي كانت الحاجة إلى اعتماده ملحة بعد أن أصبح النظام الجمهوري عاجزا عن تسيير شؤون الدولة الرومانية مع التطورات التي طرأت عليها على مختلف الأصعدة.

برزت إفريقيا البروقنصلية كمقاطعة رومانية جديدة تم انشاؤها سنة 27 ق.م بعد دمج مقاطعتي إفريقيا القديمة التي أنشئت سنة 146 ق.م مع مقاطعة إفريقيا الجديدة التي أنشأها قيصر سنة 46 ق.م، عقب مشروع إصلاح سياسي وإداري أطلقه الإمبراطور أوغسطس.

تميزت إفريقيا البروقنصلية بكونها مقاطعة سيناتورية، هذه الميزة الإدارية جعلتها تتعد عن التسيير المباشر للإمبراطور، إذ استقل مجلس الشيوخ شكليا بتسييرها بتعيين حكامها ومساعدتهم، فقد لاحظنا تدخل الأباطرة في عملية اقتراع البروقناصل وتعيينهم وإطالة مدة حكمهم.

امتلك حاكم إفريقيا البروقنصلية صلاحيات واسعة برتبة بروقنصل معين لسنة واحدة، فمن تلك الصلاحيات قيادته للجيش وإدارة الشؤون الإدارية والمالية للمقاطعة، يساعده في ذلك ثلاث مندوبين معينين، كانوا أعضاء في مجلس الشيوخ أو قناصل سابقين، ومن خلال الصلاحيات التي خولها مجلس الشيوخ لحاكم المقاطعة يظهر أن إفريقيا البروقنصلية كغيرها من المقاطعات السيناتورية حظيت باستقلالية التسيير عن السلطة المركزية، حيث كان بمقدور البروقنصل إدارة المقاطعة دون الرجوع إلى مجلس السيناتو، ولا شك أن سياسة البروقناصل المعيّنين مهما اختلفت لم تكن لتخرج عن الأطر العامة للقانون الروماني ولا عن السياسة الإدارية للإمبراطورية.

عرف إقليم البروقنصلية هجرة بشرية استيطانية هائلة منذ عهد قيصر خاصة وحتى خلفائه أوغسطس وتييريوس، واستجابة لتلك الهجرة البشرية شرع أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية في تأسيس المستعمرات في كامل ربوع البروقنصلية، وكان سهل المجردة والمناطق الساحلية خاصة القريبة من إقليم قرطاجة أهم المراكز الاستيطانية، حيث ضمت مستعمرات هامة وذات كثافة سكانية عالية، كما سجلنا تراجعاً في وتيرة الاستيطان ابتداء من فترة الإمبراطور تييريوس.

لم يكن إقليم البروقنصلية منطقة غير حضرية، فقدت أفادت المعطيات والمصادر الأثرية والأدبية وجود شبكة واسعة من النسيج العمراني تمثل في المدن التي تأسست قديماً على يد النوميديين والتي كان ضمنها مدناً اتخذها الملوك النوميدي عواصم أو مراكز لهم، والمدن التي أنشأها الفينيقيون ومن بعدهم البونيقيون.

يُستنتج من هذا أن الإقليم الجغرافي الذي أنشأ عليه الرومان مقاطعة البروقنصلية كان إقليماً حضرياً لم يجتهد الرومان إلا بصبغه صبغة رومانية، حيث استقدموا إليه عنصراً بشرياً لاتينياً وأدخلوا عليه تقسيماتهم الإدارية ومستوياتها لتصبح بلاداً رومانية المظهر.

نتيجة سياسة الرومنة المطبقة على المنطقة؛ فقد تشربت بالثقافة اللاتينية وتعرضت للتأثير الروماني المباشر، ونتيجة الحروب التي عاينها وشهدها أهل هذا الإقليم أصبحوا يميلون إلى السلم أكثر من الثورات لاسيما بعد انتشار "السلم الروماني" الذي تبناه الإمبراطور أوغسطس، إذا ما استثنينا بعض الثورات التي قامت بها بعض القبائل كقبيلة الموسولام وتحرشات الجيتول الذين رفضوا الانصياع "لقانون روما"، هذا الوضع جعل المقاطعة تتجه بخطى ثابتة نحو تبني نمط الحياة الروماني وتصبح أكثر تقبلاً للرومنة التي ابتعلت المغرب القديم بأكمله.

لأجل الحفاظ على استقرار إفريقيا البروقنصلية وحماية حدودها من التحرشات التي قامت بها بعض القبائل، ترك في يد حاكم الولاية سلطة عليا تخوله قيادة الجيش، وكان هذا استثناءً متعلقاً

بإفريقيا البروقنصلية دون غيرها من المقاطعات السيناتوروية، ولأجل الغرض السابق قاد البروقنصل الجيش بنفسه وأشرف على تحديد مهامه العسكرية والمهام الأخرى، فعلى غرار الحروب التي خاضها الجيش ضد مقاومة تاكفاريناس والثورات السابقة منذ بداية العهد الجمهوري، أسندت إليه مهام أخرى مثل بناء الجسور وشق الطرق والقنوات المائية ومهام أخرى كان يضطلع بها الفيلق الأوغسطي الثالث.

اهتم الرومان بالنشاط الزراعي أيما اهتمام، فنالت الزراعة النصيب الأوفر من منظومة الاستغلال الاقتصادي المطبقة على إفريقيا البروقنصلية، إذ عملوا على إحصاء الأراضي وتقسيمها تقسيما هندسيا، ثم طبقوا أنواعا مختلفة من الضرائب، كما أنشؤوا لغرض نقلها سلسلة من المخازن ليتم نقل المنتوجات الفلاحية إلى الموانئ لثقل من ثم إلى روما.

لقد ساهمت الزراعة في منطقة إفريقيا البروقنصلية في تغطية قسم كبير من حاجيات روما الغذائية وسد العجز الحاصل في إيطاليا عن تأمين الكميات اللازمة من الغذاء للمواطنين. خاصة القمح الذي كان يعتبر المنتج الأول للغذاء، فنافس القمح الإفريقي القمح الإيطالي، كما تنافس أيضا كبار الملاك على حيازة الأراضي في المقاطعة، فأصبحت عبارة عن مستثمرات فلاحية كبرى يمتلكها كبار الأرستقراطيين الرومان، ولم يكن شعار "أراضي الشعب" *Ager publicus* إلا شعارا زائفا استعملته السلطة الرومانية لتحفيز مواطنيها وجيشها على الاستمرار في ضم الأراضي خارج روما بينما لم يستفد منه إلا الأثرياء.

نظرا لما يحتويه إقليم مقاطعة إفريقيا البروقنصلية من ثروات طبيعية من شأنها أن تنعش النشاط الصناعي، فقد اهتم الرومان أيضا بمختلف الصناعات واستغلال المناجم في استخراج المعادن والمحاجر في استخراج الرخام وغيره، وقد دلت الكشوفات الأثرية في بعض مدن البروقنصلية عن نشاط صناعي متنوع مابين الصناعة الغذائية كتمليح السمك ومعاصر الزيت، والصناعات الحرفية كصناعة الأواني والأومفورات المخصصة للتخزين والتجارة.

أخيرا يمكن القول أن الرومان خلال هذه الفترة أحسنوا استغلال إقليم البروقنصلية لغرضهم الاستعماري لا خدمة للمنطقة، وذلك بتطوير ما وجدوه من منظومات إدارية واقتصادية قرطاجية وأضافوا عليه صبغتهم، كما ساهمت الأسرة اليوليوكلاودية في ترسيخ الرومنة وتعميقها بالمنطقة وذلك بدءا بسلسلة المستعمرات التي تم تأسيسها إلى جانب البلديات المختلفة، ورغم أن البروقنصلية كانت تخضع من الناحية الإدارية إلى مجلس الشيوخ إلا أن ذلك لم يمنع الإمبراطور من التدخل فيها وأبرز مثال يستدل به على ذلك هو حينما ألغى الإمبراطور كاليغولا الامتياز الممنوح للبروقنصل في قيادته للجيش وألحقه به مباشرة، وهو الأمر الذي يجعلنا نعتقد بسلطة الإمبراطور المطلقة على كامل المقاطعات بأنواعها.

تميزت فترة أواخر حكم الإمبراطور نيرون بالاضطراب السياسي في عدة ولايات رومانية، كانت إفريقيا البروقنصلية إحداها، حيث عرفت تمرد حاكمها البروقنصل كلوديوس ماكر سنة 68م، تمرّد لم ينته إلا بقتل البروقنصل وزوال حكم الأسرة اليوليوكلاودية بموت الإمبراطور نيرون، لتدخل إفريقيا البروقنصلية مرحلة جديدة في عهد الأسرة الفلافية (69-79م) بعد سنة من الفوضى عمت الإمبراطورية.

قائمة البيليوغرافيا

1- المصادر الأثرية والمادية :

- Augustus, The Res Gestae of Augustus, 28, trad. Brunt(P.A), Moore(J.M), Oxford, 1969.
- Cagnat (R), Babelon (E), Reinach (S), Atlas Archéologique de la Tunisie, Ernest Leroux Editeur, 1893.
- Corpus Inscriptionum Latinarum (CIL), I, Inscriptiones Latinae Antiquissimae, Mommsen (Th), 1863.
- Corpus Inscriptionum Latinarum, VIII, Inscriptiones Africae Latinae, Wilmanns (G), 1881.
- ILAfr., 422, R. Cagnat, A. Merlin, L. Chatelain, Inscriptions latines d'Afrique (Tripolitaine, Tunisie et Maroc), Paris, 1923.
- ILS, I, 990, Dessau (H), 1892.
- L'Année Epigraphique (AE), Cagnat (R), Besnier (M), Revue des Publications Epigraphiques, Ann.1915, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1916.
- Lex Malacitana, 66.
- Madeleine (R-B.), La Steppisation en Tunisie depuis l'époque punique: Déterminisme humain ou climatique, Histoire et Archéologie de l'Afrique du nord, IIème colloque international, (Grenoble,1983), Bulletin archéologique du C.T.H.S.-H.S.-19 B, 1985.
- Mazard (J), Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeqve, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1955.
- Morel (J.P), Céramique d'hippone, BAA, t.1, 1962-1965, Imprimerie officielle, Alger.
- Morel (J.P), Recherches Stratigraphiques a Hippone, BAA, t.3, 1968, Imprimerie officielle, Alger.
- PIR, (Prosopographia Imperii Romani), I, A.

2- المصادر الأدبية:

أ- المترجمة :

- أفلاطون، محاورة فيدون (في خلود النفس)، تر. عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط.3، مصر، 2002.

- بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، ك.5، تر. الدويب (م.المبروك)، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ط.2، ليبيا، 2019.

- سالوستيوس، الحرب اليوغرطية، تر. الدويب (م.المبروك)، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا.

- هيرودوت، التاريخ، ك.4، تر. الدويب (م.المبروك)، منشورات جامعة قار يونس، ط.1، ليبيا، 2003.

- يوليوس قيصر، حرب أفريقية، تر. حارش (م. الهادي)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

ب- باللغة الأجنبية :

- Ammien Marcellin, Histoires, XXXVIII, 1, 17, trad, Nisard, M., edit, Le Chevalier et Cie, Paris, 1851.

- Appien, des Guerres des Romains en Libye, XXXI, XXXII, Trad. Odet-Philippe, sieur Des Mares, Antoine De Sommáville, Paris, 1659.

-, Guerres civiles, II, 32, trad. Combes-Dounous, Paris, 1808.

- Aristotle, Minor Works, On Marvellous Things Heard, 134, trad. Hett (M.A), Harvard University Press, London, 1955.

- Arnobe l'Ancien, Against the Pagans, I,16, Trans. Hamilton Bryce, Hugh Campbell, V.6, Christian Literature Publishing Co., 1886.

- Aulu-Gelle, Nuits Attiques, XVI, 4, 6, trad. Charpentier (M), Blanchet (M), Garnier, T.2, Paris, 1920.

- Aurélius Victor, Les hommes illustres de la ville de Rome, 73,1, Trad. M. N. A. Dubois, Bibliothèque latine-française, Paris, 1846.

- César, Guerre civile, III, 1, trad. M. Nisard, Didot, Paris, 1865.
- Cicéron, académiques, II, 1,2, trad.Charles Appuhn, Classiques Garnier, Paris, 1936.
- , Lettres à Brutus, I, 3,4, trad. M. Nisard, Paris, 1841.
- , Lettres à des familiers, X, 30, trad. M. Nisard, Paris, 1841.
- , Pro Plancio, 11, trad.M. Nisard, Dubochet, T.3, Paris, 1840.
- , académiques, II, 1,2, trad.Charles Appuhn, Classiques Garnier, Paris, 1936.
- , De la loi agraire, II, 22, trad. de M. Nisard, Paris, 1840.
- , De la République, II, 23, trad. M. Nisard, Dubochet, t.4, Paris, 1841.
- , Lettres à Atticus, VII, 8, trad.M. Nisard, Paris, 1841.
- , Philippiques, I, 13, trad. M. Heguin de Guerle, Paris, 1927 .
- , Pro Ligario, I, trad. M. Nisard, Paris, 1840.
- Corippe, La Johannide, II, 1-49, Trad. J. ALIX, Revue tunisienne, T. 7, 1900.
- Denys d'Halicarnasse, Les Antiquités Romaines, VI, 95, trad. Fr. Bellanger, Paris, 1723.
- Diodore de Scicile, Bibliothèque Historique, XX, 17, Trad. Ferd Hoefer, T.3, Librairie de L.Hachette et C^{ie}, 2^{ème}ed., Paris, 1865.
- Dion Cassius, Histoire romaine, XLIII, 4, trad.E. Gros, Paris, 1850.
- Florus, Histoire romaine, II, IV, trad. M. Nisard, Paris, 1865.
- Justin, Histoire universelle, extraite de Trogue Pompé, XVIII, 5, trad. Pierrot(J), Collection Panckoucke, 1833.
- , Histoire Universelle, XXII, 8, trad. Jules Pierrot, Panckoucke, 1833.

- Lucain, La Pharsale, IV, 580, Trad. Marmontel, GARNIER frères Libraires éditeurs, Paris, 1865.
- Pline l'Ancien, Histoire naturelle, VIII, XVI, Trad. E. Littré, M. Nisard, Paris, 1877.
- Plutarque, Les Vies Des Hommes Illustres, Vie de Caton l'Ancien, trad. B. Latzarus, Garnier, Paris, 1950.
-, Vie de Sylla, 9, T.1, trad. Dominique Ricard, Firmin Didot, Paris, 1868.
- , Vie d'Antoine, 15, trad. D. Ricard, Paris, 1883.
-, Vie de Caton d'Utique, 56, trad. D. Ricard, Paris, 1883.
-, Vie de César, 28,7-8, Trad. D. Ricard, Paris, 1830.
-, Vie de Cicéron, 48, trad. D. Ricard, Paris, 1883.
-, Vie de Marius, 32,35, trad. Ricard (A.D.), Firmin Didot, T.1, Paris, 1868.
-, Vie de Pompée, 12, trad. Ricard (A.D.), Firmin Didot, T.2, Paris.
-, Vie de Pompée, 79, trad. D. Ricard, Paris, 1883.
- Polybe, Histoire Générale, III, 45, Trad. Félix Bouchot, t.1, Charpentier Libraire-Editeur, Paris, 1847.
- Pomponius Mela, La description de la terre, I, 7, trad. Louis Baudet (L), Panckoucke, Paris, 1843.
- Pseudo-Scylax, The Periplous of Pseudo-Skylax, 111, trans. Shipley (G), ed. Graham Shipley, 2002.
- Saint Augustin, Le pasteur unique, Sermons, XLVI, 39, Trad.et direction M. Raulx,T.11, L. Guérin et C^{ie} Editeurs, 1868.
- Saint Cyprien, A Demetien, III, Trad. N.S. Guillon, T.1, Versailles, 1837.

- Silius Italicus, Les Guerres Puniques, III, 250, trad. M. Nisard, Didot, Paris, 1855.
- Solin, Polyhistor, XXVII, Trad. M. A. Agnant, Panckoucke, Paris, 1847.
-, Recueil de faits remarquables, XXVII, XXVIII, trad. Agnant (M.A), Panckoucke, 1847.
- Solin, Recueil de faits remarquables, XXVIII, trad. A. Agnant, Panckoucke, Paris, 1847.
- Spartianus, L’histoire Auguste, Vie d’Hadrien, XXII, 128, Trad. FL.Legay, T.1, Panckoucke Editeur, Paris, 1844.
- Strabon, Geographie, XVII, III, 13, Trad. Amédée Tardieu, T.1, Librairie de L.Hachette et C^{ie}, Paris, 1887.
- Suétone, Vie d’Auguste, 11, trad. Théophile Baudement, 1845.
-, Vie des Césars, Jules César, XXXV, 1, trad. M. Nisard, 1855.
- Tertullien, A SCAPULA, III, Trad. Eugène-Antoine de Genoude, Paris, 1852.
- Tite-Live, Histoire romaine, XXI, 5, Trad. M. E. Pessoneaux, Panckoucke, T.3, Paris, 1909.
- Valère-Maxime, Des faits et des paroles mémorables, III, 7, trad. M. Nisard, Classiques Garnier, Paris, 1935.
- Velleius Paterculus, Histoire romaine, I, 6 ; 12, trad. Hainsselin (P), Watelet (H), Classiques Garnier, Paris, 1932.
- Virgile, Énéide, I, 621, VIII, 675-710, trad. A.-M. Boxus et J. Poucet.
- Vitruve, De l’architecture, II, 9, trad. M. Ch.-L. Maufra, T.1, C. L. F. Panckoucke, Paris, 1847.

3- المراجع :

أ- باللغة العربية :

- أنديشة (أحمد)، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط.1، ليبيا، 1993.
- بشاري (م. الحبيب)، روما وزراعة المقاطعات الأفريقية بين 146 ق.م و 285م، دار الهدى، الجزائر، 2015.
- جوهري (يسرى) ، جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف، مصر 1984.
- حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر.
- حجازي (ع. العزيز ع. الفتاح)، روما وأفريقيا، من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أوغسطس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2007.
- خميس (محمد)، جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.
- دوكريه (فرونسوا) ، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والنشر، سوريا، 1994.
- رزق الله (إبراهيم)، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، ط.1، لبنان، 1996.
- رستوفتزف (م.) ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والإقتصادي، ج.1، تر. زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1957.
- الروبي (أمال)، نظام الحكم الروماني في العصر الجمهوري (من 510 ق.م حتى عام 14 م طبقا للمصادر اللاتينية)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2007.
- سعدني (م. إبراهيم) ، حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول الميلادي)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1998.
- شارن (شافية)، رحامي (ب)، بشاري (م.ح.)، الاحتلال الإستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007.
- شنيقي (م. البشير)، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
-، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط.2، الجزائر.

- الشيخ (حسين)، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (الرومان)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005.
- الصالحى (صلاح ر.)، المملكة الحثية دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول، دار الكتب والوثائق، ط.2، بغداد، 2011.
- العبادي (م)، الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
- عبد الرزاق (يسرى)، شمال إفريقية دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية، مصر، 1970.
- عبد الغني (أنور)، الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1982.
- عقون (م.العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- عمران (رجب سلامة)، الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع والاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري (509 ق.م-31 ق.م)، مكتبة الثقافة، القاهرة، د.ت.
- عيسى (م.علي)، أقواس النصر الرومانية (لبدة، أويا، صبراتة)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، الجزائر، 2010.
- غوتيه (ف.)، ماضي شمال إفريقيا، تر. الحسيني (هاشم)، الفرغاني، ليبيا، 1970.
- فضيخ (ع.العباس) وآخرون، جغرافية الوطن العربي (دراسة لمعوقات تكامله الإقليمي)، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط.1، الأردن، 1999.
- فنطر (م. حسين)، الحرف والصورة في عالم قرطاج، أليف-منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، 1999.
- كامبس (ف. هنريات)، الزيتون والزيت في أفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تر.العربي عقون، دار الهدى، الجزائر، 2014.
- محجوبي (عمار)، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويدي (146 ق.م-235 م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

- مجموعة مؤلفين، الجغرافية في القرن العشرين (دراسة لتقدمها وأساليبها وأهدافها واتجاهاتها)، ج.1، تح. جريفت تيلور، تر. محمد - السيد، محمد مرسى، مر. إبراهيم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.
- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، ليبيا، 1967.
- مكاي (فوزي)، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته (من أقدم العصور حتى 322 ق.م)، دار الرشاد الحديثة، ط.1، الدار البيضاء، 1980.
- مها (م. السيد)، الحصون والتحصينات الدفاعية في شمال إفريقيا في العصر الروماني، الحضرة للطباعة، ط.1، مصر، 2008.
- مونتسكيو، تأملات في تاريخ الرومان (أسباب النهوض والانحطاط)، تر. عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط.1، المغرب، 2001.
- الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية لسياسي والحضاري، دار النهضة العربية، ط.2، مصر، 1991.
- نصحي (إبراهيم)، تاريخ الرومان (133 ق.م-44 ق.م)، ج.2، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1973.
-، تاريخ الرومان، ج.1، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ط.2، ليبيا، 1978.
- وارمنجتون ب.ه، تاريخ إفريقيا العام (حضارات إفريقيا القديمة) العصر القرطاجي، مج.2، اليونسكو، 1985.

ب- باللغة الأجنبية

- Alexandropoulos (J), Les Monnaies De L’afrique Antique 400 av. J.-C. 40 ap. J.-C., Presses universitaires du Midi, France, 2007.
- Aounallah (S), Pagus, castellum et civitas Études d’épigraphie et d’histoire sur le village et la cité en Afrique romaine, Pessac Ausonius Éditions, 2010, [http:// books.open edition.org/ ausonius/3843](http://books.openedition.org/ausonius/3843).
- Arnold (W.T), The Roman System Of Provincial Administration To The Accession Of Constantine The Great, Macmillan And Co., London, 1879.
- Aubet (M.E), The Phoenicians and the West: Politics, Colonies and Trade, trad. Turton (M), Cambridge University Press, 1993.

- Audollent (A), Carthage romaine: 146 avant Jésus-Christ-698 après Jésus-Christ, edit, A. Fontemoing, Paris, 1901.
- Auguste (J), La flotte de César: études sur la marine antique, edit, Firmin Didot, Paris, 1861.
- Babelon (E), Carthage, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1896.
- . Bénabou (M), La Résistance Africaine A la Romanisation, édition La Découverte, Paris, 2005.
- Boissière (G), L'Algérie Romaine, Librairie Hachette Et Cie, 2émeéd., T.1, Paris.
- Bos (Ch), La marine qu'il nous fait, edit, Berger-Levrault, Paris, 1906.
- Broughton (R), The Magistrates Of The Romain Republic, edit. De Lacy (Ph.H.), V.2, The American Philological, Association, New York, 1952.
- Cagnat (R), Étude historique sur les impôts indirects chez les Romains jusqu'aux invasions des barbares, edit, Thorin. E., Paris, 1882.
-, L'annone d'Afrique, Mémoires de l'Institut de France, t.40, ed, Imprimerie nationale, Paris,1916.
-, L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Imprimerie Nationale, Paris, 1913.
- Calder (W.M), Keil (J), Anatolian Studies, Manchester University Press, 1939.
- Charlesworth (M.P), Tiberius, Ch.19, The Cambridge Ancient History, vol.10, Combridje Univ. Press, 1934.
- Decret (F), Fantar (M), L'Afrique Du Nord dans L'Antiquité Des Origines au V^e Siècle, Payot, Paris, 1981.
- Despois (J), La Tunisie Orientale Sahel et Basse steppe : étude géographique, Publications de l'Institut des hautes études de Tunis.

Section des lettres, V.1, Presses Universitaires de France, 2^{ème} éd., Paris, 1955.

– Duncan (M), the Storm before the storm (the beginning of the end of the Romain Republic) ,Public Affairs, New York, 2017.

- Edgard Marx, Essai sur les pouvoirs du gouveneur de province sous la République romaine et jusqu'a Dioclétien, edit, E. Thorin, Paris, 1880.

- Fiegel (M.M), Historia legionis III Augustae, Draeger, Berlin, 1882.

- Gascou (J), La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère, École Française de Rome, 1972

– Gauckler (P), Enquête Sur Les Installations Hydrauliques Romaines En Tunisie, T.1, Imprimerie Rapide (Louis Nicolas Et C^{ie}), Tunis.

– Goldsworthy (A), Augustus First Emperor of Rome, Yale University Press, London, 2014.

-, Fall of Carthage The Punic wars 265-146 B.C., Cassell Military Paperbacks, London, 2003.

- Gould (R.A), Archaeology and the Social History of Ships, edit, Cambridge University Press, Cambridge, 2000.

- Grant (M), From Imperium To Auctoritas (A Historical Study Of Aes Coinage In The Roman Empire, The University Press, Cambridge, 1969.

- Gsell (S), Histoire ancienne de l’Afrique du Nord (H.A.A.N), T.1, T.4, T.7, T.8, Librairie Hachette, Paris.

- Halgan (C), Essai Sur L'Administration Des Provinces Sénatoriales Sous L’Empire Romain, Ancienne Librairie Thorin Et Fils, Paris, 1898.

- Heurgon (J), Rome et la Méditerranée occidentale jusqu'aux guerres puniques, Presses Universitaires de France, Paris, 1993.

- Humm (M), La République romaine et son empire De 509 av. à 31 av. J.-C. p163-164, Éditeur Armand Colin, 2018.

- Jerzy (K), Le Colonat en Afrique sous le Haut-Empire, Presses Univ. Franche-Comté, 1976.
- Johnson (A.C.), and others, Ancient Roman Statutes, University of Texas Press, Usa 1961.
- Julien (Ch.A), Histoire de l'Afrique du nord: Des origines à 1830, edit, Payot, Paris, 2001.
- Kochom (G), More than a Manipule is too Much The Manipular formation used by Republican Roman Armies (circa 218 -168 BCE), University of Wisconsin, 2010.
- le bohec (Y), histoire des guerres romaines, Editions Tallandier, Paris, 2017.
-, La Troisième Légion Auguste, Éditions Du Centre National De La Recherche Scientifique, Paris, 1989.
- Le Gall (J), Le Glay(M), l'empire romain Le Haut-Empire, de la bataille d'Actium à la mort de Sévère-Alexandre (31 av. J.-C.-235 apr. J.-C.), Presses Universitaires, T.1, France, 1992.
- Leger (A), Les Travaux publics les mines et la métallurgie aux temps des Romains, Impremrie de l'école Centrale des Arts et Manufactures, Paris, 1875.
- Le Glay (M.), Rome Grandeur et déclin., Perrin, Paris, 1990.
- Lémonon (J.P), Ponce Pilate, edit, Atelier, France, 2007.
- Lepelley (C), and others, Rome et l'integration de l'empire (44av.J.C.-260ap.J.C.), Presse Universitaire de France, t.2, 1998.
- Leschi (L), L'Afrique Romaine, Imprimerie Officielle, Alger, 1950.
- Melliti (Kh.), Carthage Histoire d'une métropole méditerranéenne, Perrin, Paris, 2016.
- Mommsen (Th), Histoire romaine, T.5, trad.C.A. Alexandre, Librairie A.Franck, Paris, 1866.

-, Römisches Staatsrecht, Hirzel,t.2, 1, Leipzig, 1877.
- Mommsen (Th.), Marquardt (J), Manuel Des Antiquités Romaines, (Le Droit public Romain), t.2, trad. Girard (P.F), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1892.
-, Manuel Des Antiquités Romaines, (le droit Public Romain), t.4, trad. Humbert (G), Thorin et Fils Editeurs, Paris, 1894.
- , Manuel Des Antiquités Romaines, T.8,Trad., Louis-Lucas (P), Weiss(A), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1892.
-, Manuel Des Antiquités Romaines,(Organisation de L’Empire Romain), V.9, T.2, Trad., Louis-Lucas (P), Weiss(A), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1892.
-, De l'organisation Financière chez les Romains, t. 10, trad, Vigié (A), edit, E. Thorin, paris, 1888.
-, Manuel Des Antiquités Romaines, (de l’organisation militaire), T.11, Trad. Brissaud (J), Ernest Thorin Éditeur, Paris, 1891.
- Montesquieu, De l'esprit des lois, Éditions Gallimard, Paris, 1995.
- Mousourakis (G), The Historical and Institutional Context of Roman Law, Routledge, United states, 2016.
- Nicolet (C), Rome et la conquête du monde méditerranéen, Presses Universitaire de France, T.2, France,1989.
- Pallu De Lessert (A.C), Fastes Des Provinces Africaines, Ernest Leroux Éditeur, t.1, Paris, 1896.
- Picard (G.Ch.), Rougé (J.), Textes et documents relatifs à la vie économique et Sociale dans l'Empire romain. 31 avant J.-C. à 225 après J.-C, Soicété d’Edition d’Enseignement Supérieur, Paris, 1969.
- Piganiol (A), La conquête romaine, Presses Universitaires de France, 7^e ed., Paris, 1995.

- Rawlings (L), « Army and Battle during Conquest of Italy (350-264 BC) » in : Erdkamp (P), A Companion to the Roman Army, Blackwell Publishing Ltd, 2007.
- Rawlinson (G), History Of Phoenicia, Longmans Green and Co, 1889.
- Rouche (M), Le Choc des cultures: Romanité, Chrétienté durant le Haut Moyen Âge, edit, Presses Universitaires du Septentrion, France, 2003.
- Rowan (C), From Caesar to Augustus (c. 49 BC–AD 14), Cambridge University Press, 2018.
- Salama (P), Les Voies romaines de l'Afrique du Nord, edit, Gouvernement Général de l'Algérie, Alger, 1951.
- Swan (P.M), The Augustan Succession An Historical Commentary on Cassius Dio's Roman History (Books 55-56), American Philological Association.
- Talbert (J.A.R), The senate of Imperial Rome, Princeton University Press, New Jersey.
- Tissot (Ch), Géographie comparée de la Province Romaine d'Afrique, T.1, Imprimerie Nationale, Paris, 1884.
-, Faste de la province Romain D'Afrique, Librairie C.Klinkksieck, France, 1885.
- Toulotte (A), Géographie de l'Afrique chrétienne, edit, Notre-Dame des près, Paris, 1894.
- Toutain (J), Les Cites Romaines De La Tunisie, Librairie Thorin Et Fils, 1896.
- Vars (Ch), Cirta, ses monuments, son administration, ses magistrats, d'après les fouilles et les inscriptions, Ernest Thorin Editeur, Paris, 1895.
- Viollet (P), Droit public: Histoire des institutions politiques et administratives de la France, t. 1, edit, L. Larose et Forcel, Paris, 1890.

– Werner (E), The Age of Augustus, trad, Schneider (D.L.), Blackwell Library of Congress Cataloging, 2nd. ed.2007.

4- الدوريات :

أ- باللغة العربية :

- إكتيبي (م.حميدة)، الأهمية الجغرافية لمدينة لبدة الكبرى، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد28.
-، أهم مظاهر الحياة التجارية في مدينة لبدة الكبرى، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد29.
- آيت أومغار (سمير)، الماء والاستقرار في شمال أفريقيا خلال الحقبة القديمة، أستور، عدد11، الدوحة، يناير 2020.
-، المدن وسبل مكافحة خطر الفيضانات في شمال أفريقيا خلال المرحلة الرومانية، هيسبريس تمودا، العدد 54، المجلد 1، 2019.
-، مناخ شمال أفريقيا خلال الفترة الرومانية: مقاربات جديدة، هيسبريس تامودة، عدد52، المغرب، 2017.
- بن رحال (ي.)، مقاومة الأوراس للاحتلال الروماني ثورة تاكفاريناس نموذجا (17م-24م)، حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد8، ج.4، الجزائر، 2014.
- حارش (م.الهادي)، ثورة تاكفاريناس (17م-24م)، مجلة الدراسات التاريخية، عدد1، مج.6، جامعة الجزائر 2، 1995.
- حسين (م. عواد)، الثورة الرومانية (المرحلة الثالثة) الصراع بين قيصر وبومبي حتى الحرب الأهلية (78-50ق.م)، عالم الفكر، عدد3، مج.12، 1981.
-، الثورة الرومانية (المرحلة الثانية) ماريوس وسلا 120ق.م-78ق.م، مجلة كلية الآداب والتربية، عدد 15، الكويت، 1979.

- حمداش (فهيمه)، الحياة الاقتصادية في إفريقيا البروقنصلية من خلال المواد الأثرية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد 10، مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية، الجزائر، 2016.
- رمضاني (أم هاني)، روما وسياسات الإصلاح: يوليو- قيصر أوغسطس- ديوقلسيانوس أنموذجا، أفكار وآفاق، عدد 1، مج 6، الجزائر، 2018.
- سرحان (أبو بكر)، الحروب البونية بين روما وقرطاج (264 ق.م-146 ق.م) أسبابها- أحداثها- نتائجها وموقف الممالك الأهلية المغربية منها، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 35، القاهرة، 2013.
-، مدن وموانئ المغرب القديم، فترة الاحتلال الروماني (27 ق.م- 235 م.)، مجلة المؤرخ المصري، مج 44، 2014.
- شنيقي (م. البشير)، أثر الضغط الديمغرافي على بيئة السهوب في العهد الروماني (إختفاء الفيل و تفاقم البداوة)، مجلة آثار، مج 6، عدد 1، 2008.
- فايز (عبد اللطيف)، وظيفة الأيدلية في روما في عصر الجمهورية، المؤتمر الدولي الخامس (الكلمة والصورة في الحضارات القديمة)، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، 2014.
- العقيلي (فاطمة سالم)، الصادرات الجرمنتية من خلال النصوص الأدبية والمخلفات الأثرية، المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية، عدد 3، ليبيا، 2019.
- عقون (م. العربي)، فصول من الحرب البونية الأولى 264-241 ق.م، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 3، الجزائر، 2009.
- منقاشي (محمد)، الكشف الأثرية والبيئة، مجلة المناهل، عدد 46، 1995.
- وفاء أحمد، الفيل في مصر الفرعونية، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، عدد 51، 2002.

ب- باللغة الأجنبية:

- Abid (H.), Le tracé de la Fossa Regia dans la vallée de l'oued Siliana (Précisions et réflexions), Actes du X^e colloque international sur L'histoire et L'archéologie de L'Afrique du Nord préhistorique antique

et médiévale (Caen 25-28 Mai 2009), Presses Universitaire de Caen, 2014.

Ameur (Y), Aspects de l'economie des Cites Portiaires du Byzacium, La Mediterranee L'Homme et la Mer, Actes du Deuxième Séminaire du Décembre 1999, Cahiers du C.E.R.E.S, n°22, Tunis, 2001.

- Andrew (S), Public Lands and Agrarian Laws of the Roman Republic, The Johns Hopkins Press,1891, p92. Digital ed. in:
<http://www.Gutenberg.Org/ebooks/12638>.

- Astin (A.E.), Saguntum and the Origins of the Second Punic War, Latomus, T. 26, Fasc. 3, Societe d'Etudes Latines de Bruxelles, 1967.

- Baccar (M), Souq (F), Archaeological sites of Sabratha and Leptis Magna, Centre du Patrimoine Mondial World Heritage Centre, Libya, 2007.

- Baratte (F), Bejaoui (F), Les fortifications byzantines d'Ammaedara, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 154e année, n°. 1, 2010.

- Ben Akacha (W), Promotion coloniale (frénésie évergétique et aménagement urbanistique à Thuburbo Maius) Dialogues d'histoire ancienne, vol. 37, n°2, 2011.

- Bertrand (F), Le proconsulat de Salluste en "Africa noua" ombres et lumières, Latomus, T. 64, Fasc. 1, Societe d'Etudes Latines de Bruxelles, 2005.

- Beschtaouch (A), Le territoire de Sicca Veneria (El-Kef) nouvelle Cirta, en Numidie proconsulaire (Tunisie), Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 125^{ème} année, N°1, 1981.

- Bréal (M), Inscription de Curubis, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 39^e, N. 1, 1895.

- Brice (E), Les poissons et la pêche liés aux usines de salaisons sur le littoral atlantique à l'époque romaine, Aquitania, T.21, 2005.

- Brun (A), Pollens dans les séries marines du Golfe de Gabès et du plateau des Kerkennah (Tunisie) : signaux climatiques et anthropiques, Quaternaire, vol. 3, n°1, 1992.
- Cagnat (R.), Note sur les limites de la province romaine d'Afrique en 146 avant J.-C., Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 38^e année, n°1, 1894.
- Caillemer (A), Chevallier (R), Les centuriations de l'« Africa vetus » Sous l'oeil d'Asmodée, Annales, ann.9, n°4, 1954
- Camps (G), Dasibari, Encyclopédie berbère, 15, 1995.
- Callegarin (L), Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale (I^{er} siècle av.-II^e siècle de n. è.), Pallas, n° 68, 2005.
- Cébeillac-Gervasoni (M), Les rapports institutionnels et politiques d'Ostie et de Rome de la République au III^e siècle ap. J.-C., Mélanges de l'école française de Rome, 114, 1, 2002.
- Chastagnol (A), Considérations sur les Municipales latins du premier Siècle ap.J.-C , L'Afrique dans l'Occident Romain (I^{er} siècle av. J.-C. - IV^e siècle ap.J.-C.), Actes du Colloque de Rome, École Française de Rome, 1990.
- Chelbi (F), Paskoff (R), Troussset (P), La baie d'Utique et son évolution depuis l'Antiquité : une réévaluation géoarchéologique, Antiquités africaines, N°31, 1995.
- Christol (M) Une inscription du musée de Philippeville (Skikda) relative à l'aménagement de la route entre Rusicade et Cirta (CIL, VIII, 10311 et p. 2138) : Caius Velleius Paterculus, légat de l'empereur, Antiquités africaines, 49, 2013.
- Claude (B-P), Les relations de Cirta et de la Confédération cirtéenne avec le pouvoir pendant le Haut-Empire, Cahiers du Centre Gustave Glotz, n°17, 2006.

- Coltelloni-Trannoy (M), Le royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée (25 av. J.-C. - 40 ap. J.-C), Études d'Antiquités africaines, n°2, CNRS Edition, 1997.
- Creuly, sur diverses Inscriptions Romains de Tunisie, Revue Archéologique, 15^{ème} Ann., 1858.
- David (S), Culture and Investment in the Rural Landscape : the North African bonus agricola, Antiquités africaines, n°34, 1998.
- Decramer (L.R), and others, Approche géométrique des centuriations romaines. Les nouvelles bornes du Bled Segui, Histoire & Mesure, vol.17, n°1/2, Ehess, 2002.
- De Laet (S. J), Documents nouveaux concernant les « Quattuor Publica Africae », L'antiquité classique, t. 22, 1, Bruxelles, 1953.
- De Pachtère (F.G), Les camps de la troisième légion en Afrique au premier siècle de l'empire, C.R. Acad. Inscr., 60^e année, N. 3, 1916.
- Desanges (J), Garamantes, Encyclopédie berbère, 19, 1998.
- Duval (N), Ammaedara, Encyclopédie berbère, 4, 1986.
- Duval (P. M), La forme des navires romains, d'après la mosaïque d'Althiburus, Mélanges d'archéologie et d'histoire, t.61, Presses Universitaires de France, Paris, 1949.
- Edmond (F), Une nouvelle hypothèse sur la fondation de Carthage, Bulletin de correspondance hellénique, Vol.79, 1955.
- Edmondson (J), Cities and Urban Life in the Western Provinces of the Roman Empire, 30 BCE–250 CE, A companion to the Roman Empire, Vol.250, Oxford, 2006.
- Gadhoun (A), Le port de Sullethum (Salakta), Actes des journées d'études sur Ksour Essef: Sullethum, Salakta et ses environs à l'époque antique et médiévale, edit, Ksour Essef, Sousse, 2019.
- Gasco (J), La carrière de Marcus Caelius Phileros, Antiquités africaines, 20, 1984.

- Gauckler (P), Mosaïques tombales d'une chapelle de martyrs à Thabraca, Monuments et mémoires de la Fondation Eugène Piot, T. 13, fascicule 2, 1906.
- Grimal (P), Monod (Th), Sur la véritable nature du « garum », *R. É. A.*, T, 54, n°1-2, 1952.
- Guérin (E), Des IV P. A. (Les quatre publica), Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, t. 11, edit, Leon, S., Alger, 1906.
- Hamrouni (R), A propos du réseau portuaire de l'Afrique romaine : cas du littoral tunisien, Africa et in Hispania. Études sur l'Huile Africaine, edit, UB, Barcelona, 2007.
- Hanfmann (M.A), Der Geometrische Stil in Italien. Archäologische Grundlagen der frühesten historischen Zeit Italiens by Åke Åkerström, American Journal of Archaeology, Vol. 53, N°2, Archaeological Institute of America, 1949.
- Henriette (P.D), La préfecture de l'annone, service administratif impérial d'Auguste à Constantin, Ecole française de Rome, Rome, 1976.
- Héron (d.V.A), Une inscription de Tebourba (Colonia octavanorum Thuburbo), Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 57^e année, N. 6, 1913.
- Heurgon (J), La lettre de Cicerón à P. Sittius (Ad Fam., V, 17), Latomus, T. 9, Fasc. 4, Société d'Études Latines de Bruxelles, 1950.
- Hilali (A), Rome and Agriculture in Africa Proconsularis : Land and Hydraulic Development, Revue belge de philologie et d'histoire, t. 91, n° 1, Droz, Belgique, 2013.
- Huvelin (P.), Une Guerre D'usure Dans L'antiquité La Deuxième Guerre Punique, Revue des Deux Mondes, Vol.35, N°.4, 1916.
- Lacroix (F), Colonisation et administration romaines dans l'Afrique septentrionale, Revue africaine, n° 41, 1863.

- Landes (C), Ben Hassen (H.H), Le théâtre d'Oudhna (Uthina), Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, 2010.
- Laronde (A), Le port de Lepcis Magna, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, t. 132, n° 2, Paris, 1988.
- Lassère (J-M.), Hédi (S), Maisons de Clvpea Exemples de l'architecture domestique dans un port de l'Afrique proconsulaire Les maisons de l'école de pêche, CNRS ÉDITIONS, Paris, 2010.
- Le Glay (M), Évergétisme et vie religieuse dans l'Afrique romaine, Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987), Publications de l'École Française de Rome, 134, 1990.
- Leveau (Ph), Climat, sociétés et environnement aux marges sahariennes du Maghreb: une approche historiographique, La frontière méridionale du Maghreb. Approches croisées (Antiquité-MoyenÂge)¹, Ausonius Scripta Receptoria 13, Bordeaux, 2018.
-, L'environnement de l'Afrique dans l'Antiquité Climat et société un état de la question, IKOSIM, N°5, Algeria, 2006.
- Léon (L), La nomination de l'empereur et le titre d'« Imperator », L'antiquité classique, Tome 30, fasc. 2, 1961.
- Luterbacher (J), and others, A Review of 2000 Years of Paleoclimatic Evidence in the Mediterranean, The Climate of the Mediterranean Region, Elsevier Inc, 2012.
- Masqueray (E), Bulletin de correspondance africaine 5ème Ann., Fasc.I-II, Imprimerie De L'association Ouvrière, P. Fontana Et Cie, Alger, 1886.
- Maton (A), Principes de droit fiscal: Principes généraux, t.1, edit, Revue pratique du notariat belge, Bruxelles, 1891.
- Merlin (A), Découvertes à Thuburbo Majus, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 56^e année, N. 5, 1912.

- Morel (J.P), Céramique d’hippone, BAA, t.1, 1962-1965, Imprimerie officielle, Alger.
-, Recherches Stratigraphiques a Hippone, BAA, t.3, 1968, Imprimerie officielle, Alger.
- Oreste (R), Paul Dirmeyer, Modeling the effects of vegetation on Mediterranean climate during the Roman Classical Period Part I: Climate history and model sensitivity, Global and Planetary Change 25, 2000.
- Pasa (B), La place de l’Africa dans le bassin méditerranéen au lendemain de la troisième guerrepunique, province romaine et traditions africaines, Pallas, No. 79, Presses Universitaires du Midi, 2009.
- Peyras (J), La Terre et Les Hommes De La Provincia Africa, De La Loi Agraire De 111 Avant J.-C. A Jules César, Riparia 4 ,2018.
-, La loi agraire de 643 a. u. c. (111 avant J.-C.) et l’Afrique. Présentation, essai de restitution (lignes 43-95), trad. Besançon, Institut des Sciences et Techniques de l’Antiquité, Collection ISTA, 2015.
- picard (G), Néron et le blé d’Afrique, Comptes rendus des séances de l’Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Ann.1956.
- Poulle (M.A.), A Travers La Mauritanie Sétifienne, R.S.A.C, n°7, 1863.
- Renier (M.L), Bulletin Mensuel de L’Académie des Inscriptions, Revue Archéologique, 6èmeAnn., v.30, 1875.
- Robert (Ch), Inscriptions antiques provenant de l’ancien Byzacium, Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France, Libraire De La Société, Paris, 1878.
- Rocca (E), Le rôle de la IIIeLégion Auguste dans l’aménagement du territoire et de la colonie d’ Ammaedara (Haïdra), L’Africa Romana, 19, v.1, Carocci Editore,2010.
- Rousseau (M.A), Nebel L’Ancinne Néapolis, Revue Africaine, n°11, 2ème Ann., 1858.

- Salama (P), Anomalies et aberrations rencontrées sur des inscriptions milliaires de la voie romaine Ammaedara - Capsa – Tacapes, Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, Bd. 149, 2004.
- Salmon (E. T), Rome and the Latins I, Phoenix, n° 3, vol.7, Classical Association of Canada, 1953.
- Shaw (B), Rural Markets in North Africa and the Political Economy of the Roman Empire, Antiquités africaines, n° 17, edit, CNRS, 1981, Paris.
-, Water and society in the ancient Maghrib technology, property and development, Antiquités africaines, 20, 1984.
- Sternberg (M), Données sur les produits fabriqués dans une officine de Neapolis (Nabeul, Tunisie), Mélanges de l'École, française de Rome, Antiquité, T. 112, n°1. 2000.
- Syme (R), Notes sur la légion IIIa Augusta, Revue des Études Anciennes, T. 38, n°2, 1936.
-, Some Notes on the Legions under Augustus, JRS, Vol.23, 1933.
- Tekki (A), Mines et carrières en Tunisie antique, Mines et carrières en Afrique du nord, De l'Antiquité à nos jours, Actes du colloque, Centre de Publication Universitaire, Tunis, 2020.
- Thomasson (B.E), I questori d'Africa durante il principato, L'Africa Romana, 11, Editrice Il Torchiello, 1994.
- Toutain (J), Trois inscriptions de Thabraca (Tabarka, Tunisie), Mélanges d'archéologie et d'histoire, T.11, 1891.
- Troussset (P), and others, Fezzân, Encyclopédie berbère, 18, 1997.
- Vanacker (W), Adhuc Tacfarinas" Causes Of The Tiberian War In North Africa (Ad Ca. 15–24) And The Impact Of The Conflict On Roman Imperial Policy, Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, bd.64, H.3, 2015.

- Wukitsch (T), Carthage and Roman North Africa, ALRI History 303, Spring Semester, 2011.

5- الرسائل العلمية:

أ- باللغة العربية:

- بكار (أسامة)، الجيش الروماني في إفريقيا البروقنصلية ونوميديا (27ق.م-303م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ.ش. رحامي (بلقاسم)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2022.
- بن مبارك (نسيم)، الصناعة في نوميديا من 203ق.م إلى 46ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. بن لحرش (ع.العزیز)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010.
- بوخلف (فريد)، الجيش الروماني وهيئاته في المغرب القديم (من سنة 146 ق.م-40م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. آيت عمارة (ويزة)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013.
- بورني (دليلة)، تطور النظام الضريبي الروماني في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. شنيقي (م. البشير)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2001.
- بوزكري (يسينة)، حركة الإستيطن الروماني في موريطانيا القيصرية خلال العهد الإمبراطوري الأول، مذكرة ماجستير تاريخ قديم، إ.ش. مهنتل (جهيدة)، جامعة الجزائر، 2012-2013.
- الجودي (حمومة)، الضرائب الرومانية في بلاد المغرب القديم منذ سقوط قرطاجة 146 ق.م إلى نهاية الاحتلال الروماني 430 م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. بشاري (م. الحبيب)، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، 2015.
- حافظ (خديجة)، أوغسطس وسياسة في مصر وشمال إفريقيا من 44 ق.م إلى 14 م، رسالة ماجستير، إ.ش. أنديشة (أحمد)، جامعة التحدي، ليبيا، 2007.
- حداد (سهام)، سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديم، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. غانم (م.الصغير)، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

- حمداش (فهيمه)، الحياة الاقتصادية في أفريقيا البروقنصلية من إصلاحات أوغسطس إلى إصلاحات دوقليتيانوس، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ القديم، إ.ش. بن علال (رضا)، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2017-2018.
- شارن (شافية)، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)، ج.1، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ.ش. شنيقي (م. البشير)، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000-2001.
- صندوق (ستي)، الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ.ش. بوعزم (ع. القادر)، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016.
- عيساوي (مها)، المجتمع اللوي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ.ش. غانم (م. الصغير)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010.
- كابلي (فاطمة)، الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم وأثرها على المجتمع، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. حارش (م. الهادي)، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، 2011.
- مسرحي (جمال)، المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي للجزائر "ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية أنموذجا"، رسالة ماجستير في تاريخ حضارات البحر الأبيض المتوسط، إ.ش. غانم (م. الصغير)، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009.
- مسعودي (آسيا)، التبادل التجاري بين إيطاليا وبلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول-القرن الثالث)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إ.ش. شنيقي (م. البشير)، جامعة الجزائر، الجزائر، 1987-1988.
- مسعود (حسين أبو مدينة)، ميناء طرابلس (دراسة في جغرافية النقل)، رسالة دكتوراه في الجغرافيا، إ.ش. صبحي (م.)، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 2005.
- منصور (خديجة)، التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في موريطانيا القيصرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إ.ش. شنيقي (م. البشير)، جامعة وهران، الجزائر، 1997.

ب- باللغة الأجنبية:

- Anthony-Marc (S), La République romaine et ses alliances militaires pratiques et représentations de la "societas" de l'époque du "foedus Cassianum" à la fin de la seconde guerre punique,t.1, Thèse Doctorat En Histoire, Université Panthéon-Sorbonne, Paris, 2003.
- Carayon (N), Les ports phéniciens et puniques.Géomorphologie et infrastructures, thèse de doctorat en Sciences de l'Antiquité-Archéologie, Université Marc Bloch-Strasbourg II, Strasbourg, 2008.
- Lachapelle (D), Recherche Sur La Logistique Des Armées Romaines Sous Le Haut-Empire, Thèse Doctorat En Histoire, L'université Paris-Sorbonne, 2015.
- Leone (A), Evolution And Change: Town And Country In Late Antique North Africa, V.1, Thesis Submitted For The Degree Of Doctor Of Philosophy, The University Of Leicester,2001.
- Tanquerey (H), Droit Romain: Des Impots Sur Les Mutations a Rome: Droit Français: de l'Impot Sur Le Revenu Des Valeurs Mobilières, Thèse de doctorat en histoire de droit, Faculté de droit de paris, edit, Arthur Rousseau, Paris, 1887.
- Wiart (R), Droit romain :le régime des terres du fisc au bas-empire, Thèse de doctorat en histoire de droit, Faculté de droit de paris, edit, L. Larose, Paris, 1894.

6- القواميس والمعاجم :

- Cary (M), and others, the oxford Classical Dictionary, Oxford University Press, UK, 1957
- Clavé (Y), Teyssier (É), Petit Atlas historique de l'Antiquité romaine, Armand Colin, 2019.
- Daremberg (Ch), Saglio (E.), Dictionnaire Des Antiquités Grecques Et Romaines D'après Les Textes Et Les Monuments, Librairie Hachette Et Cie, fasc.1, Paris, 1873.

- Daremberg, (Ch), Saglio (E), Dictionnaire des antiquités grecques et romaines d'après les textes et les monuments, Vol. 5, edit, Hachette, Paris, 1875.
- Krahmalkov (R.Ch.), Phoenician-Punic Dictionary, Peeters Publishers & Department of Oriental Studies, Belgium, 2000.
- Smith (W), Dictionary of Greek and Roman Antiquities, 2nd ed., Boston, 1849.

الفهارس

1- فهرس الأعلام والشخصيات

أ

أبيانوس, 55, 87, 137, 164

أتيوس فاروس, 72

أذربعل, 62, 63

أغريبا, 90, 97

أنطونيوس, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 95, 99, 167, 185

أوغسطس, ج, 21, 30, 52, 97, 98, 101, 105, 106, 107, 110, 111, 114, 115,

118, 119, 120, 122, 133, 134, 135, 137, 138, 139, 141, 142, 143,

150, 152, 156, 167, 168, 169, 170, 172, 182, 184, 185, 186, 187,

194, 199, 207, 237, 239, 245, 246, 255, 264, 272, 273

أوغسطين, 32

أوكتافيوس, 37, 82, 83, 84, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 94, 95, 96, 97, 98, 99,

100, 101, 105, 106, 115, 134, 137, 138, 139, 141, 142, 143, 167,

184, 185, 209, 244, 245

آ

آرايون, 81, 98

آرنوبيوس, 17

آغاتوكل, 25, 27

ب

بلوتارخ, د, 83, 85, 87, 180

فهرس الأعلام والشخصيات

بلينيوس, 34, 35, 116, 121, 124, 125, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139,

140, 141, 142, 191

بويليليوس, 44

بويليوس كورنيليوس سكييو, 51, 53

بوغود, 82, 99

بوليوس, د, 19, 26, 30, 39, 40, 41, 42, 46, 49, 52

بومبي, أ, د, 16, 21, 67, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 79, 83, 86, 87, 88,

89, 90, 94, 95, 99, 113, 134, 155

بيرهوس, 41, 45, 46

ت

تيريوس, 134, 139, 141, 203

تيريوس سمرونيوس, 50

ج

جوستينيوس, 45

ح

حتشبسوت, 21

حنبل, 47, 49, 50, 51, 52, 53, 54

د

دوميتيوس, 16, 67, 68, 74, 90, 145, 157, 175

ديونيسيوس الهاليكارناسي, 40

ديودور الصقلي, 25, 41, 42, 138

ر

ريغولوس, 48

س

ساغونت, 49, 50

سترابون, 30, 60, 122

سرفيلوس, 51

سكستوس بومي, 86, 87, 89

سكيو إميليانوس, 57

سكيبو, 51, 52, 53, 54, 57, 64, 73, 75, 76, 77, 78, 79, 197

سويتون, 74, 85

سيتيوس, 76, 79, 80, 81, 82, 99, 100, 101, 114

سيكستيلوس, 66

ش

شيشرون, 70, 72, 73, 84, 85, 95, 126, 154

ص

صدر بعل, 52

صولينوس, 22, 125, 127

ط

ع

غ

غودا, 64

ف

فاليروس ماكسيموس, 46

فرجيليوس, 90

فيتروف, 33

فيكتور دو فيتا, 25

فيليب الأول, 43

ق

قيصر, أ, د, 19, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83,
84, 85, 86, 88, 89, 94, 95, 97, 98, 99, 100, 105, 106, 113, 114, 115,
118, 119, 121, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 141, 142, 143,
152, 155, 156, 165, 167, 169, 184, 185, 211, 212, 235, 239, 240,
244, 245, 246, 251, 263, 264

ك

كاتو, 56, 69, 71, 79, 154, 155, 200
كالغولا, 21, 108, 109, 111, 142, 170, 173, 174, 177, 178, 179, 248
كراكوس, 112, 115, 203, 204, 207, 209
كلوديوس, 111, 118, 168, 178, 180, 181, 182, 183, 211, 248
كليوباترا, 74, 86, 89, 91
كوريبوس, 33
كونسورينوس, 33, 56
كونسيديوس, 72, 75
كيريانوس, 17
كينا, 66, 67

ل

لوكانوس, 31, 33

لوكيوس أميليوس, 52

ليبيدوس, 83, 85, 89, 90, 101, 110, 184

ليفيروس, 19, 25, 41, 42, 148, 149

م

ماريوس, د, 65, 66, 67, 68, 71, 85, 94, 95, 96, 105, 113, 118, 140, 163,

164, 169, 184, 205, 207, 263

ماستينيسا, 81, 98

ماسينيسا, 55, 61, 62, 129, 205

ماغون, 45

مثريداتيس, 65, 67

مستنبعل, 62

ميكييسا, 61, 62, 64

ن

نيرون, 111, 133, 154, 157, 168, 179, 180, 181, 211, 240, 248

هـ

هادريان, 15, 116, 141, 188

هادريانوس, 67, 68

هاميلكار, 49

هانيبال, 19

هيرباص, 67

هیرودوت, 19, 29, 30, 31, 251

هیرون, 43, 46, 47

هیلاریانوس, 18

هیمبسال, 62, 73, 74

ي

یوبا, أ, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 81, 98, 134, 191, 193, 198

یوغرطة, د, 19, 32, 61, 62, 63, 64, 65, 77, 81, 207

2- فهرس الأماكن والمدن

أ

أسوريتانا, 141, 143

أشولا, 77

أفريقيا البروقنصلية, ب, ج, ز, 13, 29, 30, 35, 36, 273

أكتيوم, 90, 245

أكريجننت, 47

أليريا, 48

أم العلك, 15

أوتيكا, 16, 29, 54, 58, 60, 73, 79, 101, 109, 116, 122, 123, 124, 125,

126, 136, 154, 156, 205, 207

أوذنة, 142, 143

أوزيتا, 78

أوسلة, 59, 122, 205

إ

إسبانيا, 34, 48, 49, 50, 52, 53, 61, 72, 79, 81, 86, 93, 98, 119, 185

إفريقيا الجديدة, أ, هـ, 80, 81, 82, 99, 114, 211, 244

إفريقيا القديمة, أ, 38, 68, 81, 82, 114, 122, 209, 244, 245, 257

إيطاليا, 11, 34, 45, 48, 50, 51, 52, 53, 54, 70, 74, 85, 86, 90, 92, 95, 96,

113, 114, 118, 153, 165, 194, 203, 207, 211, 212, 213, 247, 273

ب

باجة, 57

برقة, 81

بلاد الغال, 49, 50, 51, 53, 95, 181

بنزرت, 24, 29, 109, 124, 136, 139, 143

بوغارة, 55

ت

تافوغالت, 18

تامكدولت, 18

تبرقة, 57, 136, 142

تبسة, 80, 186, 187, 188

تريتون, 19, 30, 31

تونس, و, 15, 24, 27, 31, 33, 113, 123, 126, 127, 131, 209, 239, 256

ث

ثابسوس, 78, 79, 235

ثابنة, 77

ثالا, 16, 186, 189, 196

ثوبوربو الصغرى, 139, 141

ثوبوربو الكبرى, 139, 140

ثوبورنيكوم, 140

ثيبارس, 68, 140

ثيسدروس, 79, 235

ثيناي, 57, 80

ثيوداليس, 59, 122, 205

ج

جرمة, 128, 191

الجزائر, 1, 14, 18, 19, 21, 22, 26, 30, 31, 34, 47, 55, 58, 62, 65, 98, 114,

130, 131, 132, 173, 179, 194, 206, 212, 236, 238, 251, 255, 256,

264, 272, 273

الجم, 16, 77

جيغتيس, 119

ح

حضر موت, 75, 79, 100, 156, 235

د

دوقة, 131

ر

رأس الطيب, 24, 135, 209

روسيينا, 75

روما, أ, د, 22, 36, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 46, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54,

55, 56, 60, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 77, 81,

82, 83, 85, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 95, 97, 98, 99, 105, 115, 116,

117, 118, 119, 120, 122, 124, 126, 127, 138, 142, 149, 153, 154,

160, 162, 165, 166, 167, 168, 169, 173, 181, 182, 189, 200, 201,

202, 203, 204, 206, 207, 211, 213, 234, 238, 239, 240, 244, 246,

247, 255, 264, 289

ز

زاما, 54, 79, 80

س

ساجست, 47

ساغونت, 49, 50

السرت, 27, 55

سردينيا, 40, 49, 88

سرقوسة, 43, 46, 47, 53, 125

سفاقص, 14, 57, 213

سكيكة, 80, 114

سوسة, 13, 25, 27, 209, 213

سيرتا الجديدة, 119, 138, 143

ش

شمال أفريقيا, 10, 13, 14, 15, 18, 20, 21, 22, 29, 31, 34, 263

ص

صبراتة, ز, 55, 130, 131, 191, 256

صقلية, 11, 43, 46, 48, 49, 52, 53, 56, 60, 67, 72, 78, 86, 87, 89, 90,

115, 125, 127, 128, 184, 201, 211

صور, 75, 124, 127, 130

صيدا, 130

ط

طرابلس, 26, 119, 128, 129, 130, 190, 273

الأطلس الصحراوي, 18

ع

عنابة, 29, 30, 209

ف

فزان, 128, 191

فكيك, 18

ق

قابس, 27, 33, 112, 186, 188

قابس, 53

قلمة, 32

قرطاجنة, أ, ج, 12, 15, 27, 33, 34, 37, 38, 39, 40, 42, 45, 46, 48, 49, 50,

51, 54, 55, 56, 57, 58, 60, 82, 93, 109, 113, 120, 124, 126, 127,

137, 139, 140, 141, 142, 143, 181, 187, 188, 190, 201, 208, 209,

235, 244, 246, 255

قرطاجنة, 49, 50, 53

قسنطينة, 31, 58, 131, 132, 272, 273

القصرين, 24

القيروان, 30

ك

كابسا, 16
كاريس, 136, 139, 142
كلويا, 134, 135, 142
كورسيكا, 48
كورويس, ز, 134, 136, 142
كيرطا, 63, 76, 80, 100

ل

لبدة, 30, 79, 128, 129, 130, 131, 171, 197, 212, 235, 256, 263
لمطة, 59, 75, 122, 205
ليلبي, 47

م

ماطر, 27
المجرة, 24, 29, 204, 246
مسينا, 43, 47
مصر, 10, 11, 21, 23, 24, 36, 38, 57, 66, 71, 74, 82, 86, 93, 128, 148,
168, 171, 173, 251, 255, 256, 257, 264, 272, 273
مقاطعة إفريقيا, أ, ب, د, و, ز, 38, 67, 72, 74, 75, 76, 80, 87, 104, 105, 106,
112, 123, 155, 159, 174, 182, 184, 185, 186, 189, 191, 209, 210,
244
مقدونيا, 43, 83, 84, 85, 180
ميليس, 48

ن

نوميديا, 32, 55, 60, 62, 63, 64, 69, 74, 80, 81, 114, 132, 155, 171, 206,

272, 273

نيابوليس, 30, 137, 142, 151

هـ

هنشير المريسة, 136

هنشير المقطع, 15

هنشير بن زنوش, 15

هنشير تامبرا, 58

هنشير زنفور, 141, 143

هيوديارتيس, 124, 125, 138, 143

هيوريجوس, 80, 126, 128, 129, 190

و

واد درعة, 18

3- فهرس الجداول والأشكال

أ- الجداول :

- جدول (1) : أهم جبال البروقنصلية..... 25
- جدول (2): جدول يوضح معاهدات السلم بين روما وقرطاجة عند المؤرخين القدامى 42
- جدول (3) : مستعمرات إفريقيا البروقنصلية المنسوبة للأسرة اليوليوكلاودية. 143
- جدول 4: قائمة البروقناصل خلال فترة حكم الأسرة اليوليوكلاودية 147
- جدول 5: البروقناصل قادة الجيش 176

ب- الأشكال :

- شكل (1) مخطط توضيحي لآلية إدارة المقاطعات الرومانية..... 107

4- فهرس الملاحق:

- الملحق (01): عملة لماسينيسا يظهر على أحد الوجهين صورة الفيل.....20
- الملحق (02): تضاريس إفريقيا البروقنصلية.....28
- الملحق (03): الحدود الافتراضية لمقاطعة البروقنصلية خلال فترة اليوليوكلاوديين.....102
- الملحق (04): المسار المحتمل للخندق الملكي.....59
- الملحق (05): توزع المستعمرات اليوليوكلاودية في البروقنصلية.....143

5- فهرس المحتوى:

أ.....	مقدمة :
9.....	مدخل:
9.....	جغرافية إفريقيا البروقنصلية
10.....	تمهيد:
13.....	I - المناخ:
13.....	1 - المناخ خلال الفترة القديمة:
15.....	أ - توزع منشآت الري والقنوات المائية:
18.....	ب - اختفاء الفيل ودلالته على تغير المناخ:
23.....	II - التضاريس:
23.....	1 - الجبال:
25.....	2- الهضاب و السهول:
29.....	III- المظهر الهيدروغرافي:
31.....	IV- الغطاء النباتي :
37.....	الفصل الأول:
37.....	الجدور التاريخية لنشأة إفريقيا البروقنصلية
38.....	I- إحتلال قرطاجة سنة 146 ق.م:
39.....	1- إتفاقيات السلم بين قرطاجة وروما:
43.....	2- الحروب البونيقية (246ق.م-148 ق.م).
43.....	أ- الحرب البونيقية الأولى:
48.....	ب- الحرب البونيقية الثانية:

ج- الحرب البونيقية الثالثة:	54
II- أثر التوسع الروماني بنوميديا على الولاية الرومانية.	57
1- ولاية إفريقيا :	61
أ- حرب يوغرطة وأثرها (111 ق.م - 105 ق.م) :	62
ب- أثر الحرب الأهلية بين قناصل روما :	65
2- ولاية إفريقيا القديمة:	68
أ- الحرب الأهلية بين قيصر وبومبي (49 ق.م-46 ق.م):	69
III- تداعيات الصراع بين أوكتافيوس وأنطونيوس:	82
1- الصراع بين أوكتافيوس وأنطونيوس:	83
2- تغير نظام الحكم في روما وخلفياته:	91
أ- اتساع رقعة الدولة:	92
ب- صراع القناصلة واستبداد القادة:	93
ج- قوة الجيش الروماني ونزعة التسيد:	95
د- " العبقرية الأوغسطية" و تقديس الأبطال:	97
3- الإصلاح الإداري وظهور إفريقيا البروقنصلية:	98
الفصل الثاني:	103
إدارة وتسيير مقاطعة البروقنصلية.	103
I - التنظيم الإداري لإفريقيا البروقنصلية:	104
1- إدارة المقاطعة السيناتورية:	104
2- سلطة البروقنصل في التسيير:	109
2- الهجرة البشرية الإستيطانية :	112

115	3- التقسيم الحضري لمدن إفريقيا البروقنصلية :
121	II- إنشاء المدن والمستعمرات :
121	1- مدن الأهالي القديمة:
133	2- المستعمرات :
144	III - الوظائف الإدارية:
144	1- البروقنصل (<i>Proconsul</i>):
148	- الإيديليس (<i>Aedilis</i>):
152	3- الكويستور (<i>Quaestor</i>):
158	الفصل الثالث:
158	الحضور العسكري الروماني بالمقاطعة.
159	تمهيد:
160	I- تطور الجيش الروماني:
160	1- الجيش في العهد الملكي :
162	2- الجيش في العهد الجمهوري :
167	3- الجيش الروماني مع قيام الإمبراطورية:
171	II- إسناد قيادة جيش إفريقيا البروقنصلية:
171	1- البروقنصل القائد الأعلى للجيش:
174	2- قادة الفيلق من 27 ق.م إلى 37م:
178	3- قادة الجيش من 37م إلى 68م :
184	III- الفيلق الأوغسطي الثالث ودوره في المقاطعة:
184	1- نشأة الفيلق الأوغسطي الثالث:

186	2- تمرکز الفيلق:
189	3- دور الفيلق:
189	أ- إخماد الثورات ما بين 27 ق.م و 14م:
193	ب- مواجهة ثورة تاكفاريناس:
199	الفصل الرابع:
199	إقتصاد البروقنصلية على عهد أوغسطس وخلفائه.
200	I- النشاط الزراعي:
201	1- تشريع اغتصاب الأراضي :
206	2- إحصاء الأراضي وتقسيمها :
210	3- أهم المزروعات:
214	II- النشاط الحربي:
214	1- صناعة الفخار:
215	2- الصناعة النسيجية:
216	3- الصناعة التحويلية:
218	4- الصناعة الاستخراجية:
219	5- صناعة الحلي:
220	6- بناء السفن:
222	III- النشاط التجاري:
222	1- الموانئ وشبكة الطرق في إفريقيا البروقنصلية ومساهمتها في الحركة التجارية:
222	1-1 - شبكة الطرق :
226	1-2- الموانئ:

229	2- التجارة الداخلية:
231	3- التجارة الخارجية:
231	أ- الصادرات:
233	ب- الواردات:
234	IV- تموين روما عبر فرض الضرائب:
234	1- تحصيل الضرائب:
235	2- أنواع الضرائب الرومانية في افريقيا البروقنصلية:
235	أ- الضريبة على الأشخاص والمدن :
237	ب - الضريبة على المنتجات الزراعية :
240	ج- الضرائب التجارية:
241	د- ضرائب أخرى:
244	خاتمة :
249	قائمة الببليوغرافيا:
277	1- فهرس الأعلام والشخصيات:
283	2- فهرس الأماكن والمدن:
290	3- فهرس الجداول والأشكال:
291	4- فهرس الملاحق:
292	5- فهرس المحتوى: